إتحاف الأكابر
بتهذيب
كتاب الكبائر

للإمام الحافظ شمس الدين الذهبى

المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية

تحقيق وتهذيب وترتيب

الدكتور / **أسامة محمد عبدالعظيم حمزة**

الناشر

دار الفتح

مقابل ادارة الأزهر

ت ٩٢٧٢٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فهذا كتاب مشتمل على ذكر جمل من الكبائر المحرمات **والمنهيات**.

- والكبائر هي: ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة [وكان فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا].
- وقد ضمن الله – تعالى – في كتابه العزيز – لمن اجتنب الكبائر المحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات بقوله تعالى: «**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم، وندخلكم مدخلاً كريماً**» (النساء: ٣١).

فقد تكفل الله – تعالى – بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.

وقال تعالى: «**والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، وإذا ما غضبوا هم يغفرون**» (الشورى: ٣٧).

وقال تعالى: «**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش الا اللمم، إن ربك واسع المغفرة**» (النجم ٣٢) الآيات.

وقال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**» رواه مسلم والترمذى (٧٤).

- فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هى؟، لكى يجتنبها المسلم فوجدنا العلماء – رحمهم الله تعالى – قد اختلفوا فيها:

- فقيل: هى سبع

واحتجوا بقول النبى ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات :**
قيل : يا رسول الله وما هن ؟ « **قال : الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » رواه البخارى ومسلم وغيرهما. (٣/ ٢٠١ ــ ٢٠٢)

- وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ : **هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع**
وصدق ــ والله ــ ابن عباس
وأما الحديث : فما فيه حصر الكبائر
والذى يتجه، ويقوم عليه الدليل : أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد فى الدنيا : كالقتل والزنا والسرقة أو ما جاء فيه وعيد فى الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان محمد ﷺ [أو ورد فيها وعيد بنفى إيمان أو تبرؤ، أو ليس منا] فهو مرتكب للكبيرة.

ــ ولابد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض
ألا ترى أنه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد فى النار لا يغفر له أبداً؛ قال تعالى « **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** » (النساء : ١١٦).

[وقال تعالى : « **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** ». (المائدة : ٧٢).

ولابد من الجمع بين النصوص :
قال النبى ﷺ : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** » قالها ثلاثا . قالوا : بلى يا رسول الله !

قال : « **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** » وكان متكئاً فجلس فقال : « **ألا وقول الزور وشهادة الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت متفق عليه (١٦٠).

فبين عليه الصلاة والسلام أن « قول الزور » من أكبر الكبائر، وليس له ذكر فى السبع الموبقات وكذلك العقوق] (١).

(١) من الكبائر وتبين المحارم

- واعلم أن التوبة — من كل معصية — واجبة على الفور، وحتم لازم على كل عاص لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة

وأنها من مهمات الإسلام، وقواعد الدين المتأكدة

ووجوبها — عند أهل السنة — ثابت بالكتاب والسنة

وظاهر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والآثار السلفية: على أن من تاب — لله — توبة نصوحا، واجتمعت شروط التوبة فيه، فإنه يقبل منه توبته كرما منه، وفضلا، ومنة وإحسانا.

- واعلم أن كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها — الا قل — يجهل خلق من الأمة تحريمه،وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد.

فهذا الضرب فيه تفصيل ينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله، ولاسيما إذا كان قريب العهد بجاهليته، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لأرض الاسلام، وهو تركي أو كرجي مشرك لا يعرف [التكلم] بالعربي، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم فبالجهد إنه يلفظ بالشهادتين، فإن فهم [التكلم] بالعربي حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليال فبها ونعمت، ثم قد لا يصلي، وقد يصلي وقد يقرأ الفاتحة مع الطول، إن كان أستاذه فيه دين ما، فإن كان أستاذه نسخة منه؛ فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الاسلام، والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها؟

فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها، وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد، وذلك نادر.

فينبغي للعبد أن يحمد الله —تعالى— على العافية.

فإن قيل: هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه!

قيل: ما دار في نفسه، ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

فلا يأثم أحد إلا بعد العلم، وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف بعباده رءوف بهم.

قال تعالى : «**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**» (الاسراء : ١٥)
وقد كان سادة الصحابة بالحبشة ، وينزل الواجب والتحريم على النبى ﷺ فلا يبلغهم إلا بعد أشهر، فهم فى تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص.
وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص ، والله أعلم [1] أهـ.

(١)هذه الفائدة نقلها الشيخ عبد الرازق حمزة ــ رحمه الله ــ عن الكبائر الصغرى للمصنف وهى فى «الكبائر وتبين المحارم» (٤٦ــ٤٧) آخر كبيرة (السحر)

الكبيرة الأولى
الشرك الاكبر

وهو أن يجعل لله نداً، ويعبد معه غيره: من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبى أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك. وهو أكبر الكبائر. أعاذنا الله منه بمنه وكرمه وختم لنا بالحسنى فى عافية بلا محنة، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم]

- قال الله تعالى: «**إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**» (النساء٤٨): أى لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده[1] وهو يخص عموم[2] قوله تعالى: «**إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**» (الزمر٥٣).
- وقال تعالى: «**إن الشرك لظلم عظيم**» (لقمان١٣) أى: إن الشرك قبيح، وظلم صارخ لأنه وضع للشىء فى غير موضعه، فمن سوى بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والصنم، فهو ــ بلا شك ــ أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة وحرى بأن يوصف بالظلم، ويجعل فى عداد البهائم [3].
- وقال تعالى: «**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة**» أى: من يعتقد بألوهية غير الله، فلن يدخل الجنة أبداً؛ لأنها دار الموحدين «**ومأواه النار**» أى: مصيره نار جهنم «**وما للظالمين من أنصار**» (المائدة ٧٢): أى: فلا ناصر ولا منقذ له من عذاب الله[4].

والآيات ــ فى ذلك ــ كثيرة.

---

(١) صفوة التفاسير (٢٦٥)

(٢) قاله الهيتمى فى الزواجر (٤٠)

(٣) صفوة التفاسير (١٠٧٦)

(٤) صفوة التفاسير (٣٤٣)

- فمن أشرك بالله ثم مات مشركا، فهو من أصحاب النار قطعاً كما أن من آمن بالله، ومات مؤمنا، فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار.
- وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ثلاثا قلنا: بلى يا رسول الله
قال: «**الاشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فمازال يكررها حتى قلنا: «ليته سكت» متفق عليه من حديث أبى بكرة — رضى الله عنه — (١٦٠)
- وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فذكر منها الشرك بالله رواه البخارى ومسلم. (٣ / ٢٠١ — ٢٠٢).
- وقال ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» رواه البخارى وأحمد[1].
- [وقال ﷺ: «**يا ابن الخطاب — اذهب — فناد فى الناس: إنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون**» رواه أحمد ومسلم]. (١٢٧/٢)

« فـائدة »[2]

فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء

- منها: «**مالو سخر باسم من أسماء الله، أو بأمره، أو وعده، أو وعيده**» كفر
- ولو قال: «**لو أمرنى الله بكذا ما فعلت؛ كفر، ولو صارت القبلة — فى هذه الجهة — ما صليت اليها**»، كفر.
- ولو قيل له: «**لا تترك الصلاة؛ فإن الله يؤاخذك، فقال: لو آخذنى بها مع ما فيّ من المرض والشدة لظلمني**»؛ كفر.
- ولو قال: «**لو شهد — عندى — الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت**»: كفر.
- ولو قيل له: «**قلم أظفارك فإنه سنة، فقال: لا أفعل وان كانت سنة**»: كفر[3].

---

(١) نيل الأوطار (٨ / ١٩٠ — ١٩١)
(٢) كانت ملحقة بكبيرة «التكذيب بالقدر»
(٣) قال النووى فى الروضة: المختار أنه لا يكفر بهذا إلا أن يقصد استهزاء انتهى: قال الهيتمى: وما اختاره متعين (٣٠ — ٣١) الإعلام

ـــ ولو قال : «فلان في عيني كاليهودى [والنصرانى فى عين الله] كفر.
ـــ لو قال : إن الله جلس للانصاف أو قام للانصاف كفر.
ـــ وجاء فى وجه : من قال لمسلم لاختم الله لك بخير أو سلبك الايمان : كفر[1].
ـــ وجاء ـــ أيضاً أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله ، فقال : أريد أن تحلف بالطلاق : كفر[2].
ـــ واختلفوا فيمن قال : رؤيتى لك كرؤية الموت ، فقال بعضهم : يكفر[3].
ـــ ولو قال : لو كان فلان نبياً ما آمنت به كفر[4].
ـــ ولو قال : إن كان ما قاله صدقاً نجونا : كفر[5].
ـــ و لوابتلى بالمصائب ، فقال : أخذت مالى وولدى وماذا تفعل ، كفر.

---

(١) ومحله إذا قاله على وجه الرضا بالكفر
والوجه الثانى : أنه لا يكون كفرا على الأصح ؛ لأنه ليس رضا بالكفر ، وإنما هو دعاء عليه بتشديد الأمر أو العقوبة عليه
قال الهيتمى : هذا ما ذكره الشيخان ، وأنت خبير من قولهما : «لأنه ليس رضا بالكفر» .. إلى آخره أن محل ذلك ما إذا لم يذكر ذلك رضا بالكفر، وإلا كفر قطعا
والذى يظهر من فحوى كلامهما : أنه لو أطلق ولم يقله على وجه الرضا بالكفر، ولا على جهة تشديد العقوبة عليه لا يكون كافرا وهو ظاهر (٢٧) .
(٢) يعنى إذا قصد الازراء باسم الله تعالى أو نحو ذلك وهو قول ضعيف لذلك قال الهيتمى : والصحيح انه لا يكفر (٣١)
(٣) قال الشيخان : والأكثر على أنه لا يكفر أنتهى ، قال الهيتمى : والأوجه ما قال أكثرهم فى مسألة رؤية ملك الموت (٣١)
(٤) ووجهه : أنه فيه تعليق عدم الإيمان به على كونه نبياً ، وفيه تنقيص لمرتبة النبوة حيث أراد تكذيبها على تقدير وجودها . وراجع الاعلام (٣٢)
(٥) قال الهيتمى : ولا يشترط ذكر جميع الأنبياء ـــ ولا أن يكون ماقاله ذلك النبى يقطع بأنه عن وحى ووجهه : أن الإتيان بـ(إن) التى هى للشك والتردد ـــ فى هذا المقام ـــ تشعر بتردده فى تطرق الكذب إلى ذلك النبى . وهذا كفر (٣٢) الإعلام

ـ ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا : كفر[1]

ـ ولو تنازع رجلان فقال أحدهما : **لا حول ولا قوة إلا بالله** فقال الآخر: **لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا تغني من جوع**: كفر

ـ ولو سمع أذان المؤذن فقال : **إنه يكذب** : كفر

ـ ولو قال : **لا أخاف القيامة** : كفر[2]

ـ ولو وضع متاعه فقال : **سلمته إلى الله**

فقال له رجل : **سلمته الى من لا يتبع السارق**: كفر[3]

ـ ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبهاً بالخطيب ، فسألوه المسائل ، وهم يضحكون[4] أو قال : أحدهم : **قصعة ثريد خير من العلم**: كفر[5].

ـ ولو ضرب ولده أو غلامه ، فقال له رجل : **ألست بمسلم؟** ، **فقال: لا متعمداً**: كفر

ـ ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم [مما لم يحل فى زمن قط][6] : كفر

---

(١) ينبغى أن يستثنى صلاة الجنازة فقد ذهب الشعبى وغيره من السلف إلى جوازها بغير وضوء. أفاده الهيتمى (٣٤)

(٢) ومحله : اذا قصد الإستهزاء، أما اذا أطلق أو لح سعة عفو الله ـ تعالى ـ ورحمته وقوة رجائه فلا يكفر أفاده الهيتمى (٣٥)

(٣) والذى يظهر أنه إن قال ذلك على جهة نسبة العجز إليه سبحانه وتعالى، أو ظهرت منه قرينة استخفاف كفر،
وإن أراد سعة حلمه ـ تعالى ـ على السارق، أو أطلق لم يكفر. افاده الهيتمى (٣٥)

(٤) زاد فى الروضة صورة أخرى وهى : إذا ما تشبه بالمعلمين فأخذ خشبة وجلس القوم حوله كالصبيان فضحكوا واستهزأوا أهـ ثم قال : الصواب أنه لا يكفر فى مسألتى التشبيه يعنى هذه الصورة، والصورة المذكورة هنا . ونقله الهيتمى (٣٥).

(٥) ولا يبعد أن يقيد بما اذا قصد الاستهزاء بالعلم بسائر أنواعه ، أو أراد أنها خير من كل علم ، لشموله العلم بالله وصفاته وأحكامه . أما لو أراد العلوم التى لا تتعلق بالله وصفاته وأحكامه ، فلا ينبغى أن يكون ذلك كفراً ؛ لأنه لا يلزم عليه الاستهزاء بالدين ، ولا تنقيصه (٣٥) الاعلام

(٦) الزيادة من الزواجر (٣٨) وقال الهيتمى فى الاعلام (٣٦) : والضابط : أن ما كان حلالا فى زمان فتمنى حله لا يكفر.

ـ ولو شد على وسطه حبلاً، فسئل عنه، فقال: **هذا زنار؛** فالأكثرون على أنه لا يكفر[1].

ـ ولو قال معلم الصبيان: **اليهود خير من المسلمين؛ لأنهم يعطون معلمي صبيانهم؛** كفر[2]

ـ ولو قال **النصرانية خير من المجوسية**: كفر[3]

ـ ولو قيل لرجل: ما الايمان، فقال: لا أدرى كفر

ـ ومن ذلك ألفاظ مستكرهه مستنكره وهى: لا دين لك، لا ايمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر، أنت منافق، أنت فاسق.

وهذا واشباهه كله حرام، ويخشى على العبد بها سلب الايمان والخلود فى النار.

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا على الكتاب والسنة، إنه أرحم الراحمين.

---

(١) قال النووى: الصواب: أنه لا يكفر فى مسألة التمنى وما بعدها إذا لم تكن نية اهـ
قال الهيتمى: أى: فحيث لم ينو بتمنيه ذلك جميعه، سواء كان حلالا ـ فى ملة ـ أم لا، ما يجر إلى الكفر من نسبة الله ـ سبحانه ـ إلى الجور وعدم العدل، أو نحو ذلك بتحريمه ذلك علينا لم يكفر، وإلا كفر، وتمنى تغيير الأحكام حرام، كما صرح به الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى الأم.
وحيث لبس زى الكفار، سواء دخل دار الحرب أو لا بنية الرضا بدينهم أو الميل إليه، أو تهاونا بالاسلام كفر، وإلا فلا اهـ (٣٦ ـ ٣٧) الإعلام.

(٢) قال الهيتمى: إن أراد الخيرية فى الإحسان للمعلم ومراعاته لم يكفر، وإن أطلق فهو محل نظر، والأقرب عدم الكفر(٣٧)

(٣) قال النووى: الصواب لا يكفر بقوله: النصرانية خير من المجوسية، إلا أن يريد أنها حق اليوم(٣٧)

الكبيرة الثانية

الرياء

ــ قال الله تعالى ــ مخبراً عن المنافقين : « **يراءون الناس** » أي : يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يقصدون وجه الله « **ولا يذكرون الله إلا قليلاً** » (النساء ١٤٢) أي : لا يذكرون الله سبحانه الا ذكراً قليلاً (١).

ــ وقال تعالى « **فويل للمصلين** » أي: هلاك وعذاب للمصلين المنافقين المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة « **الذين هم عن صلاتهم ساهون** » أي : الذين هم غافلون عن صلاتهم يؤخرونها عن أوقاتها تهاونا « **الذين هم يراءون** » أي : يصلون أمام الناس رياء ليقال إنهم صلحاء ، ويتخشعون ليقال : إنهم أتقياء ، ويتصدقون ليقال : إنهم كرماء ، وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء « **ويمنعون الماعون** » (الماعون ٤ ــ ٧) أي: ويمنعون الناس المنافع اليسيرة ، من كل ما يستعان به كالإبرة ، والفأس ، والقدر ، والملح ، والماء ، وغيرها (٢).

ــ وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** » أي : لا تحبطوا أجرها بالمن والأذى « **كالذى ينفق ماله رئاء الناس** » (البقر ٢٦٤) أي : كالمرائى الذى يبطل إنفاقه بالرياء (٣)

ــ وقوله تعالى : « **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » (الكهف ١١٠) أي : لا يرائى بعمله .

ــ وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه :**

---

(١) صفوة التفاسير (٢٩٧)
(٢) صفوة التفاسير (١٧٧٩)
(٣) صفوة التفاسير (١٥٣)

- رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت - فيك - حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: فلان جرىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.
- ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن، ليقال: هو قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.
- ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك.

قال: كذبت، ولكنك فعلت، ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» رواه مسلم والنسائي وغيرهما (١/ ٢٩)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «اليسير من الرياء شرك»
رواه ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح ولا علة له[1] (١/ ٣٤)
- وقال - ﷺ -: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»
قالوا: وما الشرك الأصغر، يا رسول الله؟
قال: الرياء

يقول الله - تعالى - اذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟». رواه أحمد بإسناد جيد (١/ ٣٤).
- وقال ﷺ -: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه برىء، وهو للذي أشرك»

---
(١) وأقره الذهبي (٤/ ٣٢٨)

رواه ابن ماجه وابن خزيمة، ورواته ثقات (١/ ٣٥).

ــ وقال ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يراء يراء الله به» متفق عليه.

ومعناه: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأشهاد (١/ ٣٢).

ــ وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ــ ﷺ ــ قال:

«رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر» رواه الطبراني في الكبير، واسناده لا بأس به (٢/ ٩٨)

يعني: أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله ــ تعالى ــ فلا ثواب له.

ــ وقال بعض الحكماء:

«مثل الذي يعمل للرياء والسمعة، كمثل الذي يملأ كيسه حصا ثم يدخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه قدام البائع، فإذا هو حصى وضرب به وجهه، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له: ما أملأ كيسه!، ولا يعطى به شيئاً».

ــ فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة، فليس له من عمله سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة.

قال الله تعالى: **«وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا»** (الفرقان: ٢٣).

يعني: الأعمال التي عملوها لغير وجه الله ــ تعالى ــ أبطلنا ثوابها، وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس.

ــ وروى عن عدى بن حاتم قال: **«يؤمر بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن أصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم**

الناس ولم تهابونى، وأجللتم الناس، ولم تجلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى اليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب».

- وسئل بعض الحكماء — رحمهم الله — من المخلص ؟
فقال : **المخلص الذى يكتم حسناته، كما يكتم سيئاته.**

- وقيل لبعضهم : **ما غاية الاخلاص؟**
قال : **أن لا تحب محمدة الناس.**

- وقيل: فى قول الله تعالى: **«وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»** (الزمر ٤٧)
قيل : **كانوا عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات.**
وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية يقول: **ويل لأهل الرياء**

- وقيل : إن المرائى ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء:
يا مرائى ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر
اذهب فخذ أجرك ممن عملت له ، فلا أجر لك عندنا.

- وقال الحسن : **المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء يريد أن يقول الناس؛ هو صالح، فكيف يقولون، وقد حل من ربه محل الأردياء؟ فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه.**

- وقال قتادة : **إذا راءى العبد، يقول الله: انظروا الى عبدى كيف يستهزىء بى؟.**

- وروى أن عمر بن الخطاب —رضى الله عنه— نظر إلى رجل، وهو يطأطىء رقبته فقال: **يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع فى الرقاب، إنما الخشوع فى القلوب.**

- وقيل : إن أبا أمامة الباهلى —رضى الله عنه— أتى على رجل فى المسجد، وهو ساجد يبكى فى سجوده، ويدعو، فقال له أبو أمامة: **أنت أنت، لو كان هذا فى بيتك.**

- وقال محمد بن المبارك الصورى: **أظهر السمت بالليل، فإنه أشرف من**

اظهاره بالنهار؛ لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين ..

ــ وقال على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ:

للمرائى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط اذا كان فى الناس ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم به.

وقال الفضيل بن عياض ــ رحمه الله ــ : «ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما» فنسأل الله المعونة والإخلاص فى الأعمال والأقوال والحركات والسكنات إنه جواد كريم.

موعظة

عباد الله ..

إن أيامكم قلائل، ومواعظكم قواتل ..

فليخبر الأواخر الأوائل .. وليستيقظ الغافل ــ قبل سير القوافل ــ.
يامن يوقن أنه لاشك راحل ... ومــاله زاد ولا رواحل.
يامن لج فى لجة الهوى ... متى ترتقى إلى الساحل؟
هل انتبهت من رقاد شامل؟ ... وحضرت المواعظ بقلب غير غافل.
وقت ــ فى الليل ــ قيام عاقل ... وكتبت بالدموع سطور الرسائل.
تخفى ــ بها ــ زفرات الندم والوسائل ... وبعثتها فى سفينة دمع سائل.
لعلها ترسو على الساحل.
وآ أسفا لمغرور جهول غافل ... لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل.
وقد ضيع بالبطالة وبذل الجاهل ... وركن إلى ركوب الهوى ركبة مائل.
يبنى البنيان ويشيد المعاقل ... وهو عن ذكر قبره متشاغل.
ويدعى ــ بعد هذا ــ أنه عاقل ... تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل.
وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل ... وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل

أيها المعجب فخرا ... بمقاصير البيوت

إنما الدنيا محل .. لقيام وقنوت
فغدا تنزل بيتا .. ضيقا بعد النحوت
بين أقوام الصموت .. ناطقات فى السكوت
فارض فى الدنيا بثوب ..ومن العيش بقوت
واتخذ بيتا ضعيفا .. مثل بيت العنكبوت
ثم قل : يانفسى هذا .. بيت مثواك فوتى

الكبيرة الثالثة

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه

—[قال الله تعالى : **«سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق»** (الأعراف ١٤٦) أى : سأمنع المتكبرين عن فهم آياتى ، فلا يتفكرون ولا يتدبرون بما فيها ، وأطمس على قلوبهم عقوبة لهم على تكبرهم (١)]

— وقال تعالى مخبرا عن نبيه موسى : **«وقال موسى: إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»** (غافر٢٧) أى : إنى أستجرت بالله واعتصمت به ليحفظنى من شر كل جبار عنيد متكبر عن الايمان بالله لا يصدق بالآخرة (٢)

— وقال تعالى : **«إنه لا يحب المستكبرين»** (النحل ٢٣)
أى : المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له (٣).

— وقال تعالى : **«ولا تصعر خدك للناس»** أى: لا تمل خدك معرضاً متكبراً **«ولا تمش فى الأرض مرحاً»** أى: لا تمش متبخترا متكبرا **«إن الله لا يحب كل مختال فخور»** (لقمان ١٨) [تعليل للنهى ، أى : لأن الله يكره المتكبر الذى يرى العظمة لنفسه ، ويتكبر على عباد الله المتبختر فى مشيته والفخور الذى يفتخر على غيره] (٤).

---

(١) صفوة التفاسير (١٧٠)
(٢) صفوة التفاسير (١٧٠)
(٣) المنتخب (٣٨٨)
(٤) صفوة التفاسير (١٠٧٨)

- وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة**» رواه البخارى والنسائى وغيرهما.

[الخيلاء (بضم الخاء المعجمه وتكسر وبفتح الياء ممدودا): هو الكبر والعجب ويتجلجل (بجيمين). أى: يغوص فينزل فيها]. (٤/ ١٩).

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس**».

رواه النسائى والترمذى واللفظ له وقال حديث حسن (٤/ ١٨)

- وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**».

فقال رجل: [**إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنا**]

قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس**».

رواه مسلم والترمذى.

بطر الحق (بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة جميعا): هو دفعه ورده وغمط الناس (بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة). هو احتقارهم وازدراؤهم (٤/ ١٩).

- وعن أبى سعيد وأبى هريرة – رضى الله عنهما – قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله – عز وجل – العز إزارى والكبرياء ردائى فمن ينازعنى عذبته**» رواه مسلم. (٤/ ١٦)

- وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فىَّ الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة: فىَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم**

[**فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابى أعذب بك من أشاء، ولكليكما على ملؤها**] رواه مسلم (٤/ ١٧).

ـ وعن حارثة بن وهب ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر** » رواه البخارى ومسلم .

العتل (بضم العين والتاء وتشديد اللام) : وهو الغليظ الجافى والجواظ (بفتح الجيم وتشديد الواو والظاء المعجمة) : هو الجموع المنوع وقيل : الضخم المختال فى مشيته ، وقيل : القصير البطين . (٤ / ١٧) .

ـ وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من تعظم فى نفسه أو اختال فى مشيته لقى الله تبارك وتعالى ، وهو عليه غضبان** » رواه الطبرانى فى الكبير واللفظ له ورواته محتج بهم فى الصحيح (٤ / ٢٠)

ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **عرض علىَّ أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله منه ، وفقير فخور** » رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما . (٤ / ٣٨)

ـ وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » . رواه البخارى (٤ / ٢٠)

ـ وعن سلمة بن الأكوع ـ رضى الله عنه ـ « **أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال: كل بيمينك ، قال: لا استطيع، قال: لا استطعت ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه** » رواه مسلم (٣١٤)

ـ وقال بعض السلف : أول ذنب عصى الله به : الكبر

قال الله تعالى : « **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** » (البقرة ٣٤) .

فمن استكبر عن الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس .

ـ وشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم فى نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه .

فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه ، وكان

علـى نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته.

ومـن طلـب العلم للفخر والرياسة وبطر المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم فـهـذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الكبيرة الرابعة

البغى

قـال الله تـعـالـى : «**إنما السبيل على الذين يظلمون الناس**» أى: إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم «**ويبغون فى الأرض بغير الحق**» أى: ويتكبرون فى الأرض تجبرا وفساداً بالمعاصى، والاعتداء على الناس فى النفوس والأموال «**أولئك لهم عذاب أليم**» أى: أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجع بسبب ظلمهم وبغيهم (١).

— وقال النبى ﷺ : «**إن الله تعالى أوحى إلىّ أن تواضعوا، حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**» رواه مسلم عن عياض بن حمار.

— وقال ﷺ : «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم**»

رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن صحيح والحاكم وقال: صحيح الإسناد (٣/٢٢٨)

— وفى الأثر: لو بغى جبل على جبل، لجعل الله الباغى منها دكا.

— وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه

(١) صفوة التفاسير (١٣٠٧)

فقد أخبر الله ـ تعالى ـ عنه بقوله : «**إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم**» .

إلى قوله : «**فخسفنا به وبداره الأرض**» الآية (القصص ٧٦ ـ ٨١) .

قال ابن الجوزى (١) ـ رحمه الله ـ :

في بغى قارون أقوال :

أحدهـا : أنه جعل لبغية جعلا على أن تقذف موسى عليه السلام ـ بنفسها ، ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت ، فأخبرته بقصتها مع قارون ، وكان هذا بغيه قاله ابن عباس .

والثاني : أنه بغى بالكفر بالله ـ عز وجل ـ قاله : الضحاك .

والثالث : بالكبر : قاله قتاده .

والرابع : أنه أطال ثيابه شبرا . قاله عطاء الخرساني [وشهر بن حوشب] .

والخامس : أنه كان يخدم فرعون . فاعتدى على بنى اسرائيل وظلمهم حكاه الماوردى .

قوله : «**فخسفنا به وبداره الأرض**» الآية

لما أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه ـ غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه : **إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها .**

فقال موسى : **يا أرض خذيه ، فأخذته حتى غيبت سريره**

فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم ، فقال : **يا أرض خذيه**

فأخذته حتى غيبت قدميه ، فمازال يقول : **يا أرض خذيه** حتى غيبته

فأوحى الله إليه : **يا موسى وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته .**

قال ابن عباس : **فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى**

قال سمرة بن جندب : **إنه كل يوم يخسف به قامه** (٢)

قال مقاتل : **فلما هلك قارون؛ قال بنو اسرائيل : إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره ، فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .**

---

(١) التبصرة (١ / ٢٥١ ـ ٢٥٢)

(٢) التبصرة (١ / ٢٥٣) .

«**فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله**» أي: يمنعونه من الله «**وما كان من المنتصرين**» أي: من الممتنعين مما أنزل به، والله أعلم.

اللهم إنك اذا قبلت سلمت، وإذا أعرضت أسلمت، وإذا وفقت ألهمت وإذا خذلت اتهمت.

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك.

واجعلنا ممن اقبلت عليه، فأعرض عمن سواك

واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين. آمين.

الكبيرة الخامسة

المكر والخديعة

— قال الله عز وجل: «**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**» (فاطر ٤٣)

أي: لا يحيط وبال المكر السيء إلا بمن مكره ودبره (١)

— وقال تعالى — عن المنافقين —: «**يخادعون الله وهو خادعهم**» (النساء ١٤٢)

قال الواحدى: **يعاملون عمل المخادع على خداعهم، وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم، وبقوا فى الظلمة.**

— وقال ﷺ: «**وأهل النار خمسة، وذكر منهم رجلا لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**» رواه مسلم عن عياض بن حمار(٢).

— [وعن أبى هريرة —رضى الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ «**المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم**» رواه أبو داود والترمذى (٣).

قوله: «**غر كريم**» ليس بذى مكر ولا مظنه للشر فهو ينخدع لانقياده ولينه. والخب (بفتح الخاء المعجمة وقد تكسر): **هو الخداع الساعى بين الناس بالشر والفساد**].

(١) صفوة التفاسير (١١٦٧) (٢) صحيح مسلم (٤ / ٢١٩٨)

(٣) قال المنذرى (٣ / ٢٤٨): لم يضعفه أبو داود ورواتها ثقات، سوى بشر بن رافع وقد وثق

- وعن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل**» رواه الترمذى، وقال: حسن غريب [1].

الكبيرة السادسة
الامن من مكر الله

- قال الله تعالى: «**حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغته**» أى: أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون

قال الحسن: «**من وسع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه، فلا رأى له**»

ثم قرأ هذه الآية: «**حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغته فإذا هم مبلسون**» (الأنعام ٤٤)

وقال: «**مكر بالقوم ـ ورب الكعبة ـ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا**»

الابلاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة

وقال ابن عباس: أيسوا من كل خير.

وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين.

- وفى التنزيل: «**واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه**» (الأنفال ٢٤).

قال مجاهد: **المعنى: يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما يصنع بنانه** [ويؤيده] قوله تعالى: «**إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب**» (ق ٣٧): أى: عقل واختار الطبرى أن يكون ذلك إخبارا من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها ان شاء، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل.

---

(١) الترمذى (٤ / ٢٤٣).

- وفى الحديث الصحيح : «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة**[1] **حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»[2] متفق عليه (١٨٦)
- وعن سالم عن عبد الله قال : «**كان كثيراً مما كان النبى ﷺ يحلف : لا ومقلب القلوب**» رواه البخارى[3].
- وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم**».
- [قال العلماء ـ رضى الله عنهم ـ : سوء الخاتمة لا يكون : إلا لمن كان مصراً على المعاصى فى الباطن وله إقدام على الكبائر مخادعة لله عز وجل.

أما من كان على قدم الاستقامة فى الظاهر ولم يصر على معصية فى الباطن فما سمعنا ولا علمنا أن مثل هذا يختم له بسوء أبدا ولله الحمد على ذلك ـ بخلاف من غلب عليه حب المعاصى والوقوع فيها من غير توبة، فربما نزل عليه الموت قبل التوبة، فيصدمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويخطفه عند تلك الدهشة ـ والعياذ بالله تعالى ـ فيظهر شقاؤه للناس عند موته.

وقد يكون العبد مستقيماً طول عمره ثم يغير ويبدل إذا قرب أجله، ويخرج عن طريق الاستقامة فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته وشؤم عاقبته][4]

---

(١) يعنى فيما يظهر للناس ـ مع اختلافه فى الحقيقة لاشتمال العمل على آفة وعلة باطنة تقتضى إحباطه ـ ولو كان عملا صالحاً مقبولا قد أحبه الله ورضيه لم يبطله عليه.

(٢) فلا تغتر بظاهر العمل حتى يتضح لك خاتمته، فإنما الأعمال بالخواتيم فهذا العامل لم يصبر على عمله حتى يتم له، بل خذل فى آخر عمره، ـ والعياذ بالله ـ بالآفة الكامنة فى عمله : خانته ـ فى وقت الحاجة. فرجع إلى موجبها وعملت عملها ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه.

والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم عن بعض.

وراجع الفوائد (٢١٣)

(٣) البخارى (١٥٧/٨)

(٤) هذه الزيادة من مختصر التذكرة (١٤)

- وعن أنس قال : **كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم: إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»** رواه الترمذي، وقال: حديث حسن [1].
- وفي الأثر: لما مكر بابليس - وكان من الملائكة - طفق جبريل وميكال يبكيان فقال الله عز وجل - لهما -: **مالكما تبكيان؟**

قالا : **يارب ما نأمن مكرك. فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكري.**
- وجاء في الأثر: إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب - وهو مقيم على معصيته - فإنما ذلك منه استدراج.
- وقد قص الله - تعالى - في كتابه العزيز - قصة بلعام، وأنه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة.

وكذلك برصيصا العابد : مات على الكفر.

حكاية

- روى أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقى يوما المنارة على عادته للأذان وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن وترك الأذان ونزل إليها فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ فقال: أنت أريد قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك، قال: أتنصر! قالت له: إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوج بها وقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها.

نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة.

---

(١) سنن الترمذي (٤/٤٨٨ - ٤٤٩)

فإذا كانت الهداية معروفة .. والاستقامة ـ على مشيئته ـ موقوفة ، والعاقبة مغيبة ..
والإرادة غير مغالبة ..
فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك
ذلك إن كان من كسبك .. فإنه من خلق ربك وفضله الدّار عليك فهما افتخرت
كنت مفتخراً بمتاع غيرك .
وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير
فكم من روضة أمست ، وزهرها يانع عميم .. أضحت وزهرها يابس هشيم ؛ إذا
هبت عليها الريح العقيم .
كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم؛ ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم
ذلك تقدير العزيز العليم
ابن آدم
الأقلام عليك تجرى .. وأنت فى غفلة لا تدرى
ابن آدم
دع المغانى والأوتار. والمنازل والديار، والتنافس فى هذه الدار حتى ترى ما فعلت
فى امرك الأقدار.
ـ قال الربيع : سئل الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ [عن القدر ـ فأنشأ
يقول :

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ... ففى العلم يمضى الفتى والمُسن
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن (١)

فنسأل الله تعالى العفو والمعافاة وحسن العاقبة إنه جواد كريم رءوف رحيم .

(١) هنا موضع الخرم من الكتاب ، وقد أكمل بالرجوع إلى مناقب الشافعى للبيهقى (١/٤١٢ ـ ٤١٣) ومختصر التذكرة (١٥)
وينتهى النقص الذى كان فى الكتاب عند قوله : ينادى مناد صـ ٢٨ وراجع مقدمة الكتاب .

الكبيرة السابعة
اليأس من رحمة الله

- قال الله تعالى : «**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**» (يوسف ٨٧) أي : فإنه لا يقنط من رحمته تعالى إلا الجاحدون المنكرون لقدرته جل وعلا (١).
- وقال تعالى : «**إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**» (النساء ٤٨). أي : لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده.
- وقال تعالى : «**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم**» يعنى: أفرطوا فى الجناية على أنفسهم بالمعاصى والآثام «**لا تقنطوا من رحمة الله**» أى : لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته «**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**» أى : إنه تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء وإن كانت مثل زبد البحر «**إنه هو الغفور الرحيم**» (الزمر ٥٣) : أى : عظيم المغفرة واسع الرحمة (٢).
- وقال تعالى : «**ورحمتى وسعت كل شىء**» (الأعراف ١٥٦) أى : عمت خلقى كلهم.
- وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة**» متفق عليه (١٩٥ — ١٩٦)
- وأخرج الترمذى وحسنه عن أنس — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتنى**

---

(١) صفوة التفاسير (٦٦١)

(٢) صفوة التفاسير (١٢٤٧)

ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

عنان السماء (بفتح العين) : قيل : هو السحاب ، وقيل : هو ما عن لك منها ، أي : ظهر، وقراب الأرض (بضم القاف ، وروى بكسرها ، والضم أشهر) : هو ما يقارب ملئها. (٦٦٥)

— وعن أنس أيضاً أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : **كيف تجدك؟** قال : **أرجو الله — يا رسول الله — وإني أخاف ذنوبي ،** فقال رسول الله ﷺ : **«لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»** رواه الترمذي وابن ماجه واسناده حسن. (٤ / ١٤١)

— وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني»** رواه البخاري ومسلم. (٤ / ١٤٢)

— وعنه رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : **«حسن الظن من حسن العبادة»** رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه. (٤ / ١٤٢)

— وعن جابر — رضي الله عنه — أنه سمع النبي ﷺ — قبل موته بثلاثة أيام — يقول : **«لا يموتن أحدكم : إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»** رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه. (٤ / ١٤٢)

— **ومما روى أنه :]**

ينادي منادٍ من قبل العرش : أين فلان ابن فلان؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت : إلا وتضطرب فرائصه.

قال : فيقول الله — عز وجل — لذلك الشخص : أنت المطلوب ، هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض ، فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش ، ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فيلقى الله — عز

وجل ـ عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له: عبدى، أما علمت أنى كنت أشاهد عملك فى دار الدنيا ؟

فيقول : بلى يارب، فيقول الله تعالى : عبدى، أما سمعت بنقمتى وعذابى لمن عصانى ؟ فيقول: بلى يارب.

فيقول الله تعالى : يا عبدى عصيتنى ؟ فيقول: يارب قد كان ذلك.

فيقول الله : عبدى فما ظنك اليوم بى ؟ فيقول : يارب أن تعفو عنى. فيقول الله : عبدى كيف تحققت أنى أعفو عنك ؟

فيقول : نعم يارب، لأنك رأيتنى على المعصية وسترتها على

قال : فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك، وعفوت لك، وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك، فما كان فيه من حسنه فقد قبلتها، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك، وأنا الجواد الكريم.

إلهنا لولا محبتك للغفران، ما أمهلت من يبارزك بالعصيان.

ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم انظر إلينا نظر الرضا، واثبتنا فى ديوان أهل الصفا، ونجنا من ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وأحسن فى جميع الأحوال أعمالنا، وسهل فى جميع رضاك سبلنا، وخذ إلى الخيرات بنواصينا، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الكبيرة الثامنة
التعلم للدنيا وكتمان العلم

ـ قال الله تعالى: «**إنما يخشى الله من عباده العلماء**» (فاطر ٢٨) يعنى: العلماء بالله عز وجل.

قال ابن عباس: **يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى، وعزتى وسلطانى.**

وقال مجاهد والشعبى: **العالم من خاف الله تعالى.**

وقال الربيع بن أنس: **من لم يخش الله فليس بعالم.**

ـ وقال الله تعالى: «**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**» (البقرة ١٥٩) نزلت هذه الآية فى علماء اليهود.

وأراد (بالبينات) الرجم والحدود والاحكام، وبالهدى أمر محمد ـ عليه الصلاة والسلام، ونعته (من بعد ما بيناه للناس) أى بنى اسرائيل (فى الكتاب) أى: فى التوراة (أولئك) يعنى الذين يكتمون (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قال ابن عباس: كل شيء إلا الجن والإنس.

وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته.

ـ وقال الله تعالى: «**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون**» (آل عمران ١٨٧)

قال الواحدى: نزلت هذه الآية فى يهود المدينة: أخذ الله ميثاقهم فى التوراة ليبين شأن محمد ﷺ ونعته، ومبعثه ولا يخفونه، وهو قوله تعالى: «**لتبيننه للناس ولا تكتمونه**» وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما فى كتابهم، وفيه ذكر رسول الله ﷺ.

وقوله : « **فنبذوه وراء ظهورهم** » قال ابن عباس : أى ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم .

« **واشتروا به ثمنا قليلا** » يعنى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم فى العلم .

وقوله : « **فبئس ما يشترون** » قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا .

— وقال رسول الله ﷺ : « **من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة** » يعنى ريحها . رواه أبو داود عن أبى هريرة بإسناد صحيح . **(٥٧٧)**

— وقد مر حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين يسحبون إلى النار أحدهم الذي يقال له : إنما تعلمت ليقال عالم ، وقد قيل .

— وقال ﷺ : « **من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار** » .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم : وقال : صحيح لا غبار عليه (١)(١/٧٣)

— وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « **أعوذ بك من علم لا ينفع** »

رواه مسلم (٥١٧)

— وعن أسامة بن زيد — رضى الله عنه — أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار، فتندلق أقتابه ، فيدور بها ، كما يدور الحمار برحاه ، فتجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : يا فلان ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن الشر وآتيه** » رواه البخارى ومسلم واللفظ له . (١/٧٥)

وقال ابن مسعود من تعلم علما لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرا .

— وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد ، وحفظه أشد من طلبه ، والعمل به أشد من حفظه ، والسلامة منه أشد من العمل به .

فنسأل الله السلامة من كل بلاء ، والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

---

(١) وأقره الذهبى (١/١٠١)

مــوعظة

ابن آدم!

متى تذكر عواقب الأمور؟.. متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟

إلى متى أنت فى جميع ما تبنى تدور؟.. أين من كان قبلكم فى المنازل والدور؟.. أين من ظن بسوء تدبيره أنه لن يحور؟

رحل ــ والله ــ الكل، فاجتمعوا فى القبور، واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور

فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور

كشف الحجاب المخفى وهتك المستور. وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما فى الصدور.. ونصب الصراط، فكم من قدم عثور

ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور.

وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور.. وباءوا بتجارة لن تبور.

ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجىء بالنار تقاد بالأزمة وهى تفور

إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهقياً، وهى تفور

ليس فى الدنيا لمن آ ... من بالبعث سرور

إنما يفرح بالدنـ ... ـيا جهول أو كفور

إنما الدنيا متاع ... كل ما فيها غرور

فتذكر هول يوم ... السما فيه تمور.

الكبيرة التاسعة

الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ

ــ قال الله عز وجل: «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله» أى: بنسبة ما يستحيل عليه من الولد والشريك، وتجويز ما يمتنع عليه، من رضاه بما عليه المشركون وأمره لهم، وغير ذلك من إفكهم «وجوههم مسودة» أى: لما ينالهم من الشدة التى تغير ألوانهم، أو لما يلحقهم من الكآبة [1]:

---

(١) تفسير القاسمى (٥١٤٧) والآية رقم ٦٠ من سورة الزمر.

— قال ابن الجوزى — فى تفسيره — : **وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام، وتحريم حلال كفر محض.**

وإنما الشأن فى الكذب فيما سوى ذلك.

— وقال ﷺ : **«من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»** رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

[وهذا الحديث قد روى عن غير ما واحد من الصحابة فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر والله أعلم]. (١ / ٦٥)

— وعن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال: **«من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»** رواه مسلم وغيره. (١ / ٦٥)

وعن المغيرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن كذباً على ليس ككذب على أحد، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».**

رواه مسلم وغيره. (١ / ٦٥)

— وعن سعد بن أبى وقاص — رضى الله عنه — أن النبى ﷺ قال: **«يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب»** رواه البزار وأبو يعلى، ورواته رواة الصحيح. (٤ / ٢٨)

فنسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم.

الكبيرة العاشرة
التكذيب بالقدر

— قال الله تعالى : «إنا كل شيء خلقناه بقدر» (القمر ٤٩) أي : إنا خلقنا كل شيء حال كونه ملتبساً بتقديرنا له، أو بمقدار في ذاته وصفاته.

قال ابن الجوزي — في تفسيره —: في سبب نزولها قولان:

أحدهما : أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت هذه الآية. انفرد باخراجه مسلم [1].

وروى أبو أمامة [2] أن هذه الآية في القدرية [3].

والقول الثاني : أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا **محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك؟، فنزلت هذه الآية «إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر، إنا كل شيء خلقناه بقدر»** [4]

— وقال تعالى : «**والله خلقكم وما تعملون**» (الصافات ٩٦)

قال ابن جرير : **فيها وجهان:**

أحدهما :أن يكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم

والثاني : أن تكون بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم، وخلق الذي تعملون بأيديكم من الأصنام

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم

---

(١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/١٣٧) كذلك إلى احمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم

(٢) يعني مرفوعا

(٣) عزاه السيوطي (٥/١٣٧) إلى ابن عدي وابن مردويه والديلمي وابن عساكر بسند ضعيف، لكن عزاه بسند جيد إلى عبد الله بن عمرو موقوفاً ومثله لا يقال من قبل الرأي، فحكمه حكم المرفوع.

(٤) ذكره الواحدي بإسناده إلى عطاء مرسلاً، وفيه كذلك جهالة الراوي عنه، فهو ضعيف (٣٠٠) أسباب النزول

- وقال تبارك وتعالى : «**فألهمها فجورها وتقواها**» (الشمس ٨)

الالهام : إيقاع الشيء في النفس

- قال سعيد بن جبير : **ألزمها فجورها وتقواها.**
- **وقال ابن زيد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم.**
- **وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - في قوم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف(١). قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برءاء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال: ما الإيمان؟**

قال : **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.** خرجه مسلم (٢)

- وقوله : «**أن تؤمن بالله**»

الإيمان بالله : هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد.

- **والإيمان بالملائكة** : هو التصديق بعبوديتهم لله «**بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون**»(الأنبياء ٢٦ - ٢٨)
- **والإيمان بالرسل** : هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله - تعالى - رسالاته، وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

---

(١) هو بضم الهمزة والنون، أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وراجع شرح النووي (١٥٦/١)

(٢) صحيح مسلم (١٥٦/١ - ١٥٧)

- **والإيمان باليوم الآخر :** هو التصديق بيوم القيامة ، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت ، والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط ، والجنة والنار، وأنها دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين. إلى غير ذلك مما صح به النقل .
- [**والإيمان بالكتب :** هو التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه إلى من اصطفى من رسله ــ عليهم السلام ــ فجمع ودون فكان صحفا مطهرة وكتبا قيمة . فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلا ، ومالم يعرف آمن به إجمالا] (١) .
- **والإيمان بالقدر :** هو التصديق بما تقدم ذكره

وحاصله : ما دل عليه قوله سبحانه : « **والله خلقكم وما تعملون** » (الصافات ٩٦)

وقوله : « **إنا كل شيء خلقناه بقدر** » (القمر ٤٩)

وقوله تعالى : « **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ، ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** » (الحديد ٢٢)

— ومن ذلك قوله ﷺ فى حديث ابن عباس : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك .**

وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح (٤٣)

— ومذهب السلف وأئمة الخلف : أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنا حقا سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم .

— وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : « **كتب**

---

(١) هذه الزيادة من عقيدة المؤمن (٢٢٥)

الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» (1).

- [وفيه أيضاً عن جابر أن رجلا قال: **يا رسول الله فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟**
قال: **لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير**
قال: **ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر»** (2)]
- **وقال** ﷺ : **«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»** خرجه أحمد ومسلم من حديث ابن عمر (3)
- [وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **«القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»** رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى العزوى، وهو ثقة] (4)
- وروى أنه إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون، أين خصماء الله؟
فتقوم القدرية، فيؤمر بهم إلى النار يقول الله : **«ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر»**.
وإنما قيل هم : خصماء الله، لأنهم يخاصمون فى أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها.
- وروى أنه ما بعث الله نبيا قط إلا وفى أمته قدريه ومرجئة. **«إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً»**.
- وجاء فى الأثر : **«القدرية مجوس هذه الأمة»**.
- وجاء كذلك : **«لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف»**.

---

(1) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٤)
(2) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٠ — ٢٠٤١)
(3) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٥)
(4) مجمع الزوائد (٧/٢٠٥)

ـــ وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : **« والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له : ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر ».**

فصــل

أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السُنة التى توفى عليها رسول الله ﷺ :

ـــ أولها الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره . والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمره الله به ، والنهى عما نهى الله عنه ، واخلاص العمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين ، والمسح على الخفين . والجهاد مع كل خليفه برا وفاجرا ، والصلاة على من مات من أهل القبلة .

ـــ والإيمان : قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

ـــ والقرآن كلام الله ، نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق .

ـــ والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا .

ـــ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة ، وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها .

ـــ ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبى ﷺ

ـــ والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ .

ـــ وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ابن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

ـــ ونترحم على جميع أزواج النبى ﷺ وأولاده وأصحابه رضى الله عنهم اجمعين .

موعظة

عباد الله

أين الذين كنزوا الكنوز ، وجمعوا .. وثملوا من الشهوات وشبعوا ؟

وأمّلوا البقاء .. فما نالوا فيها ما طمعوا .. وفنيت أعمارهم بما غُروا به وخدعوا ؟

نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ..

وجاءهم ملك الموت فذلوا، وخضعوا ..
وأخرجهم من ديارهم، فلا ــ والله ــ ما رجعوا
فهم مفترقون فى القبور، فإذا نفخ فى الصور اجتمعوا

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع
لقد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون فى البحر لا يخشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا ... وخصمه الجلد والابصار والسمع
واذ يقومون والاشهاد قائمة ... والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة ... فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأبناء واقعة .. ... عما قليل وما تدرى بما تقع
أفى الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم ... إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغنى ولا جزع

الكبيرة الحادية عشرة
الغدر وعدم الوفاء بالعهد

- قال الله تعالى: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً» (الاسراء ٣٤)
قال الزجاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد.
- وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» (المائدة ١)
قال الواحدى: قال ابن عباس - فى رواية الوالبى -:
العقود: يعنى: ما أحل وحرم، وما فرض، وما حد فى القرآن
وقال الضحاك: **بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم، وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود، وكذا العقود جمع عقد، والعقد بمعنى المعقود. وهو الذى أحكم مما فرض الله علينا، فقد أحكم ذلك، ولا سبيل إلى نقضه بحال. وقال مقاتل بن حيان: أوفوا بالعقود التى عهد الله إليكم فى القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها، ونهيه الذى نهاكم عنه، وبالعهود التى بينكم وبين المشركين، وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم.**
- وقال النبى ﷺ: **«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذ ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».** مخرج فى الصحيحين. (٤ / ٤٣)
- وقال رسول الله ﷺ: **«لكل غادر لواء يوم القيامة - يعرف به - يقال: هذه غدرة فلان»** رواه مسلم. (٤ / ٤٤)
- وقال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم - يوم القيامة: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره»** أخرجه البخارى. (٤/٤٤)

— وقال رسول الله ﷺ : «**من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم عن ابن عمر الميتة (بكسر الميم). (٢٨٤)

— وقال ﷺ : «**فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**» رواه مسلم عن ابن عمر كذلك. (٢٨٦)

الكبيرة الثانية عشرة

الجدال والمراء واللدد

— قال الله تعالى «**ومن الناس من يعجبك قوله**» أى: ومن الناس فريق يروقك كلامه ويثير اعجابك بقوة بيانه ولكنه منافق كذاب «**فى الحياة الدنيا**» أى: فى هذه الحياة فقط أما الآخرة فالحاكم فيها علام الغيوب الذى يطلع على القلوب والسرائر «**ويشهد الله على ما فى قلبه**» أى يظهر لك الإيمان ويبارز الله بما فى قلبه من الكفر والنفاق «**وهو ألد الخصام**» أى: شديد الخصومة يجادل بالباطل، ويتظاهر بالدين والصلاح بكلامه المعسول «**وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها**» أى: إذا انصرف عنك عاث فى الأرض فساداً «**ويهلك الحرث والنسل**» أى: يهلك الزرع وما تناسل من الإنسان والحيوان «**والله لا يحب الفساد**» (البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٥) أى يبغض الفساد ولا يحب المفسدين (١).

— ومما يذم من الألفاظ: المراء والجدال والخصومة (٢).

قال الإمام حجة الإسلام الغزالى ـ رحمه الله ـ: **المراء طعنك فى كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض، سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه.**

قال: وأما الجدال، فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها

---

(١) صفوة التفاسير (١٣٣)

(٢) الاذكار (٣٣٠ ـ ٣٣١) والاحياء (١١٥/٣ ـ ١١٧).

قال : **وأما الخصومة فلجاج فى الكلام ليستوفى به مقصودا من مال أو غيره، وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً**. هذا كلام الغزالى وقال النووى : «**اعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل**»

قال الله تعالى : «**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن**» (العنكبوت ٤٦)، وقال تعالى «**وجادلهم بالتى هى أحسن**» (النحل ١٢٥)، وقال تعالى : «**ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا**» (غافر ٤).

قال : فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا، وإن كان فى مدافعة الحق، أو كان جدالا بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة فى إباحته وذمه، والمجادلة والجدال بمعنى واحد.

- قال بعضهم : **ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أشغل للقلب من الخصومة.**
- فإن قلت : لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه.

فالجواب ــ ما أجاب به الغزالى رحمه الله ــ:

اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل، وبغير علم، كوكيل المتقاضى، فإنه يتوكل فى الخصومة قبل أن يعرف الحق فى أى جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل فى الذم ــ أيضاً ــ من يطلب حقه. لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والكذب والإيذاء والتسلط على خصمه.

وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى، وليس له إليها حاجة فى تحصيل حقه.

وكذلك من يحمله على الخصومه محض العناد لقهر الخصم وكسره.

فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد، ولا ايذاء. ففعله هذا ليس حراماً، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً؛ لأن ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرته، ويطلق لسانه فى عرضه.

فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب، حتى إنه يكون فى صلاته وخاطره متعلق بالمحاجه والخصومه، فلا تبقى حاله على الاستقامة. والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء.

فينبغى للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لابد منها.

- وعن أبى أمامة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة، ومن تركه وهو محق بنى له فى وسطها، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها**» رواه أبو داود والترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن. (١ / ٨٠)

- وجاء عن على ــ رضي الله عنه ــ قال: «**أن الخصومة لها قحم**»

قلت: القحم (بضم القاف وفتح الحاء المهملة): هى المهالك.

فصل

- عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه: إلا أوتوا الجدل**» ثم قرأ «**ما ضربوه لك إلا جدلا**» (الزخرف ٥٨) رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما وقال الترمذى: حديث حسن صحيح (١ / ٨١)

- وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المراء فى القرآن كفر**» رواه أو داود وابن حبان فى صحيحه (١ / ٨٢)

- [وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**» رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

الألـد :هو الشديد الخصومة، والخصم (بكسر الصاد المهملة): هو الذى يحج من يخاصمه.] (٨٢/١)

- وروى أن من جادل فى خصومة ــ بغير علم ــ لم يزل فى سخط حتى ينزع.
- وروى كذلك: كفى بك إثما أن لا تزال مخاصماً.
- وجاء فى الأثر: **«أخوف ما أخاف عليكم: زلة عالم، وجدال منافق فى القرآن، ودنيا تقطع أعناقكم».**

فصــل

يكره التقعير فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع وبالفصاحة والتصنع بالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون فكل ذلك من التكلف المذموم، بل ينبغى أن يقصد فى مخاطبته لفظاً يفهمه صاحبه فهماً جلياً ولا يستثقله.

- روينا فى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»** قال الترمذى حديث حسن. (٦٠٩)
- وروينا فيه أيضاً عن جابر ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلى، وأبعدكم منى يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»** قال الترمذى: حديث حسن. (٦٠٩)

قال: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدق: من يتطاول على الناس فى الكلام ويبذو عليهم.

- واعلم أنه لا يدخل فى الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ؛ إذا لم يكن فيها إفراط، وإغراب لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله ــ تعالى ــ ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر والله أعلم.

الكبيرة الثالثة عشرة
عدم التنزه من البول
وهو شعار النصارى

- قال الله تعالى : « **وثيابك فطهر** » (المدثر ٤)
- وعن ابن عباس رضى الله عنهما ــ قال : « **مر النبى ﷺ بقبرين ، فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، بلى إنه كبير أما أحدهما : فكان يمشى بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** »
رواه البخارى ومسلم وغيرهما (١/ ٨٦)
- وقال رسول الله ﷺ : « **عامة عذاب القبر فى البول ، فاستنزهوا من البول** » رواه الدارقطنى عن ابن عباس ، من رواية أبى يحيى القتات وقال : اسناده لا بأس به والقتات مختلف فى توثيقه (١ / ٨٦)
- ثم إن من لم يتحرز من البول فى بدنه وثيابه فصلاته غير مقبوله
- وروى الحافظ أبو نعيم فى الحلية عن شفى بن ماتع مرفوعاً .

« **أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى : يسعون بين الحميم والجحيم ، يدعون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى** » ؟

قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحاً ودما ورجل يأكل لحمه

قال : فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

قال : فيقول : إن الأبعد مات ، وفى عنقه أموال الناس ، لم يجد لها فضلا

ـــ أو قال: وفاء ـــ ثم يقال للذى يجر أمعاءه: ما بال الأبعد، قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

قال : فيقول : إن الأبعد كان لا يبالى أين أصاب البول منه ثم لا يغسله

ثم يقال للذى يسيل فوه قيحاً ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة (١) خبيثة يستلذها ويستلذ الرفث.

ثم يقال للذى يأكل لحمه : ما بال الأبعد، قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟

قال : فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس [بالغيبة] (٢) ويمشى بالنميمة (٣) فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

موعظة

أيها العبيد

تذكروا فى مصارع الذين سبقوا ... وتدبروا فى عواقبهم أين انطلقوا ؟
واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ... أما أهل الخير فسعدوا، وأما أهل الشر فشقوا

فانظر لنفسك، قبل أن تلقى ما لقوا

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتسق (٤)
يزداد حتى إذا ماتم أعقبه ... كر الجديدين (٥) نقصا ثم يمتحق (٦)

(١) القذع (بفتحتين): الفحش من الكلام الذى يقبح ذكره ـــ قاله فى اللسان

(٢) الزيادة من رواية الترغيب

(٣) وإسناده لين، وشفى بن ماتع مختلف فى صحبته، وقد ذكره البخارى وابن حبان فى التابعين قاله المنذرى (٥٩٩/٣) وهذا لفظ الزهد (٩٤) من الزيادات.

(٤) اتسق القمر: استوى وامتلأ كذا فى المعجم الوجيز.

(٥) كر الجديدين : تعاقب الليل والنهار.

(٦) المحاق: تناقص جرم القمر وضوء بعد انتهاء ليالى اكتماله.

كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلى خرق

ومات مبتسم جدَّ المشيب به ... كالليل ينهض فى أعجازه الأفق

عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين إلى الدنيا وقد صُدِقوا

وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتبغيص قد طرقوا

دار تعد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق

يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان، ومغرورها يثق

أقول، والنفس تدعونى لزخرفها ... أين الملوك، ملوك الناس والسوق ؟

أين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق

أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا

يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... إن اغتراراً بظل زائل حمق.

معانى المفردات :

البلى : بلى الثواب بلىً رث وخلق.

جد المشيب به : اسرع الشيب به إلى حتفه.

كالليل .. : مشبَّها بالليل يكون ضوء النهار فى أواخره.

نغصت : كدرت فرق : خائف.

السوق : جمع سوقة وهم أوساط الناس.

جنحوا : مالوا مرتفق : ما ينتفع به.

الكبيرة الرابعة عشرة
تعمد ترك الصلاة

— قال تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ، ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك ، فأولئك هم الخاسرون**» (المنافقون ٩)

قال المفسرون : المراد بذكر الله — فى هذه الآية — الصلوات الخمس فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها ، كان من الخاسرين.

وهكذا قال النبى — ﷺ :— «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله**» رواه الطبرانى ولا بأس بإسناده (١ / ١٤٣)

— وقال تعالى — مخبراً عن أصحاب الجحيم : «**ما سلككم فى سقر؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين**» (المدثر: ٤٢—٤٨)

— وقال النبى — ﷺ —: «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» خرجه الأربعة وصححه الترمذى وغيره (١ / ١٩٤)

— وقال النبى — ﷺ — : «**بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة**» خرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وهذا لفظه (١ / ١٩٤)

— وفى صحيح البخارى أن رسول الله — ﷺ — قال : «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**». (١ / ١٦٩)

- وفى معجم الطبرانى الأوسط عن معاذ رضى الله عنه: أن رسول الله - ﷺ - قال: «**لا تترك الصلاة متعمداً، فإن من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله**»، ولا بأس بإسناده فى المتابعات (١/١٩٦)

- وقال - ﷺ -: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**» متفق عليه. (٤٤٠)

- وقال - ﷺ -: «**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان، ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف**» رواه أحمد بإسناد جيد. (١/١٩٧)

- وقال بعض العلماء - رحمهم الله -: «**وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته، أو بتجارته**».

فإن اشتغل بماله حشر مع قارون.

وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون.

وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان.

وإن اشتغل بتجارته حشر مع أبى بن خلف تاجر الكفار بمكة

- ولما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين قال: **نعم، أما إنه لاحظ لأحد فى الإسلام أضاع الصلاة**.

وصلى - رضى الله عنه - وجرحه يثعب[1] دما.

- وقال عبد الله بن شقيق التابعى - رضى الله عنه -: «**كان أصحاب محمد - ﷺ - لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**» رواه الترمذى - فى كتاب الإيمان - بإسناد صحيح. (٤١٠)

---

(١) يثعب (بفتح فسكون ففتح): يجرى كما فى اللسان (ثعب)

- وسئل على — رضى الله عنه — عن امرأة لا تصلى، فقال: «**من لم يصل فهو كافر**» رواه البخارى فى تاريخه وغيره (١/١٩٧)

- وقال ابن مسعود — رضى الله عنه — **من لم يصل فلا دين له.**
- وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — **من ترك الصلاة فقد كفر** وهو قول ابراهيم النخعى وأيوب السختيانى.

- وقال عون بن عبد الله: **إن العبد إذا أدخل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه، فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر فى شيء من عمله بعده.**

- وقال ابن حزم: **لا ذنب — بعد الشرك — أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق.**

- وقد اختلف العلماء — رحمهم الله — فى حكم تارك الصلاة فقال مالك والشافعى وأحمد — رحمهم الله —: **تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف فى رقبته،** [وقال بعض الشافعية: **يضرب بالخشب إلى أن يصلى أو يموت، وقال ابن شريح ينخس بالسيف حتى يموت لأنه أبلغ فى زجره وأرجى لرجوعه وقال أبو حنيفة وداود والمزنى وغيرهم: يحبس حتى يموت أو يتوب، ولا يقتل**](١) ثم اختلفوا فى كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها.

فقال إبراهيم النخعى وأيوب السختيانى وعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه: **هو كافر.**

واستدلوا بقول النبى — ﷺ —: «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**». رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (١/١٩٤).

وبقوله — ﷺ —: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**».

رواه أحمد ومسلم (١/١٩٤)

(١) مستفادة من كتاب الصلاة لابن القيم (٤)

ـ وروى أنه أول من يسود ـ يوم القيامة ـ وجوه تاركى الصلاة وأن فى جهنم وادياً يقال له : لملم فيه حيات : كل حية بثخن رقبة البعير، طولها مسيرة شهر، تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه ..

حكاية

روى أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى ـ عليه السلام ـ فقالت يارسول الله إنى أذنبت ذنباً عظيماً، وقد تبت منه إلى الله تعالى، فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على.

فقال لها موسى ـ عليه السلام ـ : وما ذنبك ؟

قالت : يا نبى الله إنى زنيت، وولدت ولدا فقتلته.

فقال لها موسى ـ عليه السلام ـ : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ وقال : يا موسى الرب تعالى يقول : لم رددت التائبة ؟ يا موسى أما وجدت شرا منها ؟

قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامداً متعمداً.

فصل

فى الزجر عن تأخير الصلاة عن وقتها

ـ قال الله تعالى : **«فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً»**
(مريم : ٥٩)

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ :

«ليس معنى أضاعوها، تركوها بالكلية، ولكن أخروها عن أوقاتها».

وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين ـ رحمه الله ـ :

«هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر، ولا يصلى العصر إلى المغرب، ولا يصلى المغرب إلى العشاء، ولا يصلى العشاء إلى الفجر، ولا يصلى الفجر حتى تطلع الشمس»

فمن مات وهو مصر على هذه الحالة، ولم يتب، وعده الله بغى وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وقال -تعالى- فى آية أخرى: «**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**» (الماعون ٤ ـ ٥) أى: غافلون عنها، متهاونون بها.

— **وسئل** سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن الذين هم عن صلاتهم ساهون. قال: «هو تأخير الوقت» أى: تأخير الصلاة عن وقتها.

سماهم مصلين، لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها، وعدهم بويل وهو شدة العذاب، وقيل: هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب الله عليه ويندم على ما فرط.

— وقال تعالى فى آية أخرى: «**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم، ولا أولادكم عن ذكر الله، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**» (المنافقون: ٩)

— [وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: **ما صلى رسول الله ـ ﷺ ـ الصلاة لوقتها الأخير حتى قبضه الله**» خرجه الحاكم فى المستدرك وصححه على شرط الشيخين (١)].

— وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ أى العمل أفضل؟ قال: «**أفضل العمل الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد**» رواه أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح. (١/١٤٨)

— وروى أنه من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني.

ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها

(١) وافقه الذهبى (١ / ١٩٠)

ولا سجودها خرجت، وهى سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه (١).

- وعن عبد الله بن عمر وبن العاص - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ - «**ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دباراً - والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته - ورجل اعتبد محرره**» رواه أبو داود وابن ماجه (٢). (١/ ١٧٠)

- وروى أنه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر (٣).

- وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «**إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله - عز وجل - فيأمر به إلى النار**».
فيقول: يارب لماذا؟ فيقول الله تعالى: «لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذباً».

حكاية عن بعض السلف

أنه أتي أختا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها ناراً، فرد التراب عليها.

ورجع إلى أمه باكياً حزيناً، فقال: يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل؟

قالت: وما سؤالك عنها؟

قال: يا أمى، رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً.

قال: فبكت: وقالت: يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط مرفوعا، ورمز المنذرى لضعفه (١ / ١٤٩).

(٢) فى إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى وهو ضعيف. قاله المنذرى كما فى عون المعبود (٢/٣٠٤).

(٣) خرجه الحاكم فى المستدرك (١ /٢٧٥) وأعله الذهبى بحنش بن قيس ضعيف.

فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف حال من لا يصلى؟
فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يعيننا على **المحافظة** عليها فى أوقاتها إنه جواد كريم.

فصل

متى يؤمر الصبى بالصلاة؟

روى أبو داود فى السنن أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين**» حديث حسن رواه أبو داود والترمذى، وفى رواية: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع**» حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن. **(١٤٨)**

قال الإمام أبو سليمان الخطابى ـ رحمه الله ـ:
هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركا لها، وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ يحتج به فى وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب، وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل.

فصل

فى عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها

- قد روى فى تفسير قوله تعالى: **« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »** (الماعون: ٤ــ٥) أنه الذى ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

- وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ: أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ــ ﷺ ــ جالس فى ناحية المسجد ــ فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله ــ ﷺ ــ: **« وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل فصلى، ثم جاء فسلم فقال: وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل فصلى، ثم جاء فسلم فقال: وعليك السلام فارجع فصل فإنك لم تصل فقال ــ فى الثانية أو التى تليها ــ: علمنى يا رسول الله فقال: إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تستوى قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تستوى قائماً. ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها.** (١/١٨٣)

- وروى الإمام أحمد عن أبى مسعود البدرى قال: قال: رسول الله ــ ﷺ ــ: **« لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود »** ورواه أبو داود أيضاً، والترمذى وقال: حديث حسن صحيح وفى رواية أخرى: **« حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود »** (١ / ١٨١)

فهذا نص عن النبى ــ ﷺ ــ فى أن من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة.

فهذا فرض فى الصلاة، وكذا الطمأنينة، وهى أن يستقر كل عضو فى موضعه.

- وثبت عنه ــ ﷺ ــ أنه قال: **« أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته؟ »**، قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟

قال : « **لا يتم ركوعها ولا سجودها** » صححه ابن خزيمة والحاكم [1]

— وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — ﷺ — قال : « **لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده** » وإسناده جيد. (١ / ١٨٣)

— وقال — ﷺ — : « **تلك صلاة المنافق؛ يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا** » رواه مسلم [2].

— وروى الطبراني بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله — ﷺ —: رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي.
فقال رسول الله — ﷺ —: « **لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد — ﷺ —** ». (١ / ١٨٢)

— وعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن رسول الله — ﷺ — قال : « **أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة، وأشار بيده على أنفه واليدين والركبتين و القدمين** » متفق عليه.
وفي رواية : « **أمرت أن أسجد على سبع، ولا أكفت الشعر ولا الثياب: الجبهة والأنف، واليدين والركبتين والقدمين** » رواه مسلم والنسائي [3].
فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته.

— وروى أنه : « ما من مصل إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره فإن أتمها عرجا بها، وإن لم يتمها ضربا بها على وجهه » [4].

---

(١) وأقره الذهبي (١ / ١٨١)   (٢) صحيح مسلم (١ / ٤٣٤)

(٣) نيل الأوطار (٢ / ٢٥٨) والكفت : الجمع والضم قال النووي : اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبه مشمر أو كمه أو نحوه، أو رأسه معقوص أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك، فكل هذا منهي عنه باتفاق العلماء، وهو كراهة تنزيه، فلو صلى كذلك فقد أساء وصحت صلاته. (٤ / ٢٠٩)

(٤) رواه الاصبهاني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً ورمز المنذري لضعفه (١٨٣/١)

- وعن سلمان الفارسي – رضى الله عنه – قال: «**الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين**» قال تعالى: «**ويل للمطففين**» (المطففين: ١) والمطفف: هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذرع أو الصلاة، وعدهم الله بويل وهو واد – فى جهنم – تستغيث جهنم من حره نعوذ بالله منه.

- وروى البخارى(١) أن حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – رأى رجلاً يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة: «**ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله محمداً ﷺ**».

وفى رواية النسائى(٢) أنه قال: «**منذ كم تصلى هذه الصلاة؟**»، قال: منذ أربعين سنة قال: «ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد ﷺ».

- وكان الحسن البصرى يقول: «**يا ابن آدم أى شىء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك. وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة**».

كما ورد من قول النبى – ﷺ –: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة – من عمله – صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شىء قال الرب عز وجل: «انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا؟»**»

رواه الترمذى، وقال: **حديث حسن** **(٤١١)**

فينبغى للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق.

---

(١) صحيح البخارى (٢٠٠/١) (٢) سنن النسائى (٥٨/٣)

الكبيرة الخامسة عشرة

ترك صلاة الجماعة من غير عذر

ـ قال الله تعالى «**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**» (القلم: ٤٢ ـ ٤٣).

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة، وقد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود.

وقال إبراهيم التيمى: **يعنى إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة.**

وقال سعيد بن المسيب: **كانوا يسمعون (حى على الصلاة، حى على الفلاح) فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون.**

وقال كعب الأحبار: **والله ما نزلت هذه الآية إلا فى الذين تخلفوا عن الجماعة.**

فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة فى الجماعة مع القدرة على إتيانها؟

ـ وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فى الجماعة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**».

وفى رواية لمسلم أيضاً من حديث أبى هريرة:

«**لقد هممت أن آمر فتيتى فيجمعوا لى حزما من حطب ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم**» (١/ ١٥٦)

ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار إلا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع.

— وعن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: «**أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال. يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد.**

فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه، فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال: نعم، قال: فأجب» رواه مسلم. (٤٠٦)

— وروى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه عن عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه قال: «**قلت: يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار، ولي قائد لا يلايمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟**

قال: تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: ما أجد لك رخصة»[1].

قوله: شاسع الدار: أي بعيد الدار.

لا يلايمني: أي لا يوافقني (١/ ١٥٧)

فهذا رجل ضرير البصر شكا ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد، وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يرخص له النبي – ﷺ – في الصلاة في بيته. فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له؟

— وقد روى أبو داود في سننه وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله – ﷺ –: «**من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر – قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض – لم تقبل منه الصلاة التي صلى**» يعني في بيته. (١/١٥٦)

ولهذا لما سئل ابن عباس – رضي الله عنهما – عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يصلي في جماعة، ولا يجمع، فقال: **إن مات على هذا فهو في النار.**

— وقال أبو هريرة – رضي الله عنه: «**لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب**».

(١) وحسنه النووي في رياض الصالحين لكنه أورد لفظ أبي داود (٤١٧).

- وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من يسمع الأذان».

- وقال أيضاً: «من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر».

- وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله - تعالى - شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم.

ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق.

ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف». (١ / ١٥٠)

يعني يتكيء عليهما من ضعفه حرصا على فضلها وخوفا من الإثم في تركها.

- [وقال ابن المنذر: «روينا عن غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ - أنهم قالوا: من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له» منهم ابن مسعود وابو موسى الأشعري.

وممن كان يرى أن حضور الجماعات فرض، عطاء وأحمد بن حنبل وأبو ثور وقال الشافعي - رضي الله عنه - «لا أرخص لمن قدر على صلاة الجماعة في ترك إتيانها إلا من عذر».

- وقال الخطابي - بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم - : «وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندبا لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف، ومن كان في مثل حال ابن أم مكتوم».

- وكان عطاء ابن أبى رباح يقول: «ليس لأحد من خلق الله فى الحضر والقرية رخصة إذا سمع النداء فى أن يدع الصلاة».
- وقال الأوزاعى: «لا طاعة للوالد فى ترك الجمعة والجماعات»](1).

فصل

- وفضل صلاة الجماعة عظيم.

كما فى تفسير قوله تعالى: «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» (الأنبياء: ١٠٥).

أنهم المصلون الصلوات الخمس فى الجماعات.

وفى قوله تعالى: «ونكتب ما قدموا وآثارهم» (يس: ١٢) أى خطاهم.

- وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة». (٤٠٦)
- وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط». (١ / ١٤٩)
- ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد.

فإن النبى ﷺ قال: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا» متفق عليه (٤٠٨).

---

(١) الزيادة من الترغيب (١/١٥٧).

- وقال ابن عمر رضي الله عنهما «**كنا إذا فقدنا الإنسان في صلاة العشاء والصبح أسأنا به الظن**» يعني: أن يكون قد نافق.

أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين[1]:

- كان الربيع بن خيثم قد سقط شقه في الفالج[2] فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين، فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك، أنت معذور، فيقول: هو كما تقولون، ولكن أسمع المؤذن يقول حي على الصلاة، حي على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل.

- وقال حاتم الأصم: فاتتني – مرة – صلاة الجماعة، فعزاني أبواسحق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان.

لأن مصيبة الدين عند الناس – أهون من مصيبة الدنيا.

- وكان بعض السلف يقول: ما فاتت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه.

- وقال ابن عمر: خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: «إن لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة» ليكون كفارة لما صنع عمر – رضي الله عنه.

والحائط: البستان فيه النحل.

حكاية

عن عبيد الله بن عمر القواريري – شيخ البخاري ومسلم – رضي الله عنهم – قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط.

فنزل بي – ليلة – ضيف فشغلت بسببه، وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد.

---

(١) وأقره الذهبي (١/ ٢١١)

(٢) مرض يحدث في أحد شقي البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته (٥٧٨) المصباح.

فرجعت إلي بيتى، وقلت: قد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة. ثم نمت، فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل، وأنا أيضا على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض فرسى، فلا ألحقهم.

فالتفت إلى أحدهم فقال: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا.

قلت: ولم؟ قال: لأنا صلينا العشاء فى جماعة وأنت صليت وحدك.

فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك.

فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم.

الكبيرة السادسة عشرة
الإصرار على ترك صلاة الجمعة

- [قال تعالى: «**ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة**» أى: يا معشر المؤمنين المصدقين بالله ورسوله، إذا سمعتم المؤذن ينادى لصلاة الجمعة ويؤذن لها «**فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**» أى: فامضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة واتركوا البيع والشراء «**ذلكم خير لكم**» فإن نفع الآخرة أجل وأبقى «**إن كنتم تعلمون**» العلم القويم[1] (الجمعة ٩)]

- وعن حفصة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ -: «**رواح الجمعة واجب على كل محتلم**»[2] أى على كل بالغ.

- وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «**لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم**» رواه مسلم. (١ / ٢٥٩)

- وعن أبى هريرة وابن عمر - رضى الله عنهم - قال رسول الله - ﷺ -: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على**

---

(١) صفوة التفاسير (٣/٣٨٠).

(٢) رواه النسائى. قال الشوكانى: رجال إسناده رجال الصحيح إلا عياش بن عياش وقد وثقه العجلى (٣/٢٢٧)

قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» رواه مسلم (٤٢٦ ــ ٤٢٧)

ودعهم (بفتح الواو وسكون الدال) : تركهم.

ــ وعن أبى الجعد الضمرى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ ﷺ ــ أنه قال : «**من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه**».

حسنه الترمذى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم. (١ / ٢٥٩)

ــ وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ «**من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره**» رواه أبو يعلى موقوفاً بإسناد صحيح. (١ / ٢٦١)

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

الكبيرة السابعة عشرة

لبس الحرير والذهب للرجال

ــ فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : «**من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**» وهذا عام فى الجند وغيرهم.

لقوله ــ ﷺ ــ : «**حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى وأحل لإناثهم**» رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح. (٣٣٤)

ــ وعن حذيفة بن اليمان ــ رضى الله عنه ــ قال : «**نهانا رسول الله ــ ﷺ ــ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه**» أخرجه البخارى. (٣٣٤)

ــ فمن استحل لبس الحرير ــ من الرجال ــ فهو كافر.

وإنما رخص فيه الشارع ــ ﷺ ــ لمن به حكة أو جرب أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو فعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : «**رخص رسول الله ــ ﷺ ــ للزبير وعبد الرحمن بن عوف ــ رضى الله عنهما ــ فى لبس الحرير لحكة كانت بهما**» متفق عليه. (٣٣٤)

- وأما لبس الحرير للزينة فى حق الرجال فحرام باجماع المسلمين سواء كان قباء[1] أو قبطي[2] أو كلوثة، وكذلك إذا كان الأكثر حريرا كان حراما.

وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال، سواء كان خاتماً، أو حياصه[3]، أو سقط سيف، حرام لبسه وعمله.[4]

وقد رأى النبى - ﷺ - فى يد رجل خاتماً من ذهب فنزعه وقال: **«يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده»** رواه مسلم (٣/ ١٠٤)

وكذلك طراز[5] الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال.

- واختلف العلماء فى جواز الباس الصبى الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله - ﷺ - عن الذهب والحرير: **«إن هذين حرام على ذكور أمتى»** رواه أبو داود بإسناد حسن. (٣٣٤)

فدخل الصبى فى النهى، وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

---

(١) قال فى المعجم الوجيز (٤٨٩): القَبَاء: ثوب يلبس فوق الثياب، أو القميص ويتمنطق عليه.

(٢) القبطية: ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر. اللسان (قبط)

(٣) الحياصة: سير طويل يشد به حزام الدابة. اللسان (حيص)

(٤) يجوز للرجل تحلية آلات الحرب بالفضة خاصة وذلك فى السيف والرمح والسكين.
أما التحلية بالذهب فحرام فى جميع ذلك قليلاً كان أو كثيراً، ويحرم على الرجل لبس الذهب والتحلى به مطلقاً، أما اتخاذ أنف أو سن فيجوز للحاجة ١هـ مختصراً (١٦٦) مستند الاجناد.

(٥) طرز الثوب أى وشاه وزخرفه: جعل له طرازاً فطراز الذهب: زخرفة من ذهب تكون فى الثوب.
وراجع المصباح والمعجم الوجيز.

الكبيرة الثامنة عشرة
تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

– فى الصحيح عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : « **لعن رسول الله – ﷺ – المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال** » رواه البخارى وأبو داود. (٣ / ١٠٥)

– وفى رواية للبخارى : « **لعن رسول الله – ﷺ – المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء** » والمخنث (بفتح النون وكسرها) : من فيه انخناث، وهو التكسر، والتثنى كما يفعله النساء، والمترجلة : التى تتشبه بالرجال فى لبسهم وحديثهم.

– وفى رواية : لعن الله الرجلة من النساء وإسناده حسن. (٣ / ١٠٥)

– وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : « **لعن رسول الله – ﷺ – الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل** ».
رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم. (٣/١٠٦)

– فإذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة، فقد شابهت الرجال فى لبسهم، فتلحقها لعنة الله ورسوله، ولزوجها إذا أمكنها من ذلك، أى رضى به، ولم ينهها ؛ لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله، ونهيها عن المعصية، لقول الله – تعالى – « **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** ». (التحريم ٦)

أى : أدبوهم، وعلموهم، ومروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصية الله، كما يجب عليكم ذلك فى حق أنفسكم.

ولقول النبى - ﷺ -: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، الرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته**» رواه البخارى ومسلم وغيرهما. (٣/ ٨٣)

- وعن أبى بكرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «**هلكت الرجال حين أطاعت النساء» خرجه الحاكم وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**(١).

- وقال الحسن: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى، إلا أكبه الله تعالى فى النار.

- وقال - ﷺ -: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس.**
ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم وغيره. (٣/ ١٠١)

قوله: (كاسيات): أى من نعم الله (عاريات) من شكرها.
وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً، يصف لون بدنها.
ومعنى مائلات: قيل: عن طاعة الله، وما يلزمهن حفظه.
مميلات: - أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم.
وقيل: مائلات: متبخترات، مميلات لأكتافهن.
وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء، وهى مشطة البغايا.
ومميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة.
رءوسهن (كأسنمة البخت)، أى يكبرنها، ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو **نحوهما**

- وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو، عند الزبير بن عبد المطلب، إذا أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبه قوساً، فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة.

---

(١) واقره الذهبى (٤/ ٢٩١) وعزاه فى المقاصد الحسنة (٤٥٦) للمسند

فالتفت إلى ابن عمرو، فقال: «**إن الله تعالى لعن على لسان نبيه المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء**».

— ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت.
ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام إلى غير ذلك إذا خرجت.

— وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه، ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة وهذه الأفعال قد غلبت على أكثر النساء.
قال عنهن النبى ﷺ «**واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**». رواه مسلم (١)
وقال ـ ﷺ ـ: «**ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء**» رواه مسلم (٢).
فنسأل الله أن يقينا فتنتهن، وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه.

موعظة

ابن آدم . .

كأنك بالموت وقد فجأك وهجم . . وألحقك بمن سبقك من الأمم.
ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم . . ومن ذلك إلى عسكر الموتى بخيمة بين الخيم.
مفرقا من مالك ما اجتمع، ومن شملك ما انتظم . . ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم وندمت على التفريط غاية الندم. . فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم ..
متى تحذر مما توعد وتهدد؟ . . ومتى تضرم نار الخوف ـ فى قلبك ـ وتتوقد؟

(١) صحيح مسلم (١٧ / ٥٣)
(٢) صحيح مسلم (١٧ / ٥٤)

إلى متى حسناتك تضمحل ، وسيئاتك تتجدد ؟
إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد ؟
إلى متى أنت بين الفتور والتوانى تتردد ؟
متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ؟
متى تترك م يفنى فيما لا ينفد .

متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجا .. ؟ متى تكون فى الليل قائما إذا سجا ؟
أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ؟ . . وقاموا فى الدجى وركعوا وسجدوا ؟
وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا .. وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ؟
لقد ساروا وتخلفت ، وفاتك ما وجدوا .. وبقيت فى أعقابهم وإن لم تلحق بعد

يا نائم الليل كم ترقد	قم يا حبيبى قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله	لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الألباب أهل التقى	قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة التاسعة عشرة

إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززا وعجباً وفخراً وخيلاء

ـ قال الله تعالى ـ: «**ولا تمش فى الأرض مرحاً**» أى: لا تمشى متبخترا متكبراً «**إن الله لا يحب كل مختال فخور**» (لقمان ـ ١٨) أى: لأن الله يكره المتكبر الذى يرى العظمة لنفسه ويتكبر على عباد الله المتبختر فى مشيته، والفخور الذى يفتخر على غيره (١).

ـ وقال النبى ﷺ : «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار**» رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه. (٣٢٨)

ـ وعنه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا**».

رواه مالك والبخارى ومسلم.

ـ وعن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال أبو ذر: **خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟**

قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» رواه مسلم وغيره. (٣ / ٩٨)

المسبل: هو الذى يطول ثوبه ويرسله إلى الأرض، كأنه يفعل ذلك تجبراً واختيالاً. (٣/٩٨)

ـ وفى الحديث ـ أيضاً ـ عن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشى ـ فى حلة ـ تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال فى مشيته، إذ خسف**

---

(١) صفوة التفاسير (١٠٧٨)

الله به فهو يتجلجل ــ في الأرض ــ إلى يوم القيامة ». رواه البخارى ومسلم.

« مرجل » أى ممشط (٤ / ١٩)

ــ وقال عليه الصلاة والسلام : « **لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء** » رواه مالك والبخارى ومسلم عن ابن عمر ــ رضى الله عنه. (٣ / ٩٨)

ــ وقال عليه الصلاة والسلام : « **الإسبال فى الإزار والقميص والعمامة : من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح (٣٢٩)

ــ وقال عليه الصلاة والسلام : « **إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج ــ أو لا جناح ــ فيما بينه وبين الكعبين. ما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار** » رواه أبو داود بإسناد صحيح (٣٣٢)

ــ هذا عام فى السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس فنسأل الله العافية.

ــ وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : « **بينما رجل يصلى مسبل إزاره قال له رسول الله ﷺ : « اذهب فتوضأ » ، فذهب فتوضأ ثم جاء فقال : « اذهب فتوضأ » فقال له رجل : يا رسول الله ، مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه. قال : إنه كان يصلى وهو مسبل إزاره ، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل** » رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم [1]. (٣٣٠)

ــ ولما قال ﷺ : « **من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » فقال له أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ : يا رسول الله إن إزارى يسترخى إلا أن أتعاهده ، فقال له رسول الله ﷺ : « **إنك لست ممن يفعله خيلاء** » رواه البخارى (٣٢٨)

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) كذا قال النووى ، لكن قال المنذرى عن رجل فى إسناده : أبو جعفر المدنى إن كان محمد بن على بن الحسين فروايته عن أبى هريرة مرسلة ، وإن كان غيره ، فلا أعرفه (٣ / ١٠٠)

الكبيرة العشرون

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

— روينا في صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله — ﷺ — : «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**». (٥٨٨)

— وروينا في صحيحى البخارى ومسلم عن أبى بردة قال: «**وجع أبو موسى الأشعرى — رضى الله عنه — فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال: «أنا برىء ممن برئ منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة**».

الصالقة: التى ترفع صوتها بالنياحة.

والحالقة: التى تحلق شعرها، وتنتفه عند المصيبة.

والشاقة: التى تشق ثيابها عند المصيبة. (٥٨٨)

وكل هذا حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود، وخمش الوجه، والدعاء بالويل والثبور.

— وعن أم عطية — رضى الله عنها — قالت: «**أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح**» رواه البخارى. (٥٨٩)

— وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ «**اثنتان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى النسب، والنياحة على الميت**» رواه مسلم. (٤ / ١٧٦)

— وعن النعمان بن بشير — رضى الله عنهما — قال «**أغمى على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته تبكى: واجبلاه، واكذا، واكذا تعدد عليه،**

فقال حين أفاق: **ما قلت شيئا إلا قيل لى: أنت كذلك؟»** أخرجه البخارى. (٤/١٧٦)

— وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه»**. (٤/١٧٥–١٧٦).

— وعن أبى موسى –رضى الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من ميت يموت، فيقوم باكيهم، فيقول واجبلاه، واسيداه، أو نحو ذلك: إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا أنت؟»** أخرجه الترمذى: وقال: حديث حسن غريب.

اللهز: هو الدفع بجميع اليد فى الصدر. (٤/١٧٦).

— وقال ﷺ: **«النائحة إذا لم تتب –قبل موتها– تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»** رواه مسلم وابن ماجه (٤/١٧٧)

— وقال ﷺ: **«وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة: لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة: خمش وجوه وشق جيوب ورنة»** رواه الترمذى وقال: حديث حسن(١).

— وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال: **«لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة»** رواه أبو داود وليس فى إسناده من ترك (٤/١٧٧).

— وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة»** رواه البزار ورواته ثقات. (٤/١٧٧)

— وروى أن هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين –فى جهنم–: صف عن يمينهم وصف عن يسارهم، فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب.

— وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل، ومعه غيره. فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، وقال: **اضرب، فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكى بشجوكم، إنها تهريق**

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٢٧٢) وراجع سنن الترمذى (٣/٣١٩).

دموعها لأخذ دراهمكم إنها تؤذى موتاكم فى قبورهم.. وأحياءكم فى دورهم، لأنها تنهى عن الصبر، وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

ـ واعلم أن النياحة: رفع الصوت بالندب، والندب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل: هى البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

فصل

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة، لأنها تأمر بالجزع، وتنهى عن الصبر، والله ورسوله قد أمرا بالصبر والاحتساب، ونهيا عن الجزع والسخط.

ـ قال الله تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة. إن الله مع الصابرين»** (البقرة: ١٥٣).
قال عطاء ـ عن ابن عباس ـ: **«يقول: إنى معكم أنصركم ولا أخذلكم»**.

ـ وقال تعالى: **«ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»** (البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧).

ـ وقوله تعالى: **«ولنبلونكم»** أى: لنعاملنكم معاملة من يبتلى، لأن الله يعلم عاقبة الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى فمن صبر أثابه على صبره، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب.

ـ وقول الله: **«بشىء من الخوف والجوع»**.
قال ابن عباس: **يعنى خوف العدو، والجوع: يعنى المجاعة والقحط**
«ونقص من الأموال»: يعنى الخسران والنقصان فى المال وهلاك المواشى
«والأنفس»: بالموت والقتل، والمرض والشيب
«والثمرات»: يعنى الجوائح، وأن لا تخرج ثمرة كانت تخرج.

ثم ختم الآية بتبشير الصابرين، ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى، فقال تعالى **«وبشر الصابرين»**.

ثم نعتهم فقال: **«الذين إذا أصابتهم مصيبة»** نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة **«قالوا إنا لله»**: أى عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء **«وإنا إليه راجعون»**: إقرار بالهلاك والفناء ومعنى الرجوع إلى الله: الرجوع إلى انفراده بالحكم إذ قد ملك فى الدنيا قوم الحكم، فإذا زال حكم العباد، رجع الأمر إلى الله عز وجل، وقوله: **«أولئك عليهم صلوات من ربهم»**: الصلاة ـ فى الأصل ـ الدعاء، ومن الله ـ تعالى ـ التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها **«ورحمة»** أى: لطف وإحسان (١) **«وأولئك هم المهتدون»** يريد الذين اهتدوا للترجيع، وقيل: إلى الجنة والثواب.

ـ وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: **نعم العِدلان، ونعمت العِلاوة(٢) «أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة»** فهذان العدلان **«وأولئك هم المهتدون»** فهذه العلاوة.

ـ وقال سعيد بن جبير: **لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم «إنا لله وإنا إليه راجعون» ولو أعطيه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لأعطيه يعقوب ـ عليه السلام ـ إذ يقول: «يا أسفى على يوسف»** (يوسف ٨٤).

ـ قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام.

روينا ـ فى صحيحى البخارى ومسلم ـ عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة، ومعه عبد الرحمن بن عوف،

---

(١) تفسير البيضاوى (٣٨).

(٢) العدل (بكسر العين): نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير والجمع أعدال وعدول كما فى اللسان (عدل).

والعلاوة (بكسر العين): ما يحمل على البعير وغيره، وهو ما وضع بين العدلين قيل: علاوة كل شىء ما زاد عليه كما فى اللسان (علا).

وسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنهم ــ فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال: **«ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم»** وأشار إلى لسانه ﷺ (٣٦٤)

ــ وروينا فى صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو فى الموت، ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: **«هذه رحمة جعلها الله ــ تعالى ــ فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**. (٣٦٤)

ــ وروينا فى صحيح البخارى عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم ــ رضى الله عنه ــ وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟، فقال: **«يا ابن عوف إنها رحمة»** ثم أتبعها بأخرى فقال: **«إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم محزونون»** (٣٦٤)

ــ وأما الأحاديث الصحيحة: أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه: فليست على ظاهرها وإطلاقها، بل هى مؤولة.

واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال: أظهرها ــ والله أعلم ــ أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء، إما أن يكون أوصاهم به، أو غير ذلك.

ــ ويجوز ــ قبل الموت، وبعده، ولكن قبله أولى للحديث الصحيح: فإذا وجبت **فلا تبكين باكية**.

وقد نص الشافعى، والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه، ولا يحرم وتأولوا حديث: «فلا تبكين باكية» على الكراهة والله أعلم.

فصـل
فى التعزية

ــ عن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»** رواه ابن ماجه (١).

ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها: **«ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟» قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت، فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به.**

رواه أبو داود والنسائى، وفى اسناده ربيعة بن سيف من تابعى أهل مصر فيه مقال لا يقدح فى حسن الإسناد. (٤/ ١٨١).

ــ وروى: **«من عزى مصابا فله مثل أجره»**.

ــ وروى كذلك: **«أن من عزى ثكلى كسى بردا من الجنة»**.

ــ واعلم ــ رحمك الله ــ أن التعزية هى التصبير، وذكر ما يسلى صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهون مصيبته.

وهى مستحبة، لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وهى داخلة ــ فى قول الله تعالى ــ : **«وتعاونوا على البر والتقوى»** (المائدة: ٢).

وهذا من أحسن ما يستدل به فى التعزية.

- واعلم أن التعزية ــ وهى الأمر بالصبر ــ مستحبة قبل الدفن وبعده.

قال أصحاب الشافعى: [يدخل وقت التعزية] من حين يموت الميت، وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام.

قال أصحابنا: وتكره التعزية ــ بعد ثلاثة أيام ــ، لأن التعزية تسكن قلب المصاب.

والغالب: سكون قلبه بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن.

---

(١) قال البوصيرى (١/ ٥١١): فى إسناده قيس أبو عمارة، ذكره ابن حبان فى الثقات وقال الذهبى فى الكاشف: ثقة. وقال البخارى: فيه نظر. وباقى رجاله على شرط مسلم أهـ قلت: فإسناده حسن إن شاء الله. وقد حسن النووى اسناده فى الاذكار (١٣٥).

هكذا قاله الجماهير من أصحابنا.

وقال أبو العباس ـ من أصحابنا: **لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل تبقى أبداً وإن طال الزمان.**

قال النووي (١) ـ رحمه الله ـ **والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناهما أصحابنا: وهما إذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام.**

ـ والتعزية ـ بعد الدفن ـ أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه ـ لفراقه ـ أكثر.

هذا إذا لم ير منهم جزعا، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم، والله أعلم.

ـ ويكره الجلوس للتعزية، يعنى أن يجتمع أهل الميت ـ فى بيت ـ ليقصدهم من أراد التعزية [بل ينبغى أن ينصرفوا فى حوائجهم، ولا فرق بين الرجال والنساء فى كراهة الجلوس لها].

ـ ولفظ التعزية مشهور.

وأحسن ما يعزى به: ما روينا فى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه، قال: **«أرسلت إحدى بنات النبى ﷺ إليه تدعوه وتخبره أن صبيا لها ـ أو ابنا ـ فى الموت فقال ﷺ للرسول: «ارجع إليها فأخبرها أن لله ـ تعالى ـ ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب»** وذكر تمام الحديث (٣٦٣)

ـ قال النووي ـ رحمه الله ـ: **فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام ومعنى قوله ﷺ: «إن لله ما أخذ»**. أن العالم ـ كله ـ ملك لله، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم فى معنى العارية.

---

(١) قال النووى: وأما لفظ التعزيه فلا حجر فيه، فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب اصحابنا ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم: أعظم الله أجرك واحسن عزاءك وغفر لميتك. وفى تعزية المسلم بالكافر: أعظم الله اجرك واحسن عزاءك وفى تعزية الكافر بالمسلم: احسن الله عزاءك وغفر لميتك وفى تعزية الكافر بالكافر: اخلف الله عليك ا هـ الاذكار (١٢٧)

وقوله : **« وله ما أعطى »** :

ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه ، بل هوله سبحانه ، يفعل فيه ما يشاء **« وكل شيء عنده بأجل مسمى »** .

يعني : فلا تجزعوا ، فإن من قبضه ، فقد انقضى أجله المسمى ، فمحال تأخيره أو تقديمه عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم ، والله أعلم .

— وقال علي ـــرضي الله عنه ـــ للأشعث بن قيس : **إنك إن صبرت إيمانا واحتسابا ، وإلا سلوت كما تسلو البهائم .**

— وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : إنك قد ذهب منك ما رزئت به ، فلا يذهبن عنك ما عوضت به ، وهو الأجر .

— وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام قلت : قد علم أن مر الزمان يسلي المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى .

— وبلغ الشافعي ـــرضي الله عنه ـــ أن عبد الرحمن بن مهدي ـــرحمه الله ـــ مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعا شديدا ، فبعث إليه الشافعي ـــرحمه الله ـــ يقول :

«يا أخي عز نفسك بما تعزى به غيرك ، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر؟ .

فتناول حظك ـــيا أخي ـــ إذا قرب منك ، قبل أن تطلبه وقد نأى عنك . ألهمك الله عند المصائب صبرا ، وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا .

وكتب إليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى ولو عاشا الى حين

— وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابنه :

أما بعد، فإن الولد على والده ـ ما عاش ـ حزن وفتنة، فإذا قدم فصلاة ورحمة فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنته ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته.

ـ وقال موسى بن المهدى ـ لابراهيم بن سلمة ـ وعزاه بابنه:

أسرك وهو بلية وفتنة، وأحزنك وهو صلاة ورحمة.

ـ وعزى رجل رجلا فقال: إن من كان لك فى الآخرة أجرا خير ممن كان فى الدنيا سرورا وفرحا.

ـ وعن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ **أنه دفن ابنا له ثم ضحك عند القبر فقيل له: أتضحك عند القبر؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان.**

ـ وعن ابن جريج ـ رحمه الله ـ قال: **من لم يتعز عند مصيبته بالأجر والاحتساب، سلا كما تسلو البهائم.**

ـ وعن حميد الأعرج قال: **رأيت سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ يقول ـ فى ابنه ونظر إليه ـ: إنى أعلم خير خلة فيك، قيل: ما هى؟ قال: يموت فأحتسبه.**

ـ وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ أن رجلا حزن على ولد له وشكا ذلك إليه، فقال الحسن: **كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم، كانت غيبته أكثر من حضوره، قال: فاتركه غائبا، فإنه لم يغب عنك غيبة كان الأجر لك فيها أعظم من هذه، فقال: يا أبا سعيد هونت عنى وجدى على ابنى.**

ـ ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه ـ فى وجعه ـ فقال: **يا بنى كيف تجدك؟**

قال: أجدنى فى الحق، قال: يا بنى لأن تكون فى ميزانى أحب إلى من أكون فى ميزانك، قال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب.

ـ ومات ابن الإمام الشافعى فانشد يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصبر له ... رزية مال أو فراق حبيب

- [وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهاً، فدخل يوما على الوليد فى ثياب وشى([1]) وله غديرتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: **هكذا تكون فتيان قريش**، فعانه([2]) فخرج من عنده متوسنا([3])، فوقع فى اصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات]([4])

- ووقعت فى رجل عروة الأكلة([5]) فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد، وهو شيخ كبير، ولم يدع ورده تلك الليلة إلا أنه قال «**لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**».

وتمثل بهذه الأبيات:

لعمرى ما أهويت كفى لريبة	ولا نقلتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها	ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة	من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

وقال رضى الله عنه: **اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء، وأخذت ابنا وأبقيت أبناء.**

- وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس، فسأله عن عينيه، فقال: بت ليلة فى بطن واد، ولم أعلم فى الارض عبسياً يزيد ماله على مالى، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى، وكان البعير صعباً فند (أى شرد) فاتبعته، فما جاوزت الصبى

(١) وشيت الثوب من باب وعد رقته ونقشته فهو موشى (٨٢٦) المصباح والحائك واش يشى الثوب وشياً وشية: حسنه. ووشاه: نمنمه ونقشه وحسنه. اللسان (وشى)

(٢) العين: أن تصيب الإنسان بعين. وعان الرجل بعين عيناً فهو عائن. يقال: أصابت فلاناً عين إذا نظر اليه عدو أو حسود فأثرت فيه فرض بسببها كما فى اللسان (عين).

(٣) وسن الرجل فهو وسن، أى غشى عليه. كما فى اللسان (وسن).

(٤) الزيادة من عدة الصابرين (٩١)

(٥) الأكلة (مقصورة): داء يقع فى العضو فيأتكل منه. اللسان (أكل)

بيسير حتى سمعت صوته ، فرجعت [إليه] [1] ، فإذا رأس [الذئب] [1] فى بطنه [يأكله] [1] فقتلته ، ثم اتبعت البعير لأخذه فنفحنى [2] برجله فأصاب وجهى فحطمه وأذهب عينى ، فأصبحت لا أهل لى ولا مال ولا ولد ولا بعير ، فقال الوليد : **انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن فى الأرض من هو أشد منه بلاء .**

— وذكر أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : **« لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى استعين بك عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسالك الصبر على ما بليتنى » .**

— وقال المدائنى : **« رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها فقلت : تالله ان فعل هذا بك الاعتدال والسرور فقالت : كلا والله إنى لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لى زوج ، وكان لى منه ابنان ، فذبح أبوهما شاة فى يوم أضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر ، أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاه ؟ قال : نعم ، فذبحه ، فلما نظر إلى الدم جزع ، ففزع نحو الجبل ، فأكله الذئب ، فخرج أبوه فى طلبه ، فتاه فمات عطشاً ، فأفردنى الدهر ، فقلت لها : وكيف أنت والصبر؟ فقالت لو دام لدمت له ، ولكنه كان جرحاً فاندمل .**

فصل

— وروى مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة رضى الله عنه : **« إنه قد مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم ، صغارهم دعاميص[3] الجنة ، يتلقى أحدهم أباه ، ـ أوقال أبويه ـ فيأخذ بثوبه أوقال بيده كما**

(١) الزيادة وتقويم السياق من الزواجر (٢١٥) وكتاب التعازى (٤٥) .

(٢) نفحت الدابة تنفح نفحاً وهى نفوح : رمحت برجلها ورمت بحد حافرها ودفعت ، كما فى اللسان (نفح) .

(٣) دعاميص : واحدها دُعموص ، أى : صغار أهلها ، وأصل الدعموص دويبة تكون فى الماء لا تفارقه أى : أن هذا الصغير فى الجنة لا يفارقها . قاله النووى (١٦/١٨٢) .

آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى أوقال فلا ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنه».

- وعن معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه — رضى الله عنه — «أن رجلا كان يأتى النبى ﷺ ومعه ابن له، فقال النبى ﷺ: «أتحبه؟، قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقده النبى ﷺ، فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ قالوا: يارسول الله مات، فقال النبى ﷺ لأبيه ألا تحب أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة، إلا وجدته ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟

قال: بل لكلكم» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والنسائى (٣ / ٩٢)

- وعن معاذ —رضى الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا يا رسول الله أو اثنان قال أو اثنان، قالوا أو واحد قال أو واحد، ثم قال: والذى نفسى بيده إن السقط ليجر أمه بسرره(١) إلى الجنة إذا احتسبته»

رواه أحمد والطبرانى، وإسناد أحمد حسن أو قريب من الحسن (٣ / ٩٢)

- وعن وكيع قال: كان لإبراهيم الحربى ابن، وكان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً، فمات، فجئت أعزيه، قال لى: كنت أشتهى موت ابنى هذا، قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث، قال: نعم، رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن صبياناً فى أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديدا حره، قال: فقلت لأحدهم اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلى وقال لى: لست أنت أبى، فقلت: ومن أنتم؟ قال: نحن الصبيان الذين متنا فى الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

---

(١) هو ما تقطعه القابلة، وما بقى بعد القطع فهو السرة.

حكاية

— روى مالك بن دينار (رحمه الله تعالى) انه سئل عن سبب توبته فقال: «كنت في أول أمرى مكباً على اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جارية تسرية بها، وولدت لى بنتاً، فأحببتها حباً شديداً إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فأهرقته [1] بين يدى، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها، قال:

فلما كان ليلة النصف من شعبان، بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وخرجت من قبرى وإذا بتنين قد تبعنى يريد أكلى «والتنين الحية العظيمة» قال: فهربت منه فتبعنى، وصار كلما أسرعت يهرع خلفى، وأنا خائف منه، فمررت فى طريقى على شيخ نقى الشياب، ضعيف، فقلت: يا شيخ، بالله أجرنى من هذا التنين الذى يريد أكلى وإهلاكى، فقال: يا ولدى أنا شيخ كبير، وهذا أقوى منى، ولا طاقة لى به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه،

قال: فأسرعت فى الهرب وهو ورائى، فأشرفت على طبقات النار، وهى تفور، فكدت أن أهوى فيها، وإذا قائل يقول: لست من أهلى فرجعت هارباً والتنين فى أثرى، فأشرفت على جبل مستنير، وفيه طاقات، وعليها أبواب وستور، وإذا بقائل يقول:

أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه. ففتحت الأبواب ورفعت الستور، وأشرفت على منها أطفال بوجوه كالأقمار، وإذا ابنتى معهم، فلما رأتنى نزلت إلىّ كفة من نور، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً، وجلست فى حجرى، وقالت:

يا أبت **[ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق]** (الحديد ١٦)

فقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم،

قلت: يا بنية، ما تصنعون ههنا؟

---

(١) فأهرقته — هرق (بالفتح) هرقاً: صبه. الوجيز (٦٤٨).

قالت : نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا .

فقلت : يا بنيه ما هذا التنين الذى يطاردنى ويريد إهلاكى ؟

قالت : يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد إهلاكك ،

فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيته ؟

قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء ، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين ،

قال : ثم ارتفعت عنى واستيقظت ، فتبت إلى الله من ساعتى

— فانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو إناثا ، وإنما يحصل للوالدين النفع بها فى الآخرة إذا صبروا واحتسبوا ، وقالوا الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون ، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى [على ذلك من الصلوات والرحمة]

فصـــل

— عن سابط الجمحى قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب**» (١) .

— وعن عائشة — رضى الله عنها — أن رسول الله ﷺ قال : «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها**» رواه مسلم (٤ / ١٤٨)

— وفى الحديث : «**وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**» متفق عليه (٢٥)

— وعن أم سلمة — رضى الله عنها — قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها : إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها .**

قالت : فلما توفى أبو سلمة ، قلت : من خير من أبى سلمة صاحب رسول الله

---

(١) قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير وفيه أبو بريه عمرو بن يزيد ، وثقه ابن حبان وضعفه غيره (٣/٢) وقال المناوى : له شواهد (١/٢٨٦) .

ﷺ؟ ثم عزم الله لى (١) فقلتها: قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ

رواه مسلم (٢)

— وفى الصحيحين: وعن أنس رضى الله عنه قال: «**مر النبى ﷺ على امراءة تبكى عند قبر فقال: اتقى الله واصبرى، فقالت: إليك عنى؛ فإنك لم تصب بمصيبتى —ولم تعرفه— فقيل لها: إنه النبى ﷺ، فأتت باب النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» (٣٠)

أى: إنما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة، وأما فيما بعد، فيقع السلو طبعاً.

— وفى صحيح مسلم (٣) عن أنس قال: **مات ابن لأبى طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء، فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك قال: فغضب، وقال: تركتنى حتى تلطخت ثم أخبرتنى بابنى، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ «بارك الله لكما فى غابر ليلتكما»** فذكر الحديث.

— وقال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى —لملائكته—: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد**» (٤/ ١٧٠)

رواه الترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه.

---

(١) قال القاضى عياض: معناه: خلق لى عزماً وقوة وتوطين نفس على ذلك قال الله تعالى: «فاصبر كما صبر أولى العزم من الرسل» أى القوة (٢/ ٨٠) مشارق الأنوار

(٢) مسلم (٢/ ١٣٣) (٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٠٩).

- وعن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «**ما لعبدى المؤمن ـ عندى ـ جزاء: إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**» رواه البخارى. (٣٠)

- وروى «أن من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله» رواه الترمذى مرفوعاً وضعفه (١).

- وروى: أنه ما أصاب رجلا من المسلمين بلية فما فوقها إلا لإحدى خصلتين: إما ليغفر الله له من الذنوب ذنباً لم يكن ليغفر له إلا بمثل ذلك، أو يبلغ من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها إلا بمثل ذلك.

- وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: **إذا قبض ملك الموت ـ عليه السلام ـ روح المؤمن قام على الباب، ولأهل البيت ضجة، فنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت ـ عليه السلام ـ:**
مم هذا الجزع، ولم هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً.
فإن كانت شكايتكم وسخطكم على، فإنى ـ والله ـ مأمور.
وإن كان على ميتكم؛ فإنه مقهور، وإن كان على ربكم، فأنتم به كافرون.
وإن لى بكم عودة بعد عودة، حتى لا أبقى منكم أحدا.

- وعن الشعبى أن شريحاً قال: **إنى لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمده إذ لم يكن أعظم منها، وأحمده إذ رزقنى الصبر عليها، واحمده إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب، واحمده إذ لم يجعلها فى دينى.**

- وأما اذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالوزيل والثبور أو لطم خداً أو شق

---

(١) سنن الترمذى (٤٥٦/٤)

جيباً أو نشر شعراً أو حلقه أو قطعه أو نتفه، فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلاً كان أو امرأة.

- وقد روى أيضاً أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، وقد روى أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خداً أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يحارب ربه. وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا ــ يعنى ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعنى من الندب والنياحة ــ وقد تقدم أن الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه إذا قالت النائحة واعضداه، واناصراه، واكاسياه، جبذ الميت وقيل له أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنوح حرام؛ لأنه مهيج للحزن، ودافع عن الصبر، وهو مخالف للتسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى.

حكـاية

قال صالح المرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر، فنمت، وإذا بالقبور قد شققت، وخرج الأموات منها، وجلسوا حلقاً حلقاً، ونزلت عليهم أطباق مغطاة، وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم، قال: فتقدمت إليه، وقلت: يا شاب، ما شأنك تعذب بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح، بالله عليك بلغ ما آمرك به، وأد الأمانة، وارحم غربتى، لعل الله عز وجل أن يجعل لى على يديك مخرجاً إنى لما مت ولى والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن على، وينحن كل يوم، فأنا معذب بذلك، النار عن يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى، فلا جزاها الله عنى خيراً ثم بكى حتى بكيت لبكائه، ثم قال: يا صالح، بالله عليك، اذهب إليها فهى فى المكان الفلانى وعلم لى المكان، وقل لها: لم تعذبين ولدك يا أماه، بئسما ربيتنى، ومن الأسواء وقيتنى فلما مت فى العذاب رميتنى

يا أماه: لو رأيتنى : الأغلال فى عنقى، والقيد فى قدمى، وملائكة العذاب تضربنى وتنهرنى فلو رأيت سوء حالى لرحمتنى، وإن لم تتركى ما أنت عليه من

الندب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، ويبرز الخلائق لفصل القضاء.

قال صالح : فاستيقظت فزعاً ومكثت فى مكانى قلقاً إلى الفجر، فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلا الدار التى لأم الصبى الشاب، فاستدللت عليها فأتيتها، فإذا الباب مسود، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار، فطرقت الباب، فخرجت إلى عجوز، فقالت: ما تريد يا هذا؟ فقلت: أريد أم الشاب الذى مات، فقالت: وما تصنع بها، هى مشغولة بحزنها، فقلت: أرسليها إلى، معى رسالة من ولدها، فدخلت فاخبرتها، فخرجت أم عليها ثياب سود، ووجهها قد أسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لى: من أنت؟ قلت: أنا صالح المرى، جرى لى البارحة فى المقابر مع ولدك كذا وكذا، رأيته فى العذاب وهو يقول: يا أمى ربيتنى ومن الأسواء وقيتينى، فلما مت فى العذاب رميتنى، وإن لم تتركى ما أنت عليه، الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت إلى الأرض، فلما أفاقت بكت بكاء شديداً. وقالت: يا ولدى يعز على، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب، وأخرجت إلىّ كيساً فيه دراهم كثيرة وقالت يا صالح تصدق بهذه عن ولدى، قال صالح: فودعتها ودعوت لها، وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى، أتيت إلى المقابر على عادتى، فنمت فرأيت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم، وأتتهم الأطباق، وإذا ذلك الشاب ضاحك فرح مسرور، فجاءه أيضاً طبق فأخذه، فلما رآنى جاء إلى فقال: يا صالح، جزاك الله عنى خيراً، خفف الله عنى العذاب، وذلك بترك أمى ما كانت تفعل وجاءنى ما تصدقت به عنى، قال صالح: فقلت: وما هذه الأطباق، فقال: هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له، هذه هدية فلان إليك، فارجع إلى أمى، وأقرئها منى السلام، وقل لها جزاها الله عنى خيراً، قد وصل إلى ما تصدقت به عنى، وأنت عندى عن قريب فاستعدى، قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أم الشاب وإذا

بنعش موضوع على الباب، فقلت لمن هذا، فقالوا لأم الشاب، فحضرت الصلاة عليها ودفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة، فدعوت لها وانصرفت.

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، ويعصمنا من النار، إنه جواد كريم رءوف رحيم.

الكبيرة الحادية والعشرون
منع الزكاة

- قال تعالى: «**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**» (آل عمران، ١٨٠)
- وقال تعالى: «**وويل للمشركين، الذين لا يؤتون الزكاة**» (فصلت: ٦ـ٧)

فسماهم المشركين.

- وقال تعالى: «**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**» (التوبة: ٣٤ـ٣٥)

وإنما خص الجباه والجنوب والظهور بالكي لأن الغنى البخيل إذا رأى الفقير عبس وجهه، وزوى ما بين عينيه (١)، وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولى بظهره.

فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

- وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة**

(١) زوّى الشيء: طواه وجمعه وقبضه. كذا في المعجم الوجيز (٢٩٧).

لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار» .

قيل : يا رسول الله ، فالإبل ؟

قال : «ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها – ومن حقها حلبُها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت ، لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار» .

قيل : يا رسول الله ، فالبقر والغنم ؟

قال : «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم (٤٤٢)

القاع : المكان المستوى من الأرض

والقرقر (بقافين مفتوحتين) : الأملس

والظلف (للبقر والغنم) : بمنزلة الحافر للفرس

والعقصاء : هى الملتوية القرن . والجلحاء : هى التى ليس لها قرن

والعضباء : المكسورة القرن (١ / ٢٦٧)

– وقال ﷺ – : «وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى فى ماله ، وفقير فخور» صححه ابن حبان وابن خزيمة (١ / ٢٦٨)

– وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : «من كان له مال يبلغه حج

بيت الله تعالى ـ ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت .

فقال له رجل : اتق الله يا ابن عباس فإنما يسأل الرجعة الكفار

فقال ابن عباس : **سأتلوا عليك بذلك قرآنا .**

قال الله تعالى : **« وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق » .**

(أى : أؤدى زكاة مالى) **« وأكن من الصالحين »** (المنافقون ـ ١٠) أى : أحج

قيل : مما يوجب الزكاة ؟ قال : **إذا بلغ المال مائتى درهم وجبت فيه الزكاة .**

قيل : فما يوجب الحج ؟ قال : **الزاد والراحلة »**

ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : **« من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعنى شدقيه ـ ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ثم تلا هذه الآية : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »**

(آل عمران : ١٨٠) أخرجه البخارى (١/ ٢٦٩)

والشجاع : هو الحية ، وقيل الذكر خاصة

والأقرع منه : الذى ذهب شعر رأسه من طول عمره .

ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« خمس بخمس .**

قيل : يا رسول الله ما خمس بخمس ؟

قال : ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم

وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر

ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت

ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر

ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين »

رواه الطبرانى فى الكبير ـ وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

والسنين: جمع سنة وهى العام المقحط الذى لم تنبت الأرض فيه شيئاً سواء وقع قطر أو لم يقع (١ / ٢٧١)

— وعن ابن مسعود قال: **«لا يكوى رجل بكنز فيمس درهم درهما، ولا دينار دينارا، يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته».**

رواه الطبرانى فى الكبير موقوفا بإسناد صحيح (١ / ٢٧١)

ولا تجب الزكاة فى الحلى المباح اذا كان معدا للاستعمال، فإن كان معدا للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة.

موعـــظة

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم : إنما فى غد ثبورهم.

ما نفعهم ما جمعوا : إذا جاء محذورهم

يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم.

يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم أخذ المال إلى دار ضرب العقاب، فجعل فى بودقة ليحمى ليقوى العذاب فصفح صفائح كى يعم الكى الإهـــاب، ثم جىء بمن عن الهدى قد غاب يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم

ثم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم

إذا لقيهم الفقير لقى الأذى

فإن طلب منهم شيئاً طار منهم لهب الغضب كالجُذَى (١)

— فإن لطفوا به قالوا: اعنتكم ذا، وسؤال هذا لذا

ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا

ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا

---

(١) الجذى (بضم الجيم وفتح الذال) جمع جذوة وهى الجمرة. راجع المصباح (١/١١٦)

واعجبا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم .
يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
سيأخذها الوارث منهم من غير تعب .
ويسأل الجامع من أين اكتسب ما اكتسب .
إلا أن الشوك له وللوارث الرطب
أين حرص الجامعين أين عقولهم ؟
يوم يحمي عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .
لو رأيتهم فى طبقات النار
يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار
وقد غلت اليمين مع اليسار، لما بخلوا مع الإيسار
لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم ، وقد ضج صبورهم .
يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع
كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع
كم انبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع
فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعا أقرع
فما هى عصى موسى ولا طورهم
يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

حكاية

روى عن محمد بن يوسف الفريابى قال : خرجت أنا وجماعة من أصحابى فى زيارة أبى سنان رحمه الله — فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا لنزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه .

فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه .

فجلسنا نسليه ونعزيه ، وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية

فقلنا : أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه ؟

قال : بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب

فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا

ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس، جلست عند قبره فإذا بصوت من قبره يقول : آه أقعدونى وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصلى، قد كنت أصوم

قال : فأبكانى كلامه، فنبشت عنه التراب، لأنظر حاله، فإذا القبر يشتعل عليه نارا، وفى عنقه طوق نار، فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق عن رقبته، فاحترقت أصابعى ويدى.

ثم أخرج إلينا يده، فإذا هى سوداء محترقة.

قال : فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه ؟

فقلنا : فما كان أخوك يعمل فى الدنيا ؟

قال : كان لا يؤدى الزكاة من ماله. قال : فقلنا : هذا تصديق قوله تعالى :

« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم. سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (آل عمران : ١٨٠) **وأخوك عجل له العذاب فى قبره الى يوم القيامة.**

فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم.

الكبيرة الثانية والعشرون
جباية المكوس

والمكاس [١] داخل فى قوله تعالى : **« إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون ــ فى الأرض ــ بغير الحق، أولئك لهم عذاب أليم »** [٢] (الشورى ٤٢)

ــ وهو من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم، فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق.

ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدى للناس ما أخذ منهم، إنما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات.

ــ وهو داخل فى قول النبى ﷺ : **« أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس ــ فينا ــ من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »** رواه مسلم (١١٧)

ــ وفى حديث المرأة التى طهرت نفسها بالرجم : **« لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له »** رواه مسلم [٣]

---

(١) والمكس : النقص والظلم : ودراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية.

(٢) انظر تفسير هذه الآية فى الكبيرة الثالثة والخمسين

(٣) صحيح مسلم (١٣٢٤/٣)

- والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق، وهو من اللصوص
- وقد روى : **«لا يدخل الجنة صاحب مكس»**
وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد
- وجابى المكس وكاتبه وشاهده وآخذه: من جندى وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر، آكلون للسحت والحرام
- وصح أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به»** رواه الطبراني في الاوسط عن كعب بن عجرة ورجاله ثقات [1]

والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

موعـــظة

أين من حصن الحصون المشيدة واحترس، وعمر الحدائق، فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس... وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن ـ في نفسه ـ البقاء، ولكن خاب الظن في النفس؟
أزعجه ـ والله ـ هازم اللذات واختلس.. ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ووجه به إلى دار البلاء فانطمس.. وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس. فالعاقل من أفاد بأيامه، فإن العواقب في خلس، شعر:

تبني وتجمع والآثار تندرس ... وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع ... لابد ما ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك، وأبناء الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معترك ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحوا بمهلكة في وسط معركة ... صرعى وصاروا ببطن الارض وانطمسوا
وعمهم حدث وضمهم جدث ... ماتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت ... أيدى البلى بهم والدود يفترس

(١) الجامع الأزهر (١٢٢/٣ أ)

لعاينت منظرا تشجى القلوب له … وابصرت منكرا من دونه البلس [١]

من أوجه ناضرات حار ناظرها … فى رونق الحسن منها كيف ينطمس ؟

وأعظم باليات ما بها رمق … وليس تبقى لهذا وهى تنتهس

وألسن ناطقات زانها أدب … ماشأنها شانها بالآفة الخرس

حتام ياذا النهى لا ترعوى سفها … ودمع عينيك لا يهمى وينبجس

موعظة

يا من يرحل فى كل يوم مرحلة .. وكتابه قد حوى حتى الخردلة
ما ينتفع بالنذير، والنذر متصلة .. ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله
ودروعه مخرقة والسهام مرسلة .. ونور الهدى قد بدا ، ولكن ما رآه ولا تأمله .
وهو يؤمل البقا .. ويرى مصير من قد أمله .. قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله
كن كيف شئت .. فبين يديك الحساب والزلزلة .
ونعم جلدك ، فلابد للديدان أن تأكله .
فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسأله .. استيقن من غرور وبله
ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد أولاك ، لو علمت منزله
فبادر ما بقى من عمرك ، واستدرك أوله .. فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

(١) البلس (بفتحتين) : من لا خير عنده أوعنده إبلاس وشر (القاموس) والمعنى : وأبصرت أمراً فظيعا يتضاءل دونه الابلاس وهذا الأمر موضح فى قوله : من أوجه ... الخ

الكبيرة الثالثة والعشرون

المن بالصدقة

– قال الله تعالى : «**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**» (البقرة ٢٦٤)

قال الواحدى : **هو أن يمن بما أعطى**

وقال الكلبي : **بالمن – على الله – فى صدقته، والأذى لصاحبها**

– وفى الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.**

المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»

رواه مسلم (٣ / ٩٨)

المسبل : هو الذى يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين؛ لأنه ﷺ قال : «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار**». خرجه البخارى عن أبى هريرة (٣/٩٧)

– وفى الحديث أيضاً : «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث والرجلة**» ([1])

رواه النسائى والبزار واللفظ له بإسنادين جيدين (٣/٢٢٠)

– وعن أبى بكر الصديق عن النبى ﷺ قال : «**لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل**» رواه الترمذى، وقال : حديث حسن غريب ([2]).

---

(١) الرَّجُلة : المترجلة، يقال امرأة رجلة، إذا تشبهت بالرجال فى زيهم وهيئاتهم راجع اللسان (رجل)

(٢) سنن الترمذى (٢٤٣/٤)

والخب : هو صاحب المكر والخديعة

والمنان : هو الذى يعطى شيئاً أو يتصدق به، ثم يمن به

— وورد : إياكم والمن بالمعروف، فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر.

— وسمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر: **أحسنت إليك، وفعلت، وفعلت** فقال له ابن سيرين: **اسكت فلا خير فى معروف إذا أحصى.**

— وكان بعضهم يقول: **من منّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.**

— وأنشد الشافعى — رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنام ... بأن يمنوا عليك منة

واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جنة

منن الرجال على القلوب ... أشد من وقع الأسنة

— وأنشد أيضاً بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلى يد ... أبطا عليه مكافأتى فعادانى

لما تيقن أن الدهر حاربنى ... أبدى الندامة مما كان أولانى

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ... ليس الكريم إذا أعطى بمنان

موعظة

يا مبادرا بالخطايا .. ما أجهلك .. إلى متى تغتر بالذى أمهلك ؟ .. كأنه قد أهملك.

فكأنك بالموت، وقد جاء بك وأنهلك .. وإذا الرحيل وقد افزعك الملك

وأسرك البلى بعد الهوى، وعقلك .. وندمت على وزر عظيم قد أثقلك

يا مطمئنا بالفانى .. ما أكثر زللك

ويا معرضا عن النصح .. كأن النصح ما قيل لك.

أين حبيبك الذى كان وأين انتقل ؟

أما وعظك التلف فى جسده والمقل ؟

أين كثير المال ؟ . أين طويل الأمل ؟ .. أما خلا وحده ـ فى لحده ـ بالعمل .
أين من جر ثوبه الخيلاء غافلا ورفل (١) ؟ أما سافر به والى الآن ما وصل ؟.
أين من تنعم فى قصره ، فكأنه فى الدنيا ما كان ، وفى قبره لم يزل .
أين من تفوق واحتفل ؟ .. غاب ـ والله ـ نجم سعوده وأفل .
أين الأكاسرة ، والجبابرة العتاة الأول ؟ .. ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

الكبيرة الرابعة والعشرون
منع فضل الماء
والمراد به ما زاد على الحاجة

ـ قال الله تعالى : « **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً** » أى : قل لهم أخبرونى إذا صار الماء غائرا ذاهبا فى أعماق الأرض ، بحيث لا تستطيعون إخراجه « **فمن يأتيكم بماء معين** » (تبارك ٣٠) أى : فمن الذى يخرجه لكم حتى يكون ظاهرا جاريا على وجه الأرض؟ هل يأتيكم غير الله به ؟

ـ وقال النبى ﷺ: « **لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ** » متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢)

ـ وقال النبى ﷺ : « **من منع فضل مائه أو فضل كلأه منعه الله عز وجل فضله يوم القيامة** » خرجه الإمام أحمد (٣)

ـ وقال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا بسلعته بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها ، وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما لا**

(١) رفل فى ثيابه ، يرفل : إذا أطالها وجرها متبخترا ، فهو رافل ا هـ اللسان (رفل)

(٢) نيل الاوطار (٣٠٣/٥)

(٣) وفى اسناده محمد بن راشد الخزاعى ، وهو ثقة ، وقد ضعفه بعضهم لكن حديث أبى هريرة يشهد لصحته . أفاده الشوكانى (٣٠٤/٥)

يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها ما يريد وفى له، وإن لم يعطه لم يف» أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ.

وزاد البخارى : ورجل منع فضل مائه، فيقول الله له: اليوم أمنعك فضلى، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك». (٣/ ٣٠)

الكبيرة الخامسة والعشرون

إفطار يوم من رمضان بلا عذر

ـ قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر» (البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤)

ـ وثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ ـ أنه قال: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. وحج البيت وصوم رمضان». (٤٣٩)

ـ و يروى عن أبى هريرة مرفوعا: «من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه» رواه الترمذى وغيره (١)

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وقال حماد بن زيد لا أعلمه إلا قد رفعه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة: عليهن أسس الاسلام، ومن ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان» رواه أبو يعلى بإسناد حسن (٢/ ٧٥)

[وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعى (٢) فأتيا بى جبلا وعرا،

---

(١) فى اسناده أبو المطوس: قال البخارى: لا اعرف له غير هذا الحديث.
وقال ابن حيان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به (٣/٧٤) الترغيب.

(٢) الضَّبْع: وسط العضد بلحمه، وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه، تقول أخذ بضبعيه أى بعضديه أ هـ اللسان (ضبع).

فقالا: اصعد: فقلت انى لا أطيقه فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل: فإذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الاصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلق بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دما قال: قلت: من هؤلاء؟ قيل هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم» رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما.

قال المنذرى ولا علة له[1] (١٩١/٣)

- وقد أوجب النخعى عن كل يوم فطر من رمضان ثلاثة آلاف يوم.

وقال سعيد بن المسيب : **يجب فى كل يوم ثلاثون يوماً**

وقال ربيعة شيخ الإمام مالك –رضى الله عنهما– **يجب فى كل يوم اثنا** عشر يوما[2]].

الكبيرة السادسة والعشرون
ترك الحج مع القدرة عليه

- قال الله تعالى: **«ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا»** أى: فرض لازم على المستطيع حج بيت الله العتيق **«ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين»** (آل عمران ٩٧)

اى : من ترك الحج فإن الله مستغن عن عبادته وعن الخلق أجمعين، وعبر عنه بالكفر تغليظاً عليه. قال ابن عباس: **من جحد فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه**[3]

---

(١) واخرجه الحاكم (٤٣٠/١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى

(٢) الزواجر (٢٦٢)، وذهب أبو حنيفة ومالك والثورى وجماعة إلى أن من أفطر متعمداً بأكل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة: إما بعتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

قال ابن رشد: وذهب الشافعى وأحمد وأهل الظاهر إلى أن الكفارة إنما تلزم فى الافطار من الجماع فقط. أ.هـ بداية المجتهد (٣٠٢/١).

(٣) صفوة التفاسير (٢٠٣).

— وقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه —: **«من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً»**. رواه أبو بكر الاسماعيلى بإسناد صحيح (١).

ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأى، فيكون فى حكم المرفوع. (٢)

— وقال عمر — رضى الله عنه — أيضا: **«لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا من له جِدَة (٣) ولم يحج، فليضربوا عليهم الجزية. ما هم بمسلمين»**. رواه سعيد بن منصور بسند صحيح (٤).

— وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : **«ما من أحد لم يحج ولم يؤد: زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت»**.

فقيل له: **إنما يسأل الرجعة الكفار!**

قال: وإن ذلك فى كتاب الله تعالى: **«وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق»** أى: أؤدى الزكاة **«وأكن من الصالحين»** (المنافقون — ١٠) أى: الحج

قيل: فيم تجب الزكاة؟ قال: بمائتى درهم وقيمتها من الذهب.

قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة

— وعن سعيد بن جبير — رضى الله عنه — قال: **مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه.**

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٨٦).

(٢) الزواجر (٢٦٧).

(٣) وجد فلان وجداً وجدة: صار ذا مال راجع اللسان والمصباح.

(٤) الدر المنثور (١/٥٦) وتفسير ابن كثير (١/٣٨٦).

الكبيرة السابعة والعشرون
الذبح لغير الله عز وجل

مثل أن يقول : باسم الشيطان ، أو الصنم أو باسم الشيخ فلان

— قال الله تعالى : **« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه »** قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله « وما ذبح على النصب »
وقال الكلبى : **ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى.**
وقال عطاء : **ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان.**
وقوله : **« وإنه لفسق »** يعنى : وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق ، أى خروج عن الحق والدين **« وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم »** أى : يوسوس الشيطان لوليه ، فيلقى فى قلبه الجدال بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين فى الميتة.
قال ابن عباس : **أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس: كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل ، وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله هذه الآية « وإن أطعتموهم »** يعنى فى استحلال الميتة **« إنكم لمشركون »** (سورة الأنعام ١٢١) قال الزجاج : **وفى هذا دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك**

— فإن قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية ، والآية كالنص فى التحريم ؟

قلت : إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه — فى هذه الآية — بالميتة ، ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية.

وفى الآية أشياء تدل على أن الآية فى تحريم الميتة، فمنها قوله: **«وإنه لفسق»** ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية.

ومنها قوله: **«وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم»** والمناظرة إنما كانت فى الميتة باجماع من المفسرين لا فى ذبيحة تارك التسمية من المسلمين، ومنها قوله **«وإن اطعتموهم إنكم لمشركون»** والشرك فى استحلال الميتة، لا فى استحلال الذبيحة التى لم يذكر الله عليها.

- وعن عائشة أن قوما قالوا: **يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا؟**

فقال: «سموا عليه أنتم وكلوا»

رواه البخارى والنسائى وغيرهما (1).

- وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: **«من ذبح فنسى أن يسمى، فليذكر اسم الله عليه، وليأكل، ولا يدعه للشيطان إذا ذبح على الفطرة»**. رواه البيهقى، وصححه ابن السكن (2).

- وورد فى الأثر: اسم الله على فم كل مسلم (3).

---

(1) نيل الأوطار (٨/ ١٣٩)

(2) راجع سنن البيهقى (٩ / ٢٤٠) وتلخيص الحبير (١٥١/٤)

(3) نيل الأوطار (٨/ ١٣٩).

الكبيرة الثامنة والعشرون
أكل الربا

- قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة. واتقوا الله لعلكم تفلحون** » (آل عمران : ١٣٠)
- وقال تعالى « **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** »

أى : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه.

« **ذلك** » أى : ذلك الذى أصابهم « **بأنهم قالوا: إنما البيع مثل الربا** » (البقرة : ٢٧٥)

أى : حلالا ، فاستحلوا ما حرم الله ، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا ، فإنهم يقومون ويسقطون ، كما يقوم المصروع كلما قام صرع ؛ لأنهم لما أكلوا الربا الحرام ـ في الدنيا ـ أرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة.

فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا. ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرون.

- وعن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ـ ﷺ ـ : « **رأيت الليلة رجلين أتيانى فاخرجانى إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى آتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت : ما هذا الذى رأيته فى النهر؟ قال : آكل الربا** » رواه البخارى (٣ / ٤٨ ـ ٤٩)

فجعل عذاب آكل الربا من حين يموت الى يوم القيامة بالسباحة فى نهر الدم ويلقم بالحجارة، وهى المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا، يكلف المشقة فيه هذا العذاب له فى البرزخ – قبل يوم القيامة – مع لعنة الله له كما صح عن رسول الله ﷺ أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: **«هم سواء»** رواه مسلم. (٣/٤٩)

– وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – ذكر حديثا عن النبى ﷺ، وقال فيه: **«ما ظهر فى قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله»**
رواه أبو يعلى بإسناد جيد (٣/٥١)

– وعن عبد الله بن حنظلة – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:
«درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية»
رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح (٣/٥٠)

– وعن البراء بن عازب – رضى الله عنه – قال: قال: رسول الله ﷺ:
«الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وان أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه»
رواه الطبرانى فى الاوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق (٣/٥١)

– وعن عبد الله بن مسعود قال: **«الربا اثنان وسبعون حوبا أصغرها حوبا كمن أتى أمه فى الإسلام، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية»**

قال: «ويأذن الله بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا، فإنه «لا يقوم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس»». خرجه ابن أبى الدنيا والبغوى (٣/٥٠)

– وعن أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – قال: **الزائد والمستزيد فى النار** يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء: نسأل الله العافية

وقال قتاده: **إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا**

وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم

على أكل الربا، كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان. التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت، فحفروا حياضا تقع فيها يوم السبت، فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير.

وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين.

قال أيوب السختيانى : **يخادعون الله كما يخادعون صبيا، ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم.**

فصل

- عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : «**إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا**»
- وقال الحسن – رحمه الله –: **إذا كان لك على رجل دين، فما أكلت من بيته فهو سحت**
- وقال ابن مسعود ايضا : «**من شفع لرجل شفاعة فأهدى اليه هدية فهى سحت**» **وتصديقه من قوله** ﷺ : «**ومن شفع لرجل شفاعة، فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيماً من أبواب الربا**» أخرجه أبو داود (١).

نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة

(١) سيأتى تخريجه فى الكبيرة السادسة والستين.

الكبيرة التاسعة والعشرون
أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان

- قال الله -عز وجل- : **«ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»** (البقرة : ١٨٨)

أى : لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل.

- قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : **«يعنى باليمين الباطلة الكاذبة، يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل»**.

والأكل بالباطل على وجهين:

أحدهما : أن يكون على جهة الظلم. نحو الغصب والخيانة والسرقة.

والثانى : على جهة الهزل واللعب. كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى، ونحو ذلك.

- وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: **«إن رجالا يتخوضون -فى مال الله- بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»** (١١٨)

- وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ **«الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»** (١١/٣)

- وعن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين الا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفسى بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى يسلم أو يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه. قالوا : وما بوائقه؟ قال: غشه وظلمه.**

ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث» رواه أحمد وغيره من طريق أبان بن اسحق عن الصباح بن محمد، وقد حسنها بعضهم والله أعلم. (٣/١٣-١٤)

— وعن كعب بن عجرة — رضى الله عنهما —: أن النبى ﷺ قال: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت**»
رواه ابن حبان فى صحيحه. (٣/١٥)

— وعن عائشة — رضى الله عنها — قالت: «**كان لأبى بكر الصديق — رضى الله عنه — غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشىء، فأكل منه أبو بكر.**
فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟
فقال أبو بكر: وما هو؟
قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أنى خدعته. فلقينى فأعطانى لذلك. هذا الذى أكلت منه
فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه» رواه البخارى
الخراج: شىء يفرضه المالك على عبده يؤديه إليه كل يوم مما يكتسبه وباقى كسبه يأخذه لنفسه. (٣/١٧)

— وعن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام**» رواه أبو يعلى والبزار وغيرهما بأسانيد بعضها حسن. (٣/١٥)

— وروى: أن الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه، وأورده جنته.
ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أحله الله دار الهوان ورب متخوض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة». (٣/١٥)

- وروى:« أن من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أى باب أدخله النار»
- «وروى أن من اشترى ثوباً بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة مادام عليه» (٣ / ١٣).
- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: «**لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابا خير من أن يجعل فى فيه حراماً**»
- وقد روى عن يوسف بن أسباط -رحمه الله- قال: «**إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان: لأعوانه: انظروا من اين مطعمه؟، فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب، ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه**»

ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ فى الرجل مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟

- وروى أن ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة: «**من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا، ولا عدلا**»

الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

- وقال عبد الله بن المبارك: «**لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة**»
- وقال وهب بن الورد: «**لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام**».
- وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-: «**لا يقبل الله صلاة امرىء، وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله -تعالى- منه**».
- وقال سفيان الثورى: «**من أنفق الحرام فى الطاعة، كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال**»
- وقال عمر -رضى الله عنه-: «**كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام**»

- وروى أن من حج بمال حرام فقال: لبيك، قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك.
- وعن بعض الصالحين أنه رؤى بعد موته فى المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: خيراغيرأنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها.

قال العلماء – رحمهم الله –:

ويدخل فى هذا الباب: المكاس، والخائن، والزغلى، والسارق، والبطال وآكل الربا وموكله، وآكل مال اليتيم، وشاهد الزور، ومن استعار شيئاً فجحده، وآكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور، والزانية، والنائحة، والعشرية والدلال: إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع، ومخبر المشترى بالزائد، ومن باع حراً فأكل ثمنه.

فصل

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يؤتى يوم القيامة بأناس. معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى إذا جىء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم فى النار» فقيل: يا رسول الله: كيف ذلك قال: «كانوا يصلون ويصومون ويحجون غير أنهم كانوا اذا عرض لهم شىء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم»** (1)

فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رءوف رحيم

(1) قال الشيخ عبد الرزاق حمزه – رحمه الله – رواه الطبرانى من حديث ابى أمامة الباهلى من حديث طويل فى سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطى وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحح أ هـ مجمع الزائد

موعظة

عباد الله ..

أما الليالي والأيام تهدم الآجال ؟ .. أما مآل المقيم – في الدنيا – إلى الزوال؟
أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال ؟ .. أما غاية السلامة نقصان الكمال ؟
أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال ؟ .. أما انبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال ؟
أما بانت لكم العبر، وضربت لكم الأمثال ؟

وعزيز ناعم ذل له ... كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعد لين ملبس ... خشنا بالرغم منه فى الرغام
ووجوه ناضرات بدلت ... بعد لون الحسن لونا كالقتام
وشموس طالعات أفلت ... بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيانه ... لين الأعطاف مهتز القوام
أف للدنيا فما شيمتها ... غير نقض العهد أو خفر الذمام
فاستمدوا الزاد تنجوا واعملوا ... صالحا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق
يا مضيعا فى الهوى واجبات الحقوق.. تبارز الخالق، وتستحى من المخلوق؟
يا مؤثرا أعلى العلالى ساترا ذلك الفسوق: ألا سترى ذلك الفسوق؟
يا متولها مهاد الهوى.. وهو فى سجن الردى مرموق.
ابك على نفسك العليلة.. فإنك بالبكاء محقوق.
عجبا لمن رأى فعل الموت لصحبه.. وأيقن بتلفه، وما قضى نحبه
وسكن الايمان بالآخرة فى قلبه.. ونام غافلا على جنبه
ونسى جزاءه على جرمه وذنبه.. وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه.
كأنى به قد سقى كأس حمام يستغيث من شربه.
وأفرده الموت عن أهله وسربه
ونقله إلى قبر .. ذل فيه بعد عجبه.

فياذا اللب جز على قبره .. وعج به [1]
لقد خرقت المواعظ المسامع .. وما أراه انتفع به السامع
لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ..
ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع .. فما بالها لا تسكب المدامع؟
يا عجبا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع .. لقد نشبت فيه مخالب المطامع
يا من شيبه قد أتى .. هل ترى ما مضى من العمر براجع؟
انتبه لما بقى وانته وراجع
فالهول عظيم .. والحساب شديد .. والطريق شاسع
إن عذاب ربك لواقع .. ماله من دافع.

الكبيرة الثلاثون
نقص الكيل والذرع وما أشبه ذلك

- قال الله تعالى: «**ويل للمطففين**» يعنى: الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن
- وقوله: «**الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**» يعنى: يستوفون حقوقهم منها.

قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم، وكذلك إذا اتزنوا

ولم يذكر (إذا اتزنوا)، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر «**وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**» أى: ينقصون فى الكيل والوزن.

وقال السدى: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية.

---

(١) عج، يعج (بالكسر) ويعج (بالفتح) عجا وعجيجا: صاح ورفع صوته (١ / ١٩٨) القاموس.

- وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس بخمس**»
قالوا: يارسول الله، وما خمس بخمس؟
قال: «**ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم**
وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر
وما ظهرت – فيهم الفاحشة: إلا أنزل الله بهم الطاعون – يعنى كثرة الموت – ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات واخذوا بآلسنين.
ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».
رواه الطبرانى فى الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد (١ / ٢٧١)

- وقوله تعالى: «**ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**» قال الزجاج: المعنى: لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا فى الكيل والوزن «**ليوم عظيم**» أى: يوم القيامة «**يوم يقوم الناس**» من قبورهم «**لرب العالمين**» (المطففين ١ – ٦) أى: لأمره ولجزائه وحسابه، وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء.

- وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لى، وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبلان من نار.. جبلان من نار
قال: قلت: ما تقول؟ قال: يا أبا يحيى كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر
قال مالك ابن دينار: فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر
فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر، ازداد الأمر عظما وشدة فمات فى مرضه.

- والمطفف هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففا؛ لأنه لا يكاد يسرق إلا الشىء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة، وأكل الحرام، وقد وعد الله من فعل ذلك بويل، وهو شدة العذاب، وقيل: واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شده حره.

- وقال بعض السلف:

أشهد على كل كيال أو وزان بالنار؛ لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله.

— وقال بعضهم:

دخلت على مريض، وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها فلما أفاق قلت له: يا أخي مالي ألقنك الشهادة، ولسانك لا ينطق بها؟

قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها.

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصا، قال لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزاني.

فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصا

— وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع، فيقول: **«اتق الله، وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم»**.

وكذا التاجر إذا شد يده في *الذراع* وقت البيع، وأرخى وقت الشراء.

— وكان بعض السلف يقول:

ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض، وويح لمن يشترى الويل بحبة يأخذها زائدة.

فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم

الكبيرة الحادية والثلاثون
أكل مال اليتيم وظلمه

- قال الله تعالى «**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**» (النساء : ١٠)

أى : إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون نارا تتأجج فى بطونهم يوم القيامة.

قال السدى : رحمه الله تعالى ـ : يحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم.

- وقال تعالى : فى شأن أموال اليتامى ـ : «**ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا**» أى: مبادرة قبل بلوغهم

ثم قال تعالى : «**ومن كان غنيا فليستعفف، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف**» (النساء : ٦)

قال العلماء : فكل ولى ليتيم إذا كان فقيرا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه فى مصالحه، وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام.

وقد ذكر ابن الجوزى ـ فى تفسيره ـ فى الأكل بالمعروف أربعة أقوال :

أحدها : أنه الأخذ على وجه القرض.

والثانى : الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث : أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملا.

والرابع : أنه الأخذ ـ عند الضرورة ـ فإن أيسر قضاه، وان لم يوسر فهو فى حل.

- وفى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم -في الجنة- هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما. (١٣٥)

- وفى صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة**» وأشار الراوى وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى. (١٣٤)

كفالة اليتيم هى القيام بأموره، والسعى فى مصالحه، من طعامه وكسوته، وتنمية ماله إن كان له مال. وان كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى.

وقوله - فى الحديث - «**له أو لغيره**» أى: سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه.

فالقرابة مثل: أن يكفله جده، أو أخوه، أو أمه، أو عمه، أو زوج أمه، أو خاله، أو غيره من أقاربه، والاجنبى من ليس بينه وبينه قرابه.

- وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن نبى الله ﷺ قال: «**من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر**»

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح (٣/ ٢٣٠)

- [وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أنى أرى امرأة تبادرنى، فأقول لها: مالك، ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على ايتام لى**» رواه أبو يعلى واسناده حسن إن شاء الله] (٣/ ٢٣١)

- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رجلا شكا الى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «**امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. (٣/ ٢٣١)

حكاية

وحكى عن بعض السلف قال: كنت - فى بداية أمرى - مكبا على المعاصى وشرب الخمر، فظفرت يوما بصبى يتيم فقير فأخذته واحسنت إليه

وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلتُ شعثه: وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرأيت فى النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمر بى إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصى. فسحبتنى الزبانية ليمضوا بى إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروننى سحبا إلى النار.

وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى اشفع له إلى ربى؛ فإنه قد أحسن إلى وأكرمنى.

فقالت الملائكة: إنا لم نؤمر بذلك.

وإذا النداء من قبل الله ـ تعالى ـ يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل، وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام.

- ولهذا قال انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ خادم رسول الله ﷺ **«خير البيوت بيت. فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء اليه، وأحب عباد الله إلى الله ـ تعالى ـ من اصطنع صنعا إلى يتيم أو أرملة»**.
- وروى أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق، واعلم كما تزرع كذا تحصد.

معناه: أنك كما تفعل، كذلك يفعل معك

أى: لابد أن تموت، ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة

- وقال داود ـ عليه السلام ـ فى مناجاته:

إلهى ما جزاء من اسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟

قال: جزاؤه أن أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى.

معناه: ظل عرشى يوم القيامة.

حــكاية أخرى

ـ أن بعض العلويين ـ كان نازلا ببلخ من بلاد العجم ـ وله زوجة علوية، وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها في شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجمعين:

جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد

وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد.

فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية، ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم.

فقال لها: اقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، فاعرض عنها.

فمضت من عنده منكسره القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معها بنات أيتاما، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم.

فقام وارسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبى ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقيمى عندى البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندى البنية أنك مسلم: فانتبه الرجل حزيناً على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دل عليها أنها عند المجوسى، فأرسل إليه فأتاه فقال له:

أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني. قال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إلى. فقال: لا أفعل، فقال: لابد منهن. فقال: الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى. أتدل على بالاسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك قلت: نعم يا رسول الله. قال: القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمناً فى الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله. فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا.

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ ـ أنه قال:

«الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»

قال الراوى: وأحسبه قال: **«وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»**.

والساعى عليهم: هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى (٣ / ٢٣٢)

وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه، إنه جواد كريم رءوف غفور رحيم.

الكبيرة الثانية والثلاثون

أذى الجـــار

ـ ثبت فى الصحيحين ـ من حديث أبى هريرة ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: من يا رسول الله؟

قال: «**الذى لا يأمن جاره بوائقه**» أى: غوائله وشروره

وفى رواية لمسلم «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»

ـ وسئل رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله؟

فذكر ثلاث خلال وقال: «**أن تجعل لله ندا، وهو خلقك، وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، وأن تزانى حليلة جارك**» متفق عليه.
(٣/١٩٤ ـ ١٩٥)

ـ وفى الحديث الصحيح: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره**» متفق عليه (٣/٢٣٣)

ـ والجيران ثلاثة:

جار مسلم قريب: له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة.

وجار مسلم: له حق الجوار، وحق الإسلام

والجار الكافر: له حق الجوار.

ـ وكان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ له جار يهودى، فكان إذا ذبح الشاة؛ يقول: «**احملوا إلى جارنا اليهودى منها**».

ـ وروى: «أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة، ويقول: يارب سل هذا لم أغلق عنى بابه، ومنعنى فضله»

- وينبغي للجار أن يتحمل أذى الجار، فهو من جملة الإحسان إليه.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملت به دخلت الجنة! قال: « **كن محسنا** »، قال: كيف أعلم أني محسن ؟

قال: « **سل جيرانك، فإن قالوا: إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيء فأنت مسيء** » ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة (١)

- وروى: « من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ».

- وعن المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « **ماتقولون في الزنا؟** » قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ : « **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره** ».

قال: « **ما تقولون في السرقة؟** » قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام

قال: « **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره** » رواه أحمد واللفظ له ورواته ثقات. (٣ / ٢٣٣)

- وفي سنن أبي داود - من رواية أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى - رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له: « **اذهب فاصبر** » فأتاه مرتين، أو ثلاثا

فقال: « **اذهب فاطرح متاعك في الطريق** » ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه: فعل الله به، وفعل وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع، فإنك لن ترى مني شيئا تكرهه ».

وصححه ابن حبان، والحاكم على شرط مسلم (٣ / ٢٣٥)

- وينبغي أن يحتمل أذى جاره، وإن كان ذميا.

---

(١) وخرجه الحاكم في المستدرك (٣٧١/١) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

فقد روى عن سهل بن عبيد الله التسترى ـ رحمه الله ـ أنه كان له جار ذمى، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم جفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى، ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث ـ رحمه الله ـ على هذا الحال زمانا طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة، فاستدعى جاره المجوسى، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة، فقال: ما هذا الذى أرى؟

قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت، وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرنى أجلى، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك، وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى.

فقال المجوسى: أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل، وأنا مقيم على كفرى؟ مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ثم مات سهل رحمه الله.

فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رءوف رحيم.

الكبيرة الثالثة والثلاثون
أذى المسلمين وشتمهم

ـ قال الله تعالى: **«والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا»** أى: يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه، وبغير جناية واستحقاق للأذى **«فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا»** (الأحزاب ٥٨) أى: فقد حملوا أنفسهم البهتان والكذب والزور والذنب الواضح الجلى (١)

ـ وقال تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا»** أى: يا من اتصفتم بالإيمان وصدقتم بالله

(١) صفوة التفاسير (١١٢٢)

ورسوله «**لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم**» أى: لا يهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون المستهزأ به خيرا عند الله من المستهزىء «**ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**» أى: ولا يسخر نساء من نساء فعسى أن تكون المحتقر منها خيرا عند الله وأفضل من الساخرة «**ولا تلمزوا أنفسكم**» أى: ولا يعب بعضكم بعضا وانما قال: انفسكم لأن المسلمين كأنهم نفس واحدة «**ولا تنابزوا بالألقاب**» أى: ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء.

«**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**» أى: بئس أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن صار مؤمنا «**ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون**» (الحجرات ١١): أى: ومن لم يتب عن اللمز والتنابز والسخرية، فأولئك هم الظالمون بتعريض أنفسهم للعذاب [١]

- وقال ﷺ: «**عباد الله، وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئا فذلك الذى حرج وهلك**» خرجه الحاكم فى المستدرك وصححه [٢]

- وقال ﷺ: «**ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه**» رواه البخارى عن عائشة ومسلم [٣] واللفظ له

- وفى الحديث: «**كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن (١٢١)

- وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، والتقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» (١٢١)

---

(١) صفوة التفاسير (١٤٠٠) بتصرف
(٢) وأقره الذهبى (٤ / ١٩٨ ـ ١٩٩)
(٣) مسلم (٢٠٠٢/٤)

- وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» رواه البخارى ومسلم وغيرهما (٣/ ٢٨٥)
- وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصلى الليل وتصوم النهار، وفى لسانها شىء تؤذى جيرانها سليطة.
قال: «**لا خير فيها ـ هى فى النار**» صححه الحاكم (١)
- وفى الحديث أيضا «**اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم**» صححه الحاكم (٢)
- وقال رسول الله ﷺ: «**من دعا رجلا بالكفر، أو قال: يا عدو الله ـ وليس كذلك ـ الا حار عليه**» رواه البخارى ومسلم
وحار (بالحاء المهملة والراء): أى رجع (٣/ ٢٨٤)
- وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «**لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم**» رواه أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح (٣).

فصل
فى الترهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب

- **صح عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم»** رواه مسلم (٤).

فكل من حرش بين اثنين من بنى آدم، ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس.

---

(١) وأقره الذهبى (٤/ ١٦٦) (٢) وأقره الذهبى (١/ ٣٨٥)
(٣) قاله العراقى فى تخريج أحاديث الأحياء (٣/ ١٣٩)
(٤) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٦).

- كما قال النبى ﷺ : «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرءاء العنت**» رواه احمد عن اسماء بنت يزيد، وفيه شهر بن حوشب وثقه غيرواحد، وبقية رجاله رجال الصحيح (١)
- وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة نمام**» متفق عليه من حديث حذيفة (٥٤٢)

والنمام : هو الذى ينقل الحديث بين الناس، أو بين اثنين بما يؤذى أحدهما، أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بان يقول له: قال عنك فلان كذا وكذا، وفعل كذا وكذا إلا أن يكون فى ذلك مصلحة أو فائدة، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب.

وأما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهما، فحرام

كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها على بعض، وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك؛ فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله.

- ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها، والعبد على سيده.

لما روى أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبدا على سيده**» رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه بنحوه (٣/ ٩٣)

خبب (بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء الموحدة الأولى) معناه: خدع وأفسد نعوذ بالله من ذلك.

فصل
فى الترغيب فى الاصلاح بين الناس

- قال الله تعالى: «**لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما**» (النساء ١١٤)

(١) الجامع الأزهر (١/١٨٣)

قال مجاهد: هذه الآية عامة بين الناس، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير، وهو قوله: «**إلا من أمر بصدقة**» ثم حذف المضاف (١) «**أو معروف**» قال ابن عباس: بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف، لأن العقول تعرفها.

قوله تعالى: «**أو إصلاح بين الناس**» قال ابن جرير وهو الاصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الاصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة (٢)

- وروت أم حبيبة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله**»

رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا، وقال المنذرى: رواته ثقات (٤ / ١٠)

- وروى أن رجلا قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث!

قال سفيان: ألم تسمع الى قوله تعالى: «**لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف ـ الآية**» فهذا هو بعينه.

- ثم أعلم الله ـ سبحانه ـ أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله

قال تعالى: «**ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله، فسوف نؤتيه أجرا عظيما**» أى: ثواباً لا حد له.

- وفى الحديث: «**ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا، أو يقول خيرا**» رواه البخارى. (٥٥١)

وقالت أم كلثوم: «**ولم اسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاث**» تعنى الحرب، والاصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

- وعن سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله عنه ـ «أن رسول الله ﷺ بلغه

---

(١) والتقدير: إلا نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس.

(٢) تفسير الطبرى (٩/٢٠١).

أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه من أصحابه» رواه البخارى (*).

— وروى أن : «ما عمل شئ أفضل من مشى الى الصلاة، أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين»

— وروى كذلك : «أن من أصلح بين اثنين؛ أصلح الله أمره، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة، ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه»

وبالله التوفيق.

اللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين

الكبيرة الرابعة والثلاثون
أذية أولياء الله

— قال الله تعالى : «**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**» أى : يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه. وبغير جناية واستحقاق للأذى «**فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا**» (الأحزاب ٥٨) أى : فقد حملوا أنفسهم البهتان والكذب والزور، والذنب الواضح الجلى (١)

— وقال تعالى : «**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**» (الشعراء ٢١٥) أى : تواضع وألن جانبك لأتباعك المؤمنين (٢)

— وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب**» رواه البخارى. (١٨١)

ومعنى آذنته : أعلمته بأنى محارب له

وفى رواية : «**فقد بارزنى بالمحاربة**».

— وفى الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها.

---

(١) صفوة التفاسير (١١٢٢)

(٢) صفوة التفاسير (٩٨٢)

(*) البخارى (٢٣٩/٣).

فقال أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟
فأتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: **« يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ! ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك »**
فأتاهم فقال: يا اخوتاه آغضبتكم ؟ قالوا: لا ؛ يغفر الله لك يا أخى. رواه مسلم. وقوله (مأخذها): أى لم تستوف حقها منه (١٣٥)

فصل

في قوله تعالى: **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه .. الآيات »** (الكهف ٢٨)

وهذه الآيات فى تفضيل الفقراء
وسبب نزولها: أن النبى ﷺ أول من آمن به الفقراء ــ وكذلك كل نبى أرسل، أول من آمن به الفقراء ــ فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه، مثل سلمان وصهيب، وبلال وعمار بن ياسر ــ رضى الله عنهم ــ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء، لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين، فقالوا: يا محمد اطرد الفقراء عنك، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم، فلو طردتهم عنك، لآمن بك أشراف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى: **« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه .. »**
فلما أيس المشركون من طردهم قالوا: يامحمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوما، فأنزل الله تعالى: **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا »**.
أى: لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم، وطلباً لصحبة أبناء الدنيا
« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » أى: لا تطع كلام الذين سألوك طرد المؤمنين فقلوبهم غافلة عن ذكر الله، وقد شغلوا عن الدين وعبادة ربهم بالدنيا **« واتبع هواه »** أى: سار مع هواه وترك أمر الله **« وكان أمره فرطا »** أى: كان أمره ضياعا وهلاكا ودمارا **« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر »** ظاهره أمر، وحقيقته وعيد وإنذار.

ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير، بقوله : **« واضرب لهم مثلا رجلين »** وقوله : **« واضرب لهم مثل الحياة »**

فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه ، فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمى إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا ــ رضى الله عنهم ــ هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاينوه بنور الإيمان . فلم يعلقوا قلوبهم بشىء من الأكوان .

بل قالوا : إياك نعبد .. ولك نخضع ونسجد .. وبك نهتدى ونسترشد وعليك نتوكل ونعتمد .

وبذكرك ننعم ونفرح .. وفى ميدان ودك نرتع ونسرح .. ولك نعمل ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح .

فحينئذ عمر لهم سبيله .. وخاطب فيهم رسوله فقال : **« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة ــ الآية »** .

أى : لا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، . وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون . لا تطرد قوما المساجد مأواهم .. والله مطلوبهم ومولاهم .. والجوع طعامهم والسهر ــ إذا نام الناس ــ إدامهم .. والفقر والفاقة شعارهم .. والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم .. و بسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم

فالفقر عام وخاص ، فالعام : الحاجة إلى الله تعالى ، وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى : **« ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ــ الآيه »** (فاطر١٥) .

والخاص : وصف أولياء الله وأحبائه ، خلو اليدين من الدنيا ، وخلو القلب من التعلق بها ، إشتغالا بالله عز وجل وشوقا إليه ، وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك

واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

الكبيرة الخامسة والثلاثون
الإضرار فى الوصية

— قال الله تعالى: «**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار**» أى: غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصى بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه «**وصية من الله، والله عليم**» بالضار وغيره «**حليم**» لا يعاجل بعقوبته «**تلك حدود الله**» قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه فى الميراث «**ومن يطع الله ورسوله**» فى شأن المواريث «**يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك الفوز العظيم، ومن يعص الله ورسوله**» قال مجاهد: فيما فرض الله من المواريث، وقال عكرمة عن ابن عباس: من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله «**يدخله ناراً**» وقال الكلبى: يعنى يكفر بقسمة الله المواريث ويتعد حدوده استحلالا «**يدخله نارا خالدا فيها، وله عذاب مهين**» (النساء ١٢ — ١٤).

— وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار**» ثم قرأ أبو هريرة رضى الله عنه «**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار**» حتى بلغ «**وذلك الفوز العظيم**» رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن غريب. (٤ / ١٦٦)

— وقال ﷺ: «**إن الله قد أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث**» صححه الترمذى. (١)

— وروى أن «من فر بميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة يوم القيامة».

(١) الترمذى (٤/٤٣٣).

الكبيرة السادسة والثلاثون

الخيانة فى الأمانة

ــ قال الله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**» (الأنفال ٢٧)

قال الواحدى ـ رحمه الله تعالى ـ : نزلت هذه الآية فى أبى لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حاصرهم ــ وكان أهله وولده فيهم ــ فقالوا: يا أبا لبابة ماترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا ؟ ، فأشار أبولبابة إلى حلقه ، أى أنه الذبح ، فلا تفعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله .

قال أبو لبابة : فما زالت قدماى من مكانى حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله .

وقوله : «**وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**» عطف على النهى ، أى : ولا تخونوا أماناتكم

قال ابن عباس: الأمانات : الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد يعنى الفرائض ، يقول : لا تنقضوها

قال الكلبى : أما خيانة الله ورسوله : فمعصيتهما .

وأما خيانة الأمانة : فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه إن شاء خانها ، وإن شاء أداها ، لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى وقوله : «**وأنتم تعلمون**» أنها أمانة من غير شبهة .

ــ وقال تعالى : «**وأن الله لا يهدى كيد الخائنين**» (يوسف ٥٢) .

أى : لا يرشد كيد من خان أمانته ، يعنى : أنه يفتضح فى العاقبة بحرمان الهداية .

وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان**» رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة . (٤ / ٤٣)

ـ وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : «**لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له**» رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط (١) وابن حبان فى صحيحه. (٤ / ٤٤)

ـ والخيانة قبيحة فى كل شىء ، وبعضها شر من بعض . وليس من خانك فى فلس ، كمن خانك فى أهلك ومالك وارتكب العظائم .

ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**» حسنه الترمذى وغيره (٢)

ـ وفى الحديث أيضا : «**يطبع المؤمن على كل خلة إلا الخيانة والكذب**» رواه أبو يعلى ــ والبزار عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا ورجاله رجال الصحيح (٣)

ـ وقال رسول الله ﷺ «**يقول الله : أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما**» رواه أبو داود وصححه الحاكم (٤) (٣ / ٣١)

ـ ومن دعاء النبى ﷺ أنه كان يقول : «**اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**» . رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة . (٥١٩)

ـ وقال عليه الصلاة والسلام : «**وأهل النار خمسة ..**» فذكر أصنافا إلى أن قال : «**والخائن الذى لا يخفى (٥) له طمع ــ وإن دق ــ إلا خانه**» رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى (٦)

---

(١) قال الهيثمى (٩٦/١) : وفيه أبو هلال : وثقه ابن معين ، وغيره ، وضعفه النسائى وغيره

(٢) نقله المناوى (٢٢٣/١) ونقل قول الهيثمى في بعض طرقه : رجاله ثقات

(٣) الجامع الأزهر (٣١٧٩/٣)

(٤) وأقره الذهبى (٥٢/٢)

(٥) أى لا يظهر

(٦) صحيح مسلم (٢١٩٨/٤)

- وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : « **القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة، وإن قتل فى سبيل الله، فيقال: أد أمانتك فيقول: أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا، فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته، كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها، فيهوى فى أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زلّت عن منكبيه فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين.**

ثم قال : « الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدَّدها، وأشد ذلك الودائع ».

رواه أحمد والبيهقى موقوفا، وذكر عبد الله بن الإمام أحمد فى كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال : إسناده جيد[1] (٤ / ٤٢)

- وقد روى : « أن أول مايرفع من الناس الأمانة : وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لاخير فيه »

فاللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك.

موعظة

عباد الله ..

ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها! .. وما أجهل النفوس وقد أطعتموها!

وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها ..

وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها.

قبل الرحيل عن القليل .. والمناقشة عن النقير والفتيل.

قبل أن تنزلوا بطون اللحود .. وتصيروا طعاما للدود .. فى بيت بابه مسدود

ولو قيل للعاصى ما تختار؟ .. لقال: أعود ولا أعود.

أين أهل الديار من قوم نوح ؟ ... ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما القوم فى النمارق والاستبرق أفضت إلى التراب الخدود

وصحيح أضحى يعود مريضا ... وهو أدنى للموت ممن يعود.

---

(١) ساقه مرفوعا بإسناده إلى ابن أبى الدنيا الحافظ ابن كثير فى النهاية (٢/٨٨) وقال : إسناد جيد، ولم يروه أحمد ولا من السته أحد.

الكبيرة السابعة والثلاثون

النميمة

ــ وهي : نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم ، هذا بيانها .
وأما حكمها : فهي حرامٌ بإجماع المسلمين .
وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة .

ــ قال الله تعالى : « **ولا تطع كل حلاف** » كثير الحلف بالحق والباطل ، والذى يكثر الحلف مستهينا بعظمة الله « **مهين** » أى فاجر حقير « **هماز** » أى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب « **مشآء بنميم** » (القلم ١٠ ــ ١١) أى : يمشى بالنميمة بين الناس [١] .

ــ وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة نمام** » (٣/ ٢٩٤)

ــ وفى الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال : « **إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما : فكان لايستبرئ من بوله ، وأما الآخر : فكان يمشي بالنميمة** » .
ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة » **فقالوا : يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ فقال « لعلها أن يخفف عنهما ما لم ييبسا** » رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس [٢] وقوله « **وما يعذبان فى كبير** » : أى ليس بكبير تركه عليهما ، أو ليس بكبير فى زعمهما ولهذا قال ــ فى رواية أخرى ــ : « **.. بلى إنه كبير ..** » .

---

(١) صفوة التفاسير (١٥٩١)

(٢) البخارى (١/ ٦٤) ومسلم (١/ ٢٤٠) والنسائى (٤/ ١٠٦) واللفظ له .

– وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء: بوجه، وهؤلاء بوجه**» متفق عليه (٥٤٤)

– وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة**» رواه أبو داود بسند حسن (١).

– وروى أنه «من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار» ومعنى «من كان ذا لسانين» أي: يتكلم مع هؤلاء بكلام، وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.

– **قال الإمام أبو حامد الغزالي** (٢) – رحمه الله –:

[النميمة] : إنما تطلق – في الغالب – على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كقوله: فلان يقول فيك كذا، وليست: النميمة: مخصوصة بذلك.

بل حدها: كشف ما يكره كشفه، سواء كره المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو ثالث. وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز، أو الإيماء، أو نحوها.

وسواء كان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيبا أو غيره.

فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه.

وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين، أو دفع معصية.

– قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقه، لأنه نمام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله عز وجل، فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب.

---

(١) قاله العراقي في تخريج أحاديث الاحياء (٣/١٥٤).

(٢) الاحياء (٣/١٥٢) والاذكار (٣٠٩).

الرابع : أن لا يظن فى المنقول عنه السوء لقوله تعالى : « **اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم** » (الحجرات ١٢)
الخامس : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك قال الله سبحانه وتعالى : « **ولا تجسسوا** » (الحجرات ١٢)
السادس : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه ، فلا يحكى نميمته .
وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشئ ، فقال عمر: ياهذا إن شئت نظرنا فى أمرك : فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية « **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** » (الحجرات ٦) وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية « **هماز مشاء بنميم** » (القلم ١١) وإن شئت عفونا عنك .
فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبدا.

- ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد ــ رحمه الله ــ يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير، فكتب على ظهر الرقعة :
النميمة قبيحة ، وإن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله والمال ثمرة الله ، والساعى لعنه الله.
- وقال الحسن البصرى : من نقل إليك حديثا فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.
- وهذا مثل قول الناس: من نقل إليك نقل عنك فاحذره.
- وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث .

أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطا من قول الله تعالى « **عتل بعد ذلك زنيم** » (القلم ١٣).
والزنيم : الدعى .

- وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخا له ، وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ، فقال له : ياأخى أطلت الغيبة ، وأتيتنى بثلاث جنايات : بغضت إلى أخى وشغلت قلبى بسببه واتهمت نفسك الأمينة .
- وجاء رجل إلى على بن الحسين ــ رضى الله عنهما ــ فقال : إن فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا فقال : اذهب بنا اليه فذهب ــ معه ــ وهو يرى أن ينتصر

لنفسه، فلما وصل إليه قال: ياأخي إن كان ماقلت فيَّ حقا فغفر الله لي وإن كان ماقلت فيّ باطلا فغفر الله لك

- وقيل في قوله تعالى: «**حمالة الحطب**» (المسد ٤) يعني: امرأة أبي لهب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة.
سمى النميمة حطبا، لأنها سبب العداوة، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار.
- ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان، لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

حكاية

روى أن رجلا رأى غلاما يباع، وهو ينادى عليه: ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه، فكث عنده أياما، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال: إنه لا يحبك، فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه؛ فإذا نام فخذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته، واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها.

ثم جاء إلى زوجها، وقال: سيدى إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتناوم لها الليلة، وانظر كيف تجيء إليك، وفى يدها شيء تريد أن تذبحك به وصدقه سيده.
فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته، والرجل يتناوم لها، فقال فى نفسه: والله صدق الغلام بما قال
فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به.
فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين، بشوم ذلك العبد المشئوم
فلذلك سمى الله النمام فاسقا فى قوله تعالى: «**إن جاءكم فاسق بنبأ**

فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين»
(الحجرات ٦)

موعظة

يا من أسره الهوى، فما يستطيع له فكاكا..
يا غافلاً عن التلف وقد أدركه إدراكا
يامغروراً بسلامته، وقد نصب له الموت أشراكا..
تفكر فى ارتحالك، وأنت على حالك، فإن لم تبك فتباكى..

بكيت فما تبكى شباب صباك	كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا	مكان الشباب الغض ثم نعاك
ألم تر يوما مر إلا كأنه	بإهلاكه للهالكين عناك
ألا أيها الفانى وقد حان حينه	أتطمع أن تبقى، فلست هناك
ستمضى، ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته هو ذاك
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ويهوى الحى بعد هواك
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وإن باك عليك بكاك
كأن الذى يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاك
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك، إذا الخطب الجليل أتاك
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الثامنة والثلاثون

رضا المطلق بالتحليل وطواعية المرأة المطلقة عليه ورضا الزوج المحلل به

- صح من حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ : **«لعن المحلل والمحلل له»** رواه الترمذى، وصححه (١).

قال الترمذى : والعمل على هذا عند أهل العلم : منهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين.

ورواه الإمام أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه - أيضا - بإسناد صحيح.

- وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : **«ألا أخبركم بالتيس المستعار؟»** قالوا : بلى يا رسول الله قال : **«هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له»** رواه ابن ماجه بإسناد صحيح (٢).

- وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل، فقال : **«لا، إلا نكاح رغبة؛ لا نكاح دلسة؛ ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة»** رواه أبو إسحق الجوزجانى (٣).

---

(١) سنن الترمذى (٤١٩/٣ - ٤٢٠)   (٢) ابن ماجه (٦٢٣/١)

(٣) قال شيخ الإسلام فى «اقامة الدليل» ورواه ابن شاهين فى غرائب السنن والدلسة : من التدليس، وهو الكتمان والتغطية للعيوب، والمدالسة المخادعة، ويقال : فلان لا يدالسك، أى : لا يخادعك، ولا يخفى عليك الشيء، فكأنه يأتيك به فى الظلام، والدلس (بالتحريك) : الظلمة. وذلك لأن من قصد التحليل فقد دلس مقصوده الذى يبطل العقد، وكتم النية الردية. بمنزلة المخادع المدالس الذى يكتم الشر ويظهر الخير.

وإسناد هذا الحديث جيد إلا ابراهيم بن اسماعيل. فإنه قد اختلف فيه ... إلى أن قال : قال أبو أحمد بن عدى : هو صالح فى باب الرواية، ويكتب حديثه على ضعفه، وهذا الذى قال ابن عدى : عدل من القول، فإن فى الرجل ضعفاً لا محالة، وضعفه إنما هو من جهة الحفظ وعدم الإتقان لا من جهة التهمة وله عدة أحاديث بهذا الإسناد روى منها الترمذى وابن ماجه فمثل هذا يكتب للإعتبار به (١٩٥/٣) الفتاوى الكبرى.

- وجاء رجل إلى ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا، فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه، ليحلها لأخيه، هل تحل للأول ؟ قال: «**لا، إلا نكاح رغبة. كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ**» صححه الحاكم على شرط البخارى ومسلم (١)

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين:

- فقد روى الآثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: «**لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتها**».
- وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال: «**ذلك السفاح**».
- وعن عبد الله بن شريك العامرى قال: سمعت ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له، ثم ندم ورغب فيها، فأراد أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر: «**كلاهما زان، وان مكثا عشرين سنة، أو نحو ذلك، إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها**».
- وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه سأله رجل فقال: ابن عمى طلق امرأته ثلاثا ثم ندم، فقال: «**ابن عمك عصى ربه فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا**» فقال: كيف ترى فى رجل يحلها له؟ فقال: «**من يخادع الله يخدعه**».
- وقال ابراهيم النخعى: «**إذا كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول، أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل، فنكاح الآخر باطل، ولا تحل للأول**»
- وقال الحسن البصرى: «إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد».
- وقال سعيد بن المسيب ـ إمام التابعين ـ فى رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال: «**لا تحل**».

ومن قال بذلك مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثورى، والإمام أحمد

- وقال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة، وفى نفسه أن يحللها لزوجها الأول، ولم تعلم المرأة بذلك؟

---

(١) واقره الذهبى (٢/١٩٩)

فقال : «هو محلل ، وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون» .

ـ ومذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ :

إذا شرط التحليل في العقد بطل العقد ، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة .

وإن وجد الشرط ـ قبل العقد ـ فالأصح : الصحة .

وإن عقد كذلك ولم يشرط في العقد ، ولا قبله : لم يفسد العقد .

وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان :

أصحهما : إنه يبطل ، ووجه البطلان : أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح عند الرافعي .

ووجه الثاني : أنه شرط فاسد قارن العقد ، فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم

فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه ، ويجنبنا معاصيه . إنه جواد كريم غفور رحيم .

موعظة

لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها .. وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها التقطوا أيام السلامة فغنموا .. وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا وأخذوا مواهبه بالشكر وسلموا .

هجروا ـ في طاعته ـ لذيذ الكرى .. وهربوا إليه من جميع الورى ،

وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى .. ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى

وباعوا أنفسهم ، فيانعم البيع ويانعم الشرا

سلموا إليه لما أسلموا الروح .. وخدموه والصدر لخدمته مشروح .

وقرعوا بابه ، وإذا الباب مفتوح .. وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح .

وقاموا بالأسحار قيام من يبكي وينوح .. وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح وراضوا أنفسهم ، فإذا المذموم ممدوح .. تعرفهم بسيماهم ، عليهم آثار الصدق تلوح .

قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح .

من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق
ممسكة النفحات، إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق

الكبيرة التاسعة والثلاثون
التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم، وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو غير ذلك
والأمر بإتلافها

ـ قال الله تعالى: «**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذابا مهينا**» (الأحزاب ٥٧).

قال عكرمة: هم الذين يصنعون الصور.

ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» مخرج في الصحيحين (٤/٥٤).

ـ وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه، وقال: «**يا عائشة أشد الناس عذابا ـ عند الله ـ يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**».

قالت: «فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين» مخرج في الصحيحين (٤/٥٤)

القرام (بكسر القاف): وهو الستر، والسهوة (كالصفة) تكون بين يدي البيت [قيل: هي الطاق النافذ في الحائط]. (٥٩٤)

ـ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا، فتعذبه فى جهنم» مخرج فى الصحيحين (٤/ ٥٥)

— وعنه — رضى الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من صور صورة، فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ»** مخرج فى الصحيحين كذلك (٥٩٤)

— وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى؟، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»** مخرج فى الصحيحين (٥٩٤)

— وعنه قال ﷺ: **«يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بها، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق به يقول: إنى وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين»**

رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح

عنق (بضم العين والنون): أى طائفة وجانب من النار (٤/ ٥٦)

— وقال رسول الله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة»** مخرج فى الصحيحين [عن أبى طلحة]. (٤/ ٥٥)

— وفى سنن أبى داود عن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ —: **«لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا جنب، ولا كلب»** (٤/ ٥٦)

وقال الخطابى — رحمه الله تعالى:

قوله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب، ولا صورة، ولا جنب»**

يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة، دون الملائكة الذين هم الحفظة؛ فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب.

وقد قيل: إنه لم يرد الجنب الذى أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة، ولكنه الذى يجنب، ولا يغتسل، يتهاون بالغسل ويتخذه عادة، فإن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد.

وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه.

وعن أم سلمة قالت: «**كان رسول الله ﷺ يجنب ثم ينام ثم ينتبه ثم ينام**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[1].

وأما الكلب فهو أن يقتني كلبا لا لزرع، ولا لضرع ولا صيد، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه في بعض الامور، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه، فلا حرج عليه إن شاء الله[2].

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاص منتصبه أو كانت منقوشة في سقف أو جدار، أو موضوعة في نمط، أو منسوجة في ثوب أو مكان، فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب، وبالله التوفيق.

ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها.

روى مسلم في صحيحه — عن حيان بن حصين، قال: قال لي علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — «**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفا إلا سويته**» (٥٩٥)

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم.

---

(١) مجمع الزوائد (٢٧٥/١)

(٢) يعني على الأصح في مذهب الشافعي؛ لأنه في معنى الثلاثة المنصوص عليها، فيقاس عليها الوجه الثاني: المنع من اتخاذه، وهو مذهب الحنابلة للحديث الصحيح، ولأنه ليس في معنى المنصوص عليها فقد يحتال اللص لاخراجه بشيء يطعمه إياه ثم يسرق المتاع وراجع: المهذب (٢٦١/١) — المغني (١٩١/٤) — فتح الباري (٥/٥)

الكبيرة الأربعون

نشوز المرأة على زوجها

– قال الله تعالى: **«واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن الله كان عليا كبيراً»** (النساء ٣٤).

قال الواحدى – رحمه الله تعالى –:

النشوز – ههنا – معصية الزوج، وهو الترفع عليه بالخلاف.

وقال عطاء: هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها، وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية. **«فعظوهن»** بكتاب الله، وذكروهن ما أمرهن الله به، **«واهجروهن فى المضاجع»**.

قال ابن عباس: هو أن يوليها ظهره – فى الفراش – ولا يكلمها.

وقال الشعبى ومجاهد: هو أن يهجر مضاجعتها، فلا يضاجعها.

«واضربوهن» ضرباً غير مبرح، وقال ابن عباس: أدبا مثل اللكزة (١).

وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله فى هذه الآية **«فإن أطعنكم»** فيما يلتمس منهن **«فلا تبغوا عليهن»** قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل.

– وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»**

وفى رواية لهما: **«والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها، حتى يرضى عنها»**.

---

(١) لكزه (بفتح اللام والكاف والزاى) لكزاً: ضربه بجمع كفّه فى صدره.

المعجم الوجيز (٥٦٣)

وفى رواية لهما وللنسائى : «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**». (٣ / ٧٨)

- وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال : «**ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو**». رواه ابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما. (٣ / ٧٨ ـ ٧٩)

- وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه**» أخرجه البخارى. (٣/٧٧)

ومعنى «**شاهد**» : أى حاضر، غير غائب.

وذلك فى صوم التطوع، فلا تصوم حتى تستأذنه، لأجل وجوب حقه وطاعته.

- وقال ﷺ : «**لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح. (٣/٧٦)

- وعن عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبى ﷺ فقال : «**فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك**» رواه أحمد والنسائى بإسنادين جيدين (٣/٧٤)

- وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا ينظر الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهى لا تستغنى عنه**».

رواه النسائى والبزار بإسنادين : رواة أحدهما رواة الصحيح. (٣/٧٨)

- وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه، وصححه الحاكم. (٣/٧٣)

- وروى «أن أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها».

- وروى كذلك «أن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره، لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع».

- فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها، وتجتنب سخطه، ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبي ﷺ : «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته؛ فلتأته، وإن كانت على التنور**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه. (٣/ ٧٨).

قال العلماء: إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس، فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل - أيضا - أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتى تغتسل، لقول الله تعالى: «**فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن**» (البقرة ٢٢٢)، أي: لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن.

قال ابن قتيبة «**يطهرن**»: ينقطع عنهن الدم، «**فإذا تطهرن**»: أي اغتسلن بالماء والله أعلم.

لما روى أن: «من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا **فصدقه فقد** كفر بما أنزل على محمد ﷺ»(١).

وفي حديث آخر: «**لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن**»

رواه الطبراني من رواية عبد الصمد بن الفضل (٢) (٢/ ٢٠١)

والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك.

- وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج، فلا تتصرف في نفسها، ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها، وتكون مستعدة لتمتعه بها. بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

---

(١) أعله المنذري بجهالة حكيم الاثرم والانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة (٣/ ٢٠١)

(٢) قال المنذري: لا بأس به لم أر فيه جرحا، ونقل المناوي عن الذهبي نحوه (٢/ ١٠٢أ)

- قال الأصمعي: دخلت البادية، فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح، فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟

فقالت: اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني جزاءه ولعلي أسأت، فجعله عقوبتي.

- وقالت عائشة -رضي الله عنها-: «**يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها**».

- وروى أن «نساءكم في الجنة: كل ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض[1] حتى ترضى».

- ويجب على المرأة -أيضاً- دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، والقيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته.

ويجب عليها أن تحرص على طيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته، وتركها لغيبته، وإكرام أهله وأقاربه، وترى القليل منه كثيرا.

فصل

في فضل المرأة الطائعة لزوجها، وشدة عذاب العاصية

- ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها، وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها.

- لقول النبي ﷺ: «**أيما امرأة ماتت، وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» خسنه الترمذي وصححه الحاكم. (٣/٧٣)

(١) قال في الوجيز: ما اكتحلت عيني بغمض (بضم فسكون): لم أنم (٥٢٩).

- وفى الحديث – أيضاً – : «**إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها دخلت من أى أبواب الجنة شاءت** » رواه ابن حبان فى صحيحه. (٣/ ٧٣)

- وروى أنه يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء، والحيتان فى الماء، والملائكة فى السماء، والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها .

وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه .

وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع .

- وقال النبى ﷺ : «**اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسوله ، ولأزواجهن ، وكثرة تبرجهن .

والتبرج : إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها ، وتجملت وتحسنت ، وخرجت تفتن الناس بنفسها ، فإن سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها .

- ولهذا قال النبى ﷺ : «**المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان**» رواه الطبرانى – فى الأوسط – ورجاله رجال الصحيح (١/ ١٣٥)

وأعظم ما تكون المرأة [قربا] من الله ما كانت فى بيتها .

- وفى الحديث أيضا : «**النساء عورة وإن المرأة لتخرج من بيتها، وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان ، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته ، وإن المرأة لتلبس ثيابها ، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضا ، أو أشهد جنازة ، أو أصلى فى مسجد ، وماعبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها** » . رواه الطبرانى . وإسناد هذه [الرواية] . حسن . (١ / ١٣٦)

قوله : «**فيستشرفها الشيطان**» أى : ينتصب ويرفع بصره إليها ويهم بها ، لأنها قد تعاطت سببا من أسباب تسلطه عليها ، وهو خروجها من بيتها .

فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها ، وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد فى بيتها ، وتعبد ربها وتطيع بعلها .

- وروى عن على ــ رضى الله عنه ــ أنه قال لزوجه فاطمة ــ رضى الله عنها ــ: يا فاطمة، ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يروها.
- وكان على رضى الله عنه ــ يقول: ألا تستحيون! ألا تغارون! يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم، وينظرون إليها.

- وعن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، **وذلك بعد أن** أمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ: «**احتجبا منه**»، فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال النبى ﷺ: «**افعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟**»

رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح. (٥٧٩)

فكما أنه ينبغى للرجل أن يغض طرفه عن النساء، فكذلك ينبغى للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة ــ رضى الله عنها ــ أن خير ما للمرأة: أن لا ترى الرجال ولا يروها.

فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها، ولأجل حمام ونحوه مما لابد لها منه، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة فى ملحفة وسخة وفى ثياب بيتها، وتغض طرفها فى مشيتها، وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا، فإن لم تفعل ذلك، وإلا كانت عاصية.

- وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات فى الدنيا، كانت تخرج من بيتها متبرجة، فماتت فرآها بعض أهلها فى المنام، وقد وردت على الله عز وجل فى ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها. وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار، فإنها كانت من المتبرجات فى الدنيا.

- وعن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال: «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا**» رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. (١٤٣)

فصـــل

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه؛ فالزوج ـ أيضا ـ مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى: «**وعاشروهن بالمعروف**»(النساء: ١٩)

ولقول النبي ﷺ : «**ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا.**

ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون.

ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن».

رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (٣ / ٧٣)

وقوله ﷺ : «**عوان**» أي: أسيرات. جمع عانية، وهي الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة ـ في دخولها ـ تحت حكم الرجل بالأسير.

ـ وقال ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله**».

رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ. (٣ / ٧٢)

ـ وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم**».

رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. (٣ / ٧٢)

ـ وجاء في الأثر: «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب ـ عليه السلام ـ على بلائه.

وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون».

- وقد روى أن رجلا جاء إلى عمر - رضى الله عنه - يشكو سوء خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها، وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعا، وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته، وهو أمير المؤمنين فكيف حالى؟

فخرج عمر فرآه موليا عن بابه، فناداه، وقال: ما حاجتك يا رجل؟

فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى، واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت، وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى؟ فقال عمر: يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها على إنها طباخة لطعامى خبازة لخبزى، غسالة لثيابى، مرضعة لولدى، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبى بها عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك؛ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتى. قال عمر: فاحتملها يا أخى، فإنما هى مدة يسيرة.

حكاية

وحكى أن بعض الصالحين كان له أخ فى الله، وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجك فى الله، جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه، وفعل به وفعل، وجعلت تذمذم عليه، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب، وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة.

قال: فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال: أخو زوجك فلان فى الله، فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً اجلس فإنه سيأتى إن شاء الله بخير وعافية.

قال : فتعجب الرجل من لطف كلامها وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك ، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله ، وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه قال : وما هو يا أخى ؟ .

قال : العام الأول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفا ولا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟

قال : يا أخى توفيت تلك المرأة الشرسة ، وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها ، كنت معها فى تعب وأنا احتملها كأن الله قد سخر لى الأسد الذى رأيت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لها . فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهرى لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة .

فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى إنه جواد كريم ..

الكبيرة الحادية والاربعون

الدياثة والقيادة بين الرجال والنساء

– قال الله تعالى: «**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**» (النور ٣)

أفادت هذه الآية: أن الفاسق الخبيث – الذى من شأنه الزنا والفسق – لا يرغب فى نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب فى فاسقة خبيثة مثله أو فى مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال، وإنما يرغب فيها الفسقة والمشركون (١).

وأفادت تحريم نكاح الزانية؛ لأن الله أخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك، فإنه إما أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه، أو – لا. فإن لم يلتزمه ولم يعتقده فهومشرك، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان، ثم صرح بتحريمه فقال: «**وحرم ذلك على المؤمنين**» (٢).

– عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث، ورجلة النساء**» إسناده صحيح، رواه النسائي والبزار وصححه الحاكم (٣). (٣ / ١٠٦)

– وعن عمار بن ياسر – رضى الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر**». قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟

---

(١) افاده الرازى ونقله فى صفوة التفاسير (٩٢٢).

(٢) قرره ابن القيم فى زاد المعاد (٤ / ٧).

(٣) وأقره الذهبى كما نقله المناوى (٣ / ٣٢٧) ونقل تصحيحه عنه فى الكبائر أيضا.

قال : « **الذى لا يبالى من دخل على أهله** »
قلنا : فما الرجلة من النساء؟ قال : « **التى تشبه بالرجال** » . رواه الطبرانى ، ورواته ليس فيهم مجروح . (٣ / ١٠٦ – ١٠٧)

— وقال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ، ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا وهو عاجز أو صداقا ثقيلا ، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضى وتطلب فرضهم ، فهو دون من يعرس عليها ، ولا خير فيمن لا غيرة له [والقوادة التى لا تزال بالحرة حتى تصير بغيا ، عليها وزران] فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة . إنه جواد كريم .

موعـــظة

أيها المشغول بالشهوات الفانيات .. متى تستعد لممات آت ؟
حتى متى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات ؟
أتطمع وأنت رهين الوساد فى لحاق السادات ؟ .. هيهات هيهات هيهات .
يا آملا فى زعمه اللذات .. احذر هجوم هازم اللذات .
احذر مكائده ، فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات .

تمضى حلاوة ما كتمت وبعدها	تبقى عليك مرارة التبعـــات
يا حسرة العاصين يوم معادهم	لو أنهم سبقوا إلى الجنـــات
لو لم يكن إلا الحياء من الذى	ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد حفت .. وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت
أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت ؟ .. أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحود قد زفت ؟ .. أما عاينت أبدان المترفين ، وقد أدرجت فى الأكفان ولفت ؟ ..
أما عاينت طور الأجسام فى الأرحام ؟ ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ؟
متى تعتبر بربع غيرك الدارس ؟ .. أين الأكاسرة الشجعان الفوارس ؟
وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس الكوانس ؟ ..
أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ؟

أين من اعتاد سعة القصور؟ .. حبس فى القبور فى أضيق المحابس.
أين الرافل فى أثوابه ؟ . عرى فى ترابه عن الملابس.
أين الغافل ــ فى أمله وأهله ؟ .. عن أجله سلبته أكف الخالس[1] .
أين جامع الأموال ؟ .. سلب المحروس وهلك الحارس.
حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها .. ولمن جهل نفسه أن يزجرها.
ولمن تحقق نقلته أن يذكرها .. ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها.
ولمن دعى الى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

الكبيرة الثانية والاربعون
قذف المحصنات

ــ قال الله تعالى : « **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** » (النور ٢٣ ــ ٢٤).

ــ وقال الله تعالى : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا، وأولئك هم الفاسقون** » (النور ٤).

بين الله تعالى أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون فى الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، وعليه فى الدنيا الحد ثمانون جلدة، وتسقط شهادته، وإن كان عدلا.

ــ وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات ..** » فذكر منها « **قذف المحصنات الغافلات المؤمنات** ». (٣/ ٢٨٩)

ــ والقذف : أن يقول ــ لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة ــ : يا زانية، أو يا باغية أو يا قحبة. أو يقول ــ لزوجها ــ : يا زوج القحبة . أو يقول ــ لولدها ــ : يا ولد القحبة، أو يا ابن القحبة. أو يقول ــ لبنتها ــ : يا بنت الزانية، أو يا بنت القحبة. فإن القحبة عبارة عن الزانية.

---
(١) الخلس : الاخذ فى نهزة، ومخاتلة والمراد الموت الذى يخلس الانسان روحه (اللسان).

- فإذا قال ذلك أحد — من رجل أو امرأة ، لرجل أو امرأة ، كمن قال لرجل : يا زانى ، أو قال لصبى حر: يا علق ، أو يا منكوح — وجب عليه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم بينة بذلك.

والبينة — كما قال الله — أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التى قذفها ، أو إذا طالبه بذلك الذى قذفه.

- وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته ؛ بأن قال — لمملوكه —: يا زانى أو لجاريته —: يا زانية ، أو يا باغية ، أو يا قحبة.

لما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»**. (٢٨٩/٣)

- وكثير من الجهال واقعون — فى هذا الكلام الفاحش الذى عليهم فيه العقوبة فى الدنيا والآخرة.

- ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها ، يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»**. قوله: (ما يتبين فيها): أى ما يتفكر هل هى خير أو شر؟ ويزل : يهوى. (٩/٤)

- وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أكثر خطأ ابن آدم فى لسانه**» رواه الطبرانى ورواته رواة الصحيح ، وأبو الشيخ فى الثواب. والبيهقى بإسناد حسن. (٨/٤)

- وفى الحديث «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**» متفق عليه. (٥٣٢)

- وعن ثوبان — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ : «**طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته**» رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير وحسن إسناده. (٣/٤)

— وعن ابن مسعود — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ : «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى**». رواه الترمذى وقال: حديث حسن. (٥٥٣)

والفاحش: ذو الفحش والخنا من قول وفعل، وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى.

والبذى: هو الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام.

وقانا الله وإياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم.

فـائدة:

قال المصنف — فى الصغرى — : وأما من قذف أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — بعد نزول براءتها من السماء، فهو كافر مكذب للقرآن، فيقتل[1]

الكبيرة الثالثة والأربعون

اللعن

— قال النبى ﷺ : «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**» رواه البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود. (٥٥٦)

— وقال ﷺ : «**لعن المؤمن كقتله**» رواه البخارى ومسلم (٥٥٣)

— وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء — رضى الله عنه — عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**».

— وفيه أيضا — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا**». (٥٥٣)

— وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذى**» رواه الترمذى وقال حديث حسن. (٥٥٣)

(١) هذه الفائدة زيادة من الكبائر وتبيين المحارم (٨٣).

ـــ وعن أبى الدرداء ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا، رجعت إلى الذى لُعِن فإن كان أهلا لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود. (٥٥٣)

ـــ وقد عاقب النبى ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها.
قال عمران بن حصين: «بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها، ودعوها فإنها ملعونة» قال عمران: فكأنى أراها الآن تمشى بين الناس ما يعرض لها أحد» رواه مسلم. (٥٥٤)

ـــ وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال: «إن أربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه» رواه البزار بإسنادين أحدهما قوى.
(٣ / ٢٩٦)

ـــ وعن عمرو بن قيس: قال: «إذا ركب الرجل دابته قالت: اللهم اجعله بى رفيقا رحيما فإذا لعنها قالت: على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل».

فصــل

فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين

ـــ قال الله تعالى: «ألا لعنة الله على الظالمين» (هود: ١٨).
ـــ وقال: «ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (آل عمران ٦١).
ـــ وثبت عن رسول الله ﷺ أنه «لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» رواه مسلم. (٣ / ٤٩)
ـــ وأنه قال: «لعن الله المحلل والمحلل له» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

- وأنه «لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣/ ١١٤)

«والواصلة»: هى التى تصل شعرها؛ و«المستوصلة»: هى التى يوصل لها.

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «لعنت الواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة والواشمة والمستوشمة من غير داء» رواه أبو داود وغيره. (٣ / ١١٤)

و «النامصة» هى التى تنتف الشعر من الحاجبين، و«المتنمصة»: التى يفعل بها ذلك.

- وعن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ: «لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور» [١] رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه. (٤ / ١٧٩)

- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غير تخوم الأرض، ملعون من كمه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط» خرجه الإمام أحمد [٢].

- [وأنه ﷺ قال: «لعن الله العاق لوالديه» رواه الطبرانى وصححه الحاكم [٣] وإسناده حسن.]

- وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته فى دبرها» خرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه [٤].

- ولعن النائحة ومن حولها.

فعن أبى سعيد الخدرى قال: «لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة» رواه أبو داود وليس فى إسناده من ترك. (٤ / ١٧٧)

- ولعن السارق.

---

١) قال فى الزوائد: إسناده صحيح (١/ ٥٠٥). (٢) قال الشيخ شاكر (٣/ ٢٦٦) إسناده صحيح.
(٣) المستدرك (٤/ ١٥٣) (٤) مختصر السنن (٣/ ٧٧ — ٧٩)

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**».

قال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل: كانوا يرون أن منها ما يساوى دراهم» رواه البخارى ومسلم وأحمد[1].

- ولعن من سب الصحابة

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابى، لعن الله من سب أصحابى**» رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير على بن سهل وهو ثقة[2].

- ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وراكب الفلاة وحده.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال وراكب الفلاة وحده**» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا طيب بن محمد، وفيه مقال، والحديث حسن. (١٠٦/٣)

- ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**» رواه البخارى وغيره. (١٠٥/٣)

- ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل، والرجل يلبس لبسة المرأة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**» رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٥٨١)

- ولعن من سل سخيمته على الطريق، يعنى: يتغوط على طريق الناس.

فعن حذيفة بن أسيد أن النبى ﷺ قال: «**من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم**» رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن. (٨٣/١)

---

(١) نيل الأوطار (١٢٤/٧)

(٢) مجمع الزوائد (٢١/١٠)

— ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ : «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» رواه مسلم. (٣ / ٢٩١)

— ولعن مانع الصدقة — يعنى: الزكاة .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «**آكل الربا وموكله وشاهداه، إذا علماه، والواشمة والموتشمة، ولاوى الصدقة، والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة**» رواه ابن خزيمة (١)

— ولعن من أخفر مسلما — يعنى خذله ولم ينصره — ومن انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه .

فعن على —رضى الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ : «**وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه —يوم القيامة— عدلا ولا صرفا**» .

ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا» رواه البخارى ومسلم وغيرهما . (٣ / ٨٨)

— ولعن من كوى دابة فى وجهها.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ مر على حمار قد وسم فى وجهه فقال: «**لعن الله الذى وسمه فى وجهه**» رواه مسلم .

ورواه الطبرانى بإسناد جيد مختصرا أن رسول الله ﷺ : «**لعن من يسم الوجه**» . (٣ / ٦٥)

— ولعن المرأة إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع .

ولعنها إذا باتت وزوجها عليها ساخط .

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٨/٤) قال الشيخ ناصر: إسناده حسن لغيره .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» رواه البخارى ومسلم وأبو داود. (٣ / ٧٨)

— ولعن المرأة اذا خرجت بغير إذن زوجها.

فعن ابن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المرأة إذا خرجت من بيتها، وزوجها كاره، لعنها كل ملك فى السماء، وكل شىء مرت عليه، غير الجن والإنس، حتى ترجع**» رواه الطبرانى فى الأوسط (١) ورواته ثقات إلا سويد بن عبد العزيز. (٣ / ٧٩)

— ولعن تارك الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر إذا أمكنه.

فعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «**إن من كان قبلكم من بنى إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة فنهاه الناهى تعذيرا فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على أيدى المسىء، ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم**».

رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح (٢).

قوله: «**لتأطرنه**» أى: تعطفوه عليه.

— ولعن الوالى إذا لم يكن فيه رحمة.

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ على بيت فيه نفر من قريش، فأخذ بعضادتى الباب، فقال: «**هل فى البيت إلا قرشى؟**»

---

(١) قال الهيثمى (٤/٣١٣): وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك، وقد وثقه دحيم وغيره وبقية رجاله ثقات.

(٢) مجمع الزوائد (٧/٢٦٩).

فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا. قال: **«ابن أخت القوم منهم»**.

ثم قال: **«إن هذا الأمر فى قريش ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»** رواه الطبرانى فى الأوسط ورواته ثقات. (٣ / ١٥٥)

- ولعن الشافع والمشفع فى حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم.

فروى عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: لقى الزبير سارقاً، فشفع فيه، فقيل له: حتى تبلغه الإمام.

فقال: **«إذا بلغ فلعن الله الشافع والمشفع كما قال رسول الله ﷺ»** رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير، وفيه أبو غزية محمد بن موسى الأنصارى ضعفه أبو حاتم وغيره وعبد الرحمن بن أبى الزناد ضعيف[1].

- ولعن الراش والمرتشى فى الحكم، والرائش يعنى: الساعى بينهما.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: **«لعن رسول الله ﷺ الراش والمرتشى فى الحكم»** رواه الترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وزادوا: **«..والرائش»**. (١٤٣/٣)

- ولعن ناكح الأم وابنتها.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ملعون من جمع بين امرأة وابنتها»** رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا محرز بن هارون التيمى.. قد حسن له الترمذى ومشاه بعضهم. (١٩٨/٣)

- وروى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة اليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومسقاها»** وصححه ابن حبان والحاكم[2] (٣ / ١٨١)

---

(١) مجمع الزوائد (٢٥٩/٦) قال الحافظ: وهو عند ابن ابى شيبة بسند حسن عن الزبير موقوفاً (٧٢/١٢) فتح البارى.

(٢) رواه الحاكم (٣٦/١) وصححه وأقره الذهبى، لكنه أعله (٩٠/٤) بعبد الله بن وهب، ولم يحتج به أحد، قال: والحديث واه بمرة أهـ وخرجه الترمذى (٤٥٧/٤) ورجح إرساله.

- ولعن المصورين .

فعن أبى جحيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : «**نهى النبى ﷺ عن ثمن الكلب وثمن الدم ونهى عن الواشمة والموشومة ، وآكل الربا وموكله ولعن المصور**» خرجه البخارى (١) .

- ولعن من كتم العلم .

ففى التنزيل : «**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**» .
(البقرة : ١٥٩)

(ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء) ولعن راكب الفلاه وحده .

فعن أبى هريرة قال : «**لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال ، الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهين بالرجال ـ والمتبتلين من الرجال ، الذين يقولون : لانتزوج والمتبتلات من النساء ، اللائى يقلن ذلك وراكب الفلاة وحده** » فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ حتى **استبان ذلك فى وجوههم ، وقال : « والبائت وحده »** رواه الإمام أحمد(٢) .

نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله (٣) .

---

(١) صحيح البخارى (٣/٧٨)

(٢) المسند (١٥/١٠) قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح .

(٣) وقد ذكر الامام الذهبى لعن من أم قو وهم له كارهون ، ولعن رجا سمع حى على الصلاة حى على الفلاح ثم لم يجب .

ولعله استند إلى ما خرجه الترمذى من حديث أنس بن مالك : «لعن رسول الله ﷺ ثلاثة : رجل أم قوما وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجل سمع حى على الفلاح ثم لم يجب» .

لكن ضعفه ورجح إرساله فقال : حديث أنس لا يصح ، لأنه قد روى هذا الحديث عن الحسن عن النبى ﷺ : مرسل . (٢/١٩١ ـ ١٩٢) .

وذكر كذلك لعن السلتاء ، قال : والمرأة السلتاء التى لا تخضب يدها والمرأة التى لا تكتحل .

لكن لم أجد مستنداً لذلك ، ولعل الله يهدينا للوصول إليه .

فصــل

- اعلـم أن لـعـن المـسلـم المصون حرام باجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين، ونحو ذلك مما تقدم.

- وأما لعن إنسان ـ بعينه ـ ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق، أو آكل الربا، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام. وأشار الغزالى ـ رحمه الله ـ الى تحريمه إلا فى حق من علمنا انه مات على الكفر كأبى لهب وابى جهل، وفرعون وهامان واشباههم

قال: لأن اللعن هو الابعاد عن رحمة الله ولا ندرى ما يختم به لهذا الفاسق أو الكافر

قال: وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم ـ كما قال: « **اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله** (1) » وهذه ثلاث قبائل من العرب ـ فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر.

قال: ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر، حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان: لا أصح الله جسمه، ولا سلمه الله، وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم.

وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم.

قال بعض العلماء: من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا أن يكون لا يستحق.

فصــل

ويجوز للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك: ويلك، أو: يا ضعيف الحال، أو: يا قليل النظر لنفسه، أو: يا ظالم نفسه

(1) صحيح مسلم (١/٤٦٧ ـ ٤٧٠)

أو ما أشبه ذلك بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ولا يكون فيه لفظ قذف صريح كان، أو كنايه أو تعريضاً ولو كان صادقا فى ذلك، وانما يجوز ما قدمناه، ويكون الغرض منه التأديب والزجر، وليكون الكلام أوقع فى النفس والله أعلم.

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

موعظة

يا قليل الزاد والطريق بعيد..
يا مقبلا على ما يضر.. تاركا لما يفيد
اتراك يخفى عليك الأمر الرشيد
إلى متى تضيع الزمان، وهو يحصى برقيب وعتيد

مضى أمسك الماضى شهيدا[1] معدلا ... وأعقبه يوم عليك شهيد[1]
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة ... فبادر بإحسان وأنت حميد
ولاتبق فضل الصالحات إلى غد ... فرب غد يأتى وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمك[2] فاعلم أنها ستعود

---

(١) شهيد (فى الموضعين) بمعنى: شاهد عليك.
(٢) الحميم: القريب الذى توده، ويودك.

تنبيه
سقط من سياق الكتاب صفحة (١٦٣) بعد الحديث الثالث
ماذكره الامام الذهبى أنه ﷺ (لعن الصالقة والحالقة والشاقة) وأقرب لفظ إليه ماأخرجه النسائى (٤/٢١) والامام أحمد (٤ / ٤٠٥) من حديث أبى موسى أنه ﷺ (لعن من حلق او خرق أو سلق).
قوله (من حلق): أى رأسه، أو لحيته لمصيبة (أو سلق) بالتخفيف أى: رفع صوته بالبكاء عند المصيبة (أو خرق) أى: ثوبه. اهـ: أفاده السندى.

الكبيرة الرابعة والأربعون

تبرؤ الانسان من نسبه

- عن سعد -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ادعى إلى غير أبيه -وهو يعلم أنه غير أبيه- فالجنة عليه حرام**» رواه البخارى (٨٧/٣)

- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «**لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر**» رواه البخارى (١).

- وعن يزيد بن شريك قال رأيت عليا -رضى الله عنه- على المنبر يخطب فسمعته يقول: لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، وما فى هذه الصحيفة، فنشرها، فإذا فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات، وفيها قال رسول الله ﷺ: «**المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا،**

ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا» رواه البخارى. (٨٨/٣)

- وعن أبى ذر -رضى الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه، وهو يعلم إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه**» أى: رجع عليه. رواه مسلم (٨٨/٣)

فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم

---

(١) صحيح البخارى (١٩٤/٨)

الكبيرة الخامسة والأربعون

عقوق الوالدين

— قال الله تعالى: « **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا** » أي : برا وشفقة وعطفا عليهما « **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما** » [أي : قد أوصيناك بهما ، وبخاصة إذا كبرا ، أو كبر أحدهما وانما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما . ومعنى « **عندك** » أي: **في كنفك وكفالتك**. « **فلا تقل لهما أف** » أي : لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة أف ولا تسمعهما قولا سيئاً حتى ولو بكلمة التأفيف « **ولا تنهرهما** » أي : لا تزجرهما بإغلاظ فيما لايعجبك منهما] (١) .

وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوي ؟ وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما .

ثم قال تعالى : « **وقل لهما قولا كريما** » أي : لينا لطيفا « **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** ».

(الاسراء : ٢٣ — ٢٤)

— وقال تعالى : « **أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير** » (لقمان : ١٤)

فانظر — رحمك الله — كيف قرن شكرهما بشكره ؟

— قال ابن عباس — رضي الله عنهما — : « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة بغير قرينتها :

(١) صفوة التفاسير (٧٤١)

إحداها : قوله تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» (محمد : ٣٣)
فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .
الثانية : قوله تعالى : **«وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»** (البقرة : ٤٣)
فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.
الثالثة : قوله تعالى : **«أن اشكر لى ولوالديك»**
فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه »
ولذا قال النبى ﷺ : **«رضا الرب فى رضا الوالد، وسخط الرب فى سخط الوالد»**. صححه الحاكم على شرط مسلم [1] (٣ / ٢١٨)

— وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : جاء رجل إلى نبى الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد، فقال : **«أحيٌّ والداك ؟»** ،قال : نعم .
قال : **«فيهما فجاهد»** مخرج فى الصحيحين. (٣ / ٢١٣)
فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد ؟

— وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين»** . (١٦٠)
فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك ؟

— وفى سنن النسائى وغيره بإسناد جيد أن رسول الله ﷺ قال : **«ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان عطاءه»** . (٣ / ٢٢٠)

— وفى مستدرك الحاكم [2] قال رسول الله ﷺ : **«لعن الله العاق لوالديه»** وإسناده حسن.

— وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : **«من الكبائر شتم الرجل والديه»** قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : **«نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»** (٣ / ٢٢١)

— ومن بر الوالدين أن ينفق عليهما إذا احتاجا.

---

(١) ووافقه الذهبى (١٥٢/٤)

(٢) المستدرك (١٥٣/٤)

- فعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رجلا قال : يا رسول الله إن لى مالا وولدا ، وإن أبى يريد أن يجتاح مالى ، فقال : « **أنت ومالك لأبيك** » رواه ابن ماجه وقال فى الزوائد : اسناده صحيح ، ورجاله ثقات على شرط البخارى (١) .
- وجاء رجل إلى أبى الدرداء - رضى الله عنه - فقال : يا أبا الدرداء إنى تزوجت امرأة ، وإن أمى تأمرنى بطلاقها .

فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه** » رواه الترمذى والحاكم (٢) وصححاه . (٣/٢١٤)

- وعن عمرو بن مرة الجهنى - رضى الله عنه - قال : « **جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وصليت الخمس وأديت زكاة مالى ، وصمت رمضان ، مالى ؟** »

فقال النبى ﷺ : « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة - هكذا ونصب أصبعيه - مالم يعق والديه » .
رواه أحمد والطبرانى بإسنادين أحدهما صحيح . (٣/٢٢١)

- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث دعوات لا شك فى إجابتهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده** » رواه الترمذى وحسنه. (٢/٢٧٧)
- وروى مرفوعا : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات » (٣) .
- وسئل ابن عباس - رضى الله عنهما - عن أصحاب الأعراف من هم ؟ وما الأعراف ؟ فقال : « أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار.

وإنما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار. وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون .

---

(١) سنن ابن ماجة (٢/٧٦٩) . (٢) وصححه وأقره الذهبى (٤/١٥٢).

(٣) خرجه الحاكم (٤/١٥٦) وفى اسناده بكار بن عبد العزيز بن أبى بكرة . قال الذهبى : ضعيف.

وأما الرجال الذين يكونون عليه: فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا فى الجهاد. فمنعهم القتل فى سبيل الله من دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره».

- وقال كعب الأحبار ـ رحمه الله ـ: «إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب. وإن الله ليزيد فى عمر العبد اذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا».
- وعن وهب بن منبه قال: «إن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: ياموسى وقِّرْ والديك، فإن من وقر والديه مددت فى عمره، ووهبت له ولدا يوقره. ومن عق والديه قصرت فى عمره ووهبت له ولدا يعقه».
- وقال أبو بكر بن أبى مريم: قرأت فى التوراة: «أن من يضرب أباه يقتل
- وقال وهب: قرأت فى التوراة: «على من صك والده الرجم».
- وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض.
- ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه فأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المشرك والزانى والعاق لوالديه.

فائدة:

سئل كعب الأحبار ـ عن عقوق الوالدين. وما هو؟

قال: إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما.

خصوصية الأم

- فى الصحيحين عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟

قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ قال : « **أمك** » ، قال : ثم من ؟ قال : « **أبوك** ». (١٥٣)

فحض على بر الأم ثلاث مرات ، وعلى بر الأب مرة واحدة.

وما ذاك إلا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

- وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة أتى النبى ﷺ فقال : إنى أردت أن أغزو وجئت استشيرك ، فقال : « **ألك والدة ؟** » قال : نعم .

قال : « **اذهب فالزمها فإن الجنة عند رجليها** ». خرجه الحاكم فى المستدرك وصححه [١] . (٣/٢١٤)

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو رضى الله عنه : « أن امرأة : قالت : يا رسول الله إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وحجرى له حواء ، وثدى له سقاء ، وزعم أبوه أنه ينزعه منى فقال : « **أنت أحق به ما لم تنكحى** » رواه أحمد وأبو داود والبيهقى والحاكم [٢] وصححه [٣] .

- وقال ﷺ : « **الخالة بمنزلة الأم** » خرجه أحمد والبخارى ومسلم [٤] أى : فى البر والإكرام والصلة والإحسان .

- ورأى ابن عمر رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر أترانى جازيتها ، قال : « **ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا** » .

- وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله .

والنظر إليها أفضل من كل شىء .

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه ، وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم .

---

(١) ووافقه الذهبى (٤/١٥١)

(٢) نيل الأوطار (٦/٣٦٨)

(٣) ووافقه الذهبى (٢/٢٠٧)

(٤) نيل الأوطار (٦/٣٢٨)

موعظة

أيها المضيع لآكد الحقوق. المعتاض من بر الوالدين بالعقوق..

الناسي لما يجب عليه. الغافل عما بين يديه: بر الوالدين عليك دين.

وأنت تتعاطاه باتباع الشين(١). تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك.

حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج..

وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج.

وأرضعتك من ثديها لبنا. وأطارت لأجلك وسنا.

وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا..

وصيرت حجرها لك مهدا، وأنالتك إحسانا ورفدا(٢)..

فإن أصابك مرض أو شكاية: أظهرت من الأسف فوق النهاية.

وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب..

ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك، على موتها..

هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا..

فلما احتاجت عند الكبر إليك: جعلتها من أهون الأشياء عليك..

فشبعت، وهي جائعة، ورويت وهي قانعة..

وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان..

وصعب عليك أمرها، وهو يسير. وطال عليك عمرها وهو قصير..

وهجرتها، ومالها سواك نصير..

هذا ومولاك قد نهاك عن التأفيف وعاتبك في حقها بعتاب لطيف..

ستعاقب في دنياك بعقوق البنين. وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين..

يناديك بلسان التوبيخ والتهديد: **«ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد»**.

---

(١) الشين (بتشديد الشين وسكون الياء) ضد الزين أي القبيح. وراجع اللسان (شين).

(٢) الرفد (بكسر الراء): العطاء والصلة. مختار الصحاح (٢٥٠).

لأمك حق لو علمت كبير | كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى | لها من جواها أنة وزفير
وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة | فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها | وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها | ومن ثديها شرب لديك نمير[1]
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها | حنانا وإشفاقا وأنت صغير
فآها لذى عقل ويتّبع الهوى | وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب فى عميم دعائها | فأنت لما تدعو إليه فقير..

الكبيرة السادسة والاربعون

هجر الأقارب

— قال الله تعالى: «**واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام**» (النساء: ١)
أى: خافوا الله الذى يناشد بعضكم بعضا به حيث يقول: اسألك بالله وأنشدك بالله واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

— وقال تعالى: «**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم**» أى: فلعلكم وإن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الإفساد فى الأرض بالمعاصى وقطع الأرحام «**أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**» (محمد: ٢٢–٢٣)
قال القرطبى: أخبر تعالى أن من فعل ذلك حقت عليه اللعنة، وسلبه

(١) النَّمِيرُ: الطَّيِّب الناجع فى الرِّيِّ. الوجيز (٦٣٥)

الانتفاع بسمعه وبصره، حتى لا ينقاد للحق، وإن سمعه، فجعله كالبهيمة التى لا تعقل (١).

- وقال تعالى: «**الذين يوفون بعهد الله**» أى: يتمون عهد الله الذى وصاهم به، وهو أوامره ونواهيه التى كلف بها عباده «**ولا ينقضون الميثاق**» أى: لا يخالفون ما وثقوه على أنفسهم من العهود المؤكدة بينهم وبين الله، وبينهم وبين العباد، «**والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل**» أى: يصلون الأرحام التى أمر الله بصلتها «**ويخشون ربهم**» أى: يهابون ربهم إجلالا وتعظيما، «**ويخافون سوء الحساب**» (الرعد: ٢٠ — ٢١)

أى: يخافون الحساب السىء المؤدى لدخول النار، فهم لرهبتهم جادون فى طاعة الله محافظون على حدوده (٢).

- وقال تعالى: «**يضل به**» أى: بالقرآن «**كثيرا، ويهدى به كثيراً، وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون**» (البقرة ٢٦ — ٢٧)

وأعظم ذلك: ما بين العبد وبين الله، ما عهده الله على العبيد.

- وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**» فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل فى هذا الوعيد محروم من دخول الجنة. إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم. (١٦١)

- وقد ورد فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة يحتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم. والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة**» رواه الطبرانى ورواته ثقات. (٢ / ٣٣)

---

(١) صفوة التفاسير (١٣٧٧)

(٢) صفوة التفاسير (٦٧٦ — ٦٧٧)

- [وقال ﷺ : « **ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حية يقال لها شجاع يتلمظ فيطوق به** » رواه الطبرانى بإسناد جيد] (٢ / ٣٣)

وإن كان فقيرا، وصل رحمه بزيارتهم والتفقد لأحوالهم، لما ورد من الأمر بصلة الأرحام، ولو بالسلام.

- [وصلة الأرحام من الإيمان].

فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه** » متفق عليه. (١٥٢)

- [وهى سبب لزيادة الرزق وطول العمر، وتدفع ميتة السوء.

فعن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال: « **من سره أن يمد له فى عمره، ويوسع له فى رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه** » رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائده والبزار بإسناد جيد. (٣/٢٢٣)

- وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: « **الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله** » متفق عليه. (٢ / ٢٢٥)

- وقطيعة الرحم من أعظم أسباب تعجيل العقوبة:

فعن أبى بكرة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم** » رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]. (٣ / ٢٢٨)

- وعن عبد الله بن عمرو ــ رضى الله عنهما ــ عن النبى ﷺ : « **ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها** » رواه البخارى وغيره. (٣ / ٢٢٦)

- [وعن أم كلثوم بنت عقبة ــ رضى الله عنها ــ أن النبى ﷺ قال:

«أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح» صححه ابن خزيمة والحاكم على شرط مسلم [1] .

ومعنى الكاشح : أنه الذى يضمر عداوته فى كشحه ، وهو خصره . يعنى : أن أفضل الصدقة : الصدقة على ذى الرحم المضمر العداوة فى باطنه ، وهو فى معنى قوله ﷺ : **«وتصل من قطعك»** . (٢٢٧/٣)

فائدة :

الرحم الواجب صلته : الأخت والخالة والعمة وبنت الأخت.

ـ وعن سليمان مولى عثمان بن عفان قال : جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة فقال : أحرج [2] على كل قاطع رحم لمَّا قام من عندنا ! ، فلم يقم أحد حتى قالها ثلاثا ، فأتى فتى عمة له قد صرمها [3] منذ سنتين ، فدخل عليها فقالت له : ياابن أخى ما جاء بك ؟ قال : سمعت أبا هريرة يقول : كذا وكذا ، قالت : ارجع فاسأله ، لم قال ذاك ، .. قال سمعت النبى ﷺ يقول : **«إن أعمال بنى آدم تعرض على الله ـ تبارك وتعالى ـ عشية كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل عمل قاطع رحم»** .

خرجه البخارى فى الأدب المفرد [4].

فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم .

---

(١) وأقره الذهبى (٤٠٦/١ ـ ٤٠٧) (٢) أحرج : أوقع فى الضيق والإثم

(٣) صرمها : تركها

(٤) فضل الله الصمد (١٤٢/١ ـ ١٤٣)

وأورد الهيثمى المرفوع منه وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات (١٥١/٨)

الكبيرة السابعة والأربعون

إباق العبد

– روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة»** (٣ / ٦٠)

– وقال ﷺ: **«أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة»** رواه مسلم عن جرير (٦٠/٣)

– وروى ابن خزيمة –فى صحيحه– من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: السكران حتى يصحو، والمرأة الساخط عليها زوجها، والعبد الآبق حتى يرجع فيضع يده فى يد مواليه»** رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل واللفظ له، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من رواية زهير بن محمد. (٦٠/٣)

– وعن فضالة بن عبيد –رضى الله عنه– عن رسول الله ﷺ قال: **«ثلاثة لا يسأل عنهم؛ رجل فارق الجماعة وعصى إمامه، وأمة، أو عبد أبق من سيده ومات عاصيا، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده»** رواه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة. (٣ / ٦٠)

قوله **«فتبرجت بعده»** أى: أظهرت محاسنها، كما يفعل أهل الجاهلية، وهم ما بين عيسى وسيدنا محمد ﷺ.

كذا ذكره الواحدى رحمه الله.

الكبيرة الثامنة والأربعون
الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

- لأن الله ـ تعالى ـ قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى :
« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم . إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » (النساء ٣٦)

قوله تعالى : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً »** أى : وحدوه ، وعظموه ، ولا تشركوا به شيئاً من الأشياء صنما أو غيره .

وقوله تعالى : **« وبالوالدين إحسانا »** يريد البر بهما مع اللطف ، ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر إليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بين أيديهما ، مثل العبد بين يدى السيد تذللا لهما .

وقوله **« وبذى القربى »** قال : يصلهم ويتعطف عليهم ، **« واليتامى »** يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ، **« والمساكين »** ، ببذل يسير ، ورد جميل ، **« والجار ذى القربى »** يعنى الذى بينك وبينه قرابة فله حق القرابة ، وحق الجوار ، وحق الإسلام ، **« والجار الجنب »** هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال : رجل جنب إذا كان غريبا متباعدا أهله ، وقوم أجانب ، والجنابة البعد .

- وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : **« مازال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه »** متفق عليه . (١٤٨)

– وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال قال رسول الله ﷺ: « **ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع** » رواه الطبرانى وأبو يعلى ورواته ثقات. (٣ / ٢٣٧)

« **والصاحب بالجنب** » قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق فى السفر، له حق الجوار وحق الصحبة، « **وابن السبيل** » هو الضعيف يجب إيواؤه حتى يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك، « **وما ملكت أيمانكم** » يريد المملوك يحسن رزقه، ويعفو عنه فيما يخطىء.

وقوله: « **إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا** » قال ابن عباس: يريد بالمختال: العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله، والفخور: هو الذى يفخر على عباد الله، بما خوله الله من كرامته، وما أعطاه من نعمه.

– وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: « **بينما رجل يمشى – فى حلة – تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال فى مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة** » رواه البخارى ومسلم. (٤ / ١٩)

– وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال: « **لا ينظر الله – يوم القيامة – إلى من جر ثوبه خيلاء** » رواه مالك والبخارى ومسلم. (٣ / ٩٨)

– وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا فى آخر مرضه يوصى بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول « **الصلاة الصلاة. اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم** » رواه أبو داود وابن ماجه عن الإمام على رضى الله عنه. (٣ / ١٦٣)

– وروى أن حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم (٣ / ١٦١)

– وفى الحديث: « **لا يدخل الجنة سيىء الملكة** » رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب. (٣ / ١٦١)

- وقال أبو مسعود البدرى – رضى الله عنه – قال: « كنت أضرب غلاما لى بالسوط، فسمعت صوتا من خلفى: « **اعلم أبا مسعود** »، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: « **اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام** » فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا ».

وفى رواية: فسقط السوط من يدى من هيبته.

وفى رواية: فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال: « **أما لو لم تفعل للفحتك النار** » رواه مسلم. (٥٧٠ – ٥٧١)

- وروى مسلم – أيضا – من حديث ابن عمر – رضى الله عنهما – قال: « **من ضرب غلاما له حداً لم يأته، أو لطمه، فكفارته أن يعتقه** ». (٥٧١)

- ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا** ». (٥٧١)

- وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: رسول الله ﷺ: « من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة » رواه البزار والطبرانى بإسناد حسن. (٣/١٦٤)

- قيل لرسول الله ﷺ: كم أعفو عن الخادم؟ قال: « **كل يوم سبعين مرة** » رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن غريب (٣ / ١٦٣).

- وكان فى يد النبى ﷺ يوما سواك فدعا خادما له فأبطأ عليه فقال: « **لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك** » رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد. (٣ / ١٦٤)

- وكان لأبى هريرة – رضى الله عنه – جارية زنجية فرفع يوما عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتكيه، ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك اذهبى، فأنت حرة لوجه الله.

- وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « **من قذف مملوكه – بريئا مما قال – أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** » (٣ / ١٦١)

- وفى الحديث : « **للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق** » خرجه مسلم عن أبى هريرة [1] .

- وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من لاءمكم من مملوكيكم فأطعموه مما تأكلون واكسوه مما تلبسون ، ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله** » .
رواه أبو داود وإسناده صحيح [2] .

- ودخل جماعة على سلمان الفارسى — رضى الله عنه — وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟
فقال — رضى الله عنه — : إنا أرسلناها فى عمل ، فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر .

- وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك فى كل ذنب ، ولكن احفظ له ذلك فإذا عصى الله فاضربه على معصية الله ، وذكره الذنوب التى بينك وبينه .

فصل

- ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية : التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه .

لما جاء عن النبى ﷺ أنه قال : « **من فرق بين والدة وولدها ؛ فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة** » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب ، وصححه الحاكم . (٣ / ٣٢)
وعن على — رضى الله عنه — قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أبيع

(١) صحيح مسلم (١٢٨٤/٣)
(٢) قاله الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (٢١٩/٢)

غلامين أخوين، فبعتهما وفرقت بينهما، فذكرت ذلك له، فقال: **«ادركهما وارتجعهما ولا تبعهما إلا جميعا»** رواه أحمد[1].

- ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة.

لقول رسول الله ﷺ: **«كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»** خرجه الحاكم وصححه ورواه أبو داود والنسائى بنحوه. (٣ / ٨٢)

- ومن ذلك أن يضرب الدابة ضربا وجيعا، أو يحبسها، ولا يقوم بكفايتها، أو يحملها فوق طاقتها.

فقد روى فى تفسير قوله تعالى: **«وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم»** (الأنعام: ٣٨)

قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة، فيقضى بينهم، حتى إنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، حتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم: كونوا ترابا، فهنالك يقول الكافر: يا ليتنى كنت ترابا.

وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم، وبينها وبين بنى آدم، حتى إن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق، أوجوعها، أو عطشها، أو كلفها فوق طاقتها، فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها.

- والدليل على ذلك ما ثبت ـ فى الصحيحين ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عذبت امرأة فى هرة: سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض»** [2] أى من حشراتها.

- كذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة، لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث»** [3].

---

(١) قال الشوكانى (١٦٢/٥): رجال اسناده ثقات كما قال الحافظ، وقد صححه ابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان والحاكم والطبرانى وابن القطان.

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٧٠٩)

(٣) اللؤلؤ والمرجان (٦٣٣)

فهذه بقرة أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى، ولا تستعمل فى غير ما خلقت له، فمن كلفها غيرطاقتها، أو ضربها بغير حق، فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه.

— قال أبو سليمان الداراني: ركبت — مرة — حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا، فرفع رأسه ونظر إلى، وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة؛ فإن شئت فأقلل، وإن شئت فأكثر.
قال: فقلت: لا أضرب شيئاً — بعده — أبدا.

— ومر ابن عمر بصبيان من قريش، قد نصبوا طيرا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال: من فعل هذا؟

لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ: — «**لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا**» متفق عليه. (٥٧٠)
و «**الغرض**»: كالهدف وما يرمى إليه.

— «**ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم**» متفق عليه. (٥٧٠)
يعنى أن تحبس للقتل.

— وإن كان مما أذن الشرع بقتله: كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة، ولا يعذبه.
لقوله عليه الصلاة والسلام: «**.. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» رواه مسلم وغيره. (٢ / ١٠٣)

— وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**إنى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجد تموهما فاقتلوهما**» رواه البخارى. (٥٧٢)

- وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[1] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة تعرش[2] فجاء النبى ﷺ فقال: **«من فجع[3] هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»**.

ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: **«من حرق هذه؟»** قلنا: نحن قال: **«إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار»**. رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٥٧٢)

وفيه من النهى عن القتل بالنار حتى فى القملة والبرغوث وغيرهما.

فصل

- ويكره قتل الحيوان عبثا..

لما رواه الشريد رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يارب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة»** رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه (٢ / ١٠٤)

- ويكره صيد الطير أيام افراخه. لما روى ذلك فى الأثر.
- ويكره ذبح الحيوان بين يدى أمه..

لما روى عن ابراهيم بن أدهم - رحمه الله - قال: ذبح رجل عجلا بين يدى أمه، فأيبس الله يده.

فصل

فى فضل عتق المملوك

- عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: **«من أعتق**

---

(١) الحمرة: (بضم فسكون) طائر صغير كالعصفور.

(٢) التعريش: أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها. اللسان (عرش).

(٣) الفجيعة: الرزية، أى: رزأ هذه بولدها. وراجع اللسان (فجع).

رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه» اخرجه البخارى (1).

- وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «أيما امرىء مسلم أعتق ـ امرءا مسلما كان فكاكه من النار ـ يجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرىء مسلم اعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار: يجزى كل عضو منهما عضوا منه.
وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضوا منها» رواه الترمذى (2) وصححه.

الكبيرة التاسعة والأربعون
قتــل النفس

- قال الله تعالى: «ومن يقتل مؤمنا متعمدا» أى: بأن يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بإيمانه: «فجزاؤه جهنم خالدا فيها» والخلود: المكث الطويل «وغضب الله عليه ولعنه» أى: أبعده من رحمته، «وأعد له عذابا عظيما» (النساء: ٩٣)
- وقال تعالى: «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما» أى: أودية فى جهنم يعذب فيها الزناة «يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا» أى: حقيرا ذليلا «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» (الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠)، أى: فإن الله يتوب عليه.
- وقال تعالى: «من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض، فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» (المائدة: ٣٢).

---

(1) صحيح البخارى (١٨١/٨)

(2) الترمذى (١١٧/٤)

أي : من قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد فى الأرض. واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعا، لأنه لا فرق ــ عنده ــ بين نفس ونفس.

ومن أحياها : أى حرم قتلها وكف عنه واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار[1].

- وقال النبى ــ ﷺ ــ: «**اجتنبوا السبع الموبقات..**».. فذكر «**قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق**».

- وعن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال: «سألت رسول الله ــ ﷺ ــ أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**»، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أى؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**» قلت: ثم أى؟ قال: «**أن تزانى حليلة جارك**» متفق عليه.

الحليلة : هى الزوجة. (٣/١٩٤ــ١٩٥)

- وقال ــ ﷺ ــ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول فى النار**» قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟

قال : «**إنه كان حريصا على قتل صاحبه**» متفق عليه. (٨)

قال الامام أبو سليمان الخطابى ــ رحمه الله ــ: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو.

فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التى يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل فى هذا الوعيد، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه، غير قاصد به قتل صاحبه.

ألا تراه يقول: **إنه كان حريصا على قتل صاحبه.**

ومن قاتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين، فإنه لا يحرص على قتله، إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٧)

فالحديث لم يرد في أهل هذه الصفة، فلا يدخلون فيه بخلاف من كان على غير هذه الصفة فإنهم المرادون منه [1] والله أعلم.

— وقال رسول الله ﷺ: **«ألا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»** متفق عليه. (١١٥)

— وقال رسول الله — ﷺ —: **«لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»**. **رواه البخاري ومسلم** (٤/٥١)

— وقال ابن عمر: «من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله» رواه البخاري.

الورطات: جمع ورطة، وهي الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة منه. (٣/٢٠٢)

— وقال — ﷺ —: **«أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»** متفق عليه. (٣/٢٠١)

— وفي الحديث أن رسول الله — ﷺ — قال:

«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» رواه مسلم وغيره. (٣ / ٢٠٢)

— وقال — ﷺ —: **«الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»** رواه البخاري. (٦٠٢)

وسميت غموسا، لأنها تغمس صاحبها في النار.

— وقال — ﷺ —: **«ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل»** مخرج في الصحيحين. (٩٥)

— وقال — ﷺ —: **«من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما»** أخرجه البخاري.

لم يرح: أي يجد ريحها ولم يشمها (٣ / ٢٠٤)

---

(١) قد أصلحت بعض عباراته من الزواجر (٤٩١)

فإذا كان هذا فى قتل المعاهد، وهو الذى أعطى عهدا من اليهود والنصارى فى دار الإسلام، فكيف بقتل المسلم؟

- وقال - ﷺ -: «**ألا من قتل نفسا معاهدة - لها ذمة الله وذمة رسوله - فقد أخفر ذمة الله فلا يرح رائحة الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا**» صححه الترمذى (٤ / ٤٥)

- وعن معاوية - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا**» رواه النسائى والحاكم، وقال: صحيح الاسناد(١)

- وروى أن: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة؛ لقى الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله».

نسأل الله العافية.

الكبيرة الخمسون
قتل الإنسان نفسه

- قال الله تعالى: «**ولا تقتلوا أنفسكم**» بالبخع(٢) كما تفعله جهلة الهند، أو بإلقاء النفس إلى الهلكة، ويؤيده ما روى أن عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد، فلم ينكر عليه النبى ﷺ، أو بارتكاب ما يؤدى إلى قتلها، وقيل: المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم، فإن المؤمنين كنفس واحدة «**إن الله كان بكم رحيما**» أى: أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم(٣).

---

(١) وأقره الذهبى (٤/٣٥١).

(٢) بخع: نفسه: قتلها غيظاً أو غماً. الوجيز(٣٨).

(٣) تفسير البيضاوى (٩٥).

وقال الواحدى ــ فى تفسير هذه الآية **«ولا تقتلوا أنفسكم»**:

أى: لا يقتل بعضكم بعضا؛ لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة هذا قول ابن عباس والأكثرين.

وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه.

ويدل على صحة هذا أن عمرو بن العاص قال:

«احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل، فاشفقت أن أغتسل فأهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: **«يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟»**، فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال، وقلت: إنى سمعت الله يقول: **«ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما»** فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً» رواه أبو داود(١)

فدل هذا الحديث على أن عمرا تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبى ﷺ .

وقوله تعالى: **«ومن يفعل ذلك»** كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول السورة إلى هذا الموضع، وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل، وقتل النفس المحرمة، وقوله **«عدوانا وظلما»** معنى العدوان، أى: يعدو ما أمر الله به **«فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا»** (النساء ٣٠) أى أنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار.

— وعن جندب بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: **«كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا، فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله: بادرنى عبدى بنفسه: حرمت عليه الجنة»** مخرج فى الصحيحين. **(٢٠٥/٣)**

— وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ : **«من**

---

(١) مختصر السنن (٢٠٧/١) ورواه الحاكم (١٧٧/١) وصححه وأقره الذهبى.

تردى من جبل ، فقتل نفسه ، فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . (٢٠٥/٣)

تردى : أى رمى بنفسه من الجبل أو غيره فهلك .

يتوجأ بها « مهموزا » أى : يضرب بها نفسه .

— وفى حديث ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : **« ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ، ومن ذبح نفسه بشىء عذب به يوم القيامة »** رواه البخارى ومسلم وغيرهما . (٣ / ٢٠٦)

— وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت ، فقتل نفسه بذباب سيفه ، وقد قال النبى ﷺ فيه : **« أما إنه من أهل النار »** رواه البخارى ومسلم . (٣ / ٢٠٦)

— فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه جواد كريم غفور رحيم .

« موعــظة »

ابن آدم ، كيف تظن أعمالك مشيدة ، وأنت تعلم أنها مكيدة ؟..

وكيف تترك معاملة المولى ، وتعلم أنها مفيدة ؟..

وكيف تقصر — فى زادك — وقد تحققت أن الطريق بعيدة ؟..

يا معرضا عنا .. إلى متى هذا الجفا والإعراض ؟..

يا غافلا عن الموت ، والعمر — لا شك — فى انقراض ..

يا مغترا — فى أمله — وايدى المنايا — فى أجله — تقرضه بمقراض ..

يا مغرورا بصحته ، وبدنه كل يوم فى انتقاض ..

يا من يفنى — كل يوم — بعضه . ستفنى — والله — الأبعاض ..

يا غافلا عن الزاد ، وقد أنذره بعد السواد البياض ..

يا قليل الاحتراس.. ونبل المنايا طوال عراض..
يا من يساق إلى موارد التلف.. وقد نزحت الحياض..
يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض..
يا من هذه الأوقات بين يديه .. كيف يقدر جفنه على الإغماض ؟

الكبيرة الحادية والخمسون

السحـــر

— لأن الساحر لابد وأن يكفر.

— قال الله تعالى: **«ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر»** (البقرة: ١٠٢)

وما للشيطان الملعون غرض فى تعليمه الانسان السحر إلا ليشرك به.

— قال الله تعالى مخبرا عن هاروت وماروت :

« وما يعلمان من أحد حتى يقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق» (البقرة: ١٠٢) أى : من نصيب.

فترى خلقا كثيرا من الضلال يدخلون فى السحر، ويظنونه حراما فقط، وما يشعرون أنه الكفر وذلك كعقد الرجل عن زوجته، ومحبة الرجل للمرأة وبغضها له وأشباه ذلك [يتوصلون إليه] بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.

وحد الساحر: القتل، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر.

قال النبي ﷺ : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » فذكر منها « السحر ».
والموبقات : المهلكات . رواه البخاري ومسلم. (٥١/٤)
فليتق العبد ربه ، ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة .

- وقد صح عن جندب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « **حد الساحر ضربه بالسيف** ».
- وعن بجالة بن عبدة أنه قال :
أتانا كتاب عمر ـ رضي الله عنه ـ قبل موته بسنة : « **أن اقتلوا كل ساحر وساحرة** » رواه أحمد وأبو داود (١) .
- وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا إله إلا أنا ليس مني من سحر، ولا من سحر له ، ولا من تكهن ولا من تكهن له ، ولا من تطير، ولا من تطير له .
- وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : « **الكاهن ساحر والساحر كافر** » .
- وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :
« **ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر** » . رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم (٢) (٣ / ١٨٢)
- وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا قال : « **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** » رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه على شرط الشيخين (٣) . (٤ / ١٥٨)

التمائم (جمع تميمة) : وهي خرزات أو حروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين .
وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك .
والتولة (بكسر التاء وفتح الواو) : نوع من السحر.
وهو تحبيب المرأة إلى زوجها .

(١) المسند (٣/١٢٣ ـ ١٢٤) وأبو داود (٣/١٦٨).
(٢) وأقره الذهبي (٤/١٤٦) (٣) وأقره الذهبي (٤/٤١٨).

وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى.

قال الخطابي — رحمه الله —: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن، أوبأسماء الله تعالى فهي مباحة، لأن النبي ﷺ كان يرقى الحسن والحسين — رضى الله عنهما — فيقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**» خرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس وصححه على شرط الشيخين(١).

وبالله المستعان وعليه التكلان.

الكبيرة الثانية والخمسون
تصديق الكاهن والمنجم

— قال الله تعالى: «**ولا تقف ما ليس لك به علم. إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**» (الإسراء ٣٦)

قال الواحدى في تفسير قوله تعالى: «**ولا تقف ما ليس لك به علم**»:

قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علم.

وقال قتادة: لا تقل: سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم، والمعنى: لا تقولن — في شيء — بما لا تعلم.

«**إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسئولا**»

قال الوالبي — عن ابن عباس —: يسأل الله العباد فيم استعملوها.

وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز والله أعلم.

— وقال الله تعالى: «**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول..**» (الجن ٢٦ — ٢٧).

---

(١) وأقره الذهبي (١٦٧/٣).

قال ابن الجوزى: «**عالم الغيب**» هو الله ــ عز وجل ــ وحده لا شريك له فى ملكه «**فلا يظهر**» أى: فلا يطلع على غيبه الذى يعلمه أحدًا من الناس «**إلا من ارتضى من رسول**» لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب، ففى هذا دليل على أن زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم(*)

ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافا أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم (١) وقال صحيح على شرطهما.
(٤ / ٥٣)

فمن اتى كاهناً ــ وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشيء المسروق، ويتكلم على الأمور المغيبات ــ فسأله عن شيء منها، فصدقه فهو داخل فى هذا الوعيد الشديد.

ــ وروينا فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب**». (٦٠٧ ــ ٦٠٨)

قال العلماء: إن قال مسلم: مطرنا بنوء كذا ــ يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر ــ صار كافرا مرتدا بلا شك.

وإن قال مريدا أنه علامة نزول المطر، فينزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفضل الله وخلقه لم يكفر.

---

(١) المستدرك (١/٨) وصححه الذهبى فى كتاب الكبائر وتبيين المحارم (١٢٣).

(*) زاد المسير (٨/٣٨٥).

واختلفوا فى كراهته، والمختار: أنه مكروه، لأنه من ألفاظ الكفار.
وهذا ظاهر الحديث.
وقوله «فى أثر سماء»: السماء ــ هنا ــ: المطر، والله أعلم.

ــ وقال رسول الله ﷺ : **«من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوما»** رواه مسلم عن بعض أزواج النبى ﷺ
(٥٩١)

ــ وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت: سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال: **«ليسوا بشىء»** فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانا بشىء فيكون حقا؟ فقال رسول الله ﷺ : **«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى، فيقرها**[1] **فى أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة»** مخرج فى الصحيحين
(٥٩٠)

ــ وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الملائكة تنزل فى العنان ــ وهو السحاب ــ فتذكر الأمر قضى فى السماء، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»** رواه البخارى.
(٥٩٠ ــ ٥٩١)

ــ وعن قبيصة بن المخارق ــ رضى الله عنه ــ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«العيافة والطيرة والطرق من الجبت»** رواه أبو داود بإسناد حسن وقال: الطَّرقُ: الزجر، أى: زجر الطير ــ وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم ــ قال أبوداود: العيافة الخط، قال الجوهرى: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

ــ وعن ابن عباس ــ قال: قال رسول الله ﷺ : **«من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»** رواه أبو داود بإسناد صحيح

---

(١) هو بفتح الياء، وضم القاف والراء، أى: يلقيها.

— وقال على بن أبى طالب : « **الكاهن ساجر والساحر كافر** » .

فنسأل الله العافية والعصمة فى الدنيا والآخرة .

موعظــة

عباد الله !

تفكروا فى سلفكم .. قبل تلفكم .

وانظروا — فى أموركم — قبل حلول قبوركم .

فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم .

أين الأقران والاخوان .. أين من شيد الايوان ؟

رحـــلــوا ـــوالله ـــ عـــن الأوطـــان .. ومزقت — فى اللحود — تلك الأكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان « كل من عليها فان » .

تقــلــبت بهم الأحوال ، ولعب — بهم — فى أيدى الليالى وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال، عانقوا التراب ، وفارقوا الأموال ، فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال :

مـن رآنـا فـلـيـحـدث نـفـسـه .. أنــه وقــف عــلــى قــرب زوال

وصـروف الـدهـر لا يـبـقـى لها .. ولـمـا يــأتـى بـه صـم الجـبـال

رب ركـب قـد أنـاخـوا حـولـنـا .. يـشـربـون الخـمـر بـالماء الزلال

والأبــاريــق عــلـيـهـم قـدمـت .. وعـتـاق الخـيـل تردى بالجلال[1]

عـمـروا دهـرا بـعـيـش نـاعـم .. أبــيــض دهــرهــم غير محـال

ثم أضـحــوا يلـعـب الـدهـر بهم .. وكـذاك الـدهـر يودى بـالـرجـال

---

(١) الجلال (بالكسر) جمع جل (بالضم) : ما تلبسه الدابة لتصان به وتردى بالجلال : أى : تجعل الجلال لها رداء .

الكبيرة الثالثة والخمسون
غش الإمام الرعية وظلمه لهم

- قال الله تعالى: «**إنما السبيل على الذين يظلمون الناس**» أى: إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم «**ويبغون فى الأرض بغير الحق**» أى: ويتكبرون فى الأرض تجبرا وفسادا بالمعاصى والاعتداء على الناس فى النفوس والأموال.

«**أولئك لهم عذاب أليم**» أى: أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجع بسبب ظلمهم وبغيهم[1] (الشورى ٤٢).

- وقال الله تعالى: «**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**»[3] (ابراهيم ٤٢)

- وقال الله تعالى: «**وسيعلم الذين ظلموا**» هذا وعيد عام فى كل ظالم، تتفتت له القلوب وتتصدع لهوله الأكباد، أى و سيعلم الظالمون المعادون لدعوة الله، ومعهم الشعراء الغاوون «**أى منقلب ينقلبون**» أى: أى مرجع يرجعون إليه، وأى مصير يصيرون إليه؟

فإن مرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع، ومصيرهم إلى النار، وهو أقبح مصير[2] (الشعراء: ٢٢٧)

- وقال رسول الله ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه. (٥٦٣)

- وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» رواه البخارى ومسلم والترمذى. (٣ / ١٤٤)

- وعنه ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته**». متفق عليه. (٣ / ١٣١)

---

(١) صفوة التفاسير (١٣١٦) (٢) صفوة التفاسير (٩٩٤)

(٣) سيأتى تفسيرها فى الكبيرة الرابعة والخمسين.

— وعن عبد الله بن مغفل المزنى — رضى الله عنه — قال : «أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من إمام، ولا والٍ بات ليلة سوداء غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» رواه الطبرانى بإسناد حسن.
(٣ / ١٤١)

— وعن معقل بن يسار — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما من عبد يسترعيه الله — عز وجل — رعية، يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله عليه الجنة**».
وفى رواية : «**.. فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة**» متفق عليه.
(٣ / ١٤١)

— وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى ﷺ قال : «**ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولا يوم القيامة، حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور**» رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح.
(٣ / ١٣٩)

— وعنه — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : «**ويل للأمراء، ويل للعرفاء، ويل للأمناء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلقة بالثريا يدلون بين السماء والأرض، وأنهم لم يلوا عملا**» رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم واللفظ له، وقال صحيح الإسناد. (٣ / ١٣٤)

— وعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى ثمرة قط**» رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه. (٣ / ١٣٢)

— ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : «**اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به**» رواه مسلم والنسائى. (٣ / ١٤٠)

— وقال ﷺ : «**من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون**

حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة» . رواه أبو داود والترمذي وصححه الحاكم. (٣ / ١٤١).

- وقال ﷺ : **«سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه، وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو منى وأنا منه، وهو وارد على الحوض»** خرجه الترمذي، وقال: حديث غريب صحيح. (٣ / ١٥٠)

- وعن أبي أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : **«صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق»** رواه الطبراني ورجاله ثقات. (٣ / ١٤٤)

- وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن أشد أهل النار عذابا يوم القيامة: من قتل نبيا أو قتله نبى وإمام ضلالة»** رواه البزار بإسناد جيد. (٣ / ١٣٦)

- وعنه ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من لم يرحم الناس لم يرحمه الله»** رواه الطبراني بإسناد حسن. (٣ / ١٥٥)

- وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن المقسطين ـ عند الله ـ على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا»** رواه مسلم والنسائي. (٣ / ١٣٥)

- ولما بعث رسول الله ﷺ معاذا ـ رضى الله عنه ـ إلى اليمن قال: **«اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»** متفق عليه.

(٤ / ٣٠)

- وقال عليه الصلاة والسلام: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ..»** فذكر منهم **«.. الملك الكذاب»** رواه مسلم عن أبى هريرة.

- وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندمة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة**» رواه البخارى. (١٣٤/٣)

وفيه أيضاً: «**إنا لا نولى هذا من سأله ولا من حرص عليه**».

- وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ «**لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها**» رواه البخارى ومسلم. (١٣٤/٣)

- وقال ﷺ لكعب بن عجرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**».

قال: وما إمارة السفهاء.

قال: «**أمراء يكونون بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى**» خرجه أحمد والبزار من حديث جابر، ورواتها محتج بهم فى الصحيح. (١٥٠/٣)

- وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: «**من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره، فله الجنة، وإن غلب جوره عدله فله النار**». رواه أبوداود(١). (١٣٨/٣)

- وروى أنه يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعا لله فى عمله مضى به، وإن كان عاصيا لله ــ فى عمله انخرق به الجسر، فهوى به فى جهنم مقدار خمسين عاما.

- وقال عمرو بن المهاجر: قال لى عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ إذا رأيتنى قد ملت عن الحق، فضع يديك فى تلبابى ثم قل: يا عمر ماتصنع.

---

(١) قال الشوكانى: سكت عنه أبو داود والمنذرى، وسنده لا مطعن فيه (٢٥٧/٨)

موعظة

يا راضيا باسم الظالم، كم عليك من المظالم؟

السجن جهنم، والحق حاكم.. ولا حجة لك فيما تخاصم.

القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل، فخلص نفسك والعمر كيوم فبادر شمسك.

تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بأمالك والسير حثيث.

إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة.

فإذا رأيت ظالما قد سطا فنم له.

فربما بات فأخذت جنبه —من الليل— نملة (أى: قروح فى الجسد).

الكبيرة الرابعة والخمسون

الظلـــم

— **ويدخل فيه ظلم السلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم وهو على أنواع:**

منها: أكل المال بالباطل، وكذلك أخذ مال اليتيم.

ومنها: ظلم العباد بالقتل، والضرب، والكسر، والجراح.

ومنها: ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف.

— قال الله تعالى: «**ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون**» أى: لا تظن أن الله ساه عن أفعال الظلمة؛ فإن سنة الله إمهال العصاة ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

«**إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**» أى: إنما يؤخرهم ليوم رهيب عصيب تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، فتظل مفتوحة مبهوتة لا تطرف ولا تتحرك «**مهطعين مقنعى رءوسهم**» أى: مسرعين لا يلتفتون إلى شىء رافعين رءوسهم مع إدامة النظر «**لا يرتد إليهم طرفهم**» أى: لا يطرفون بعيونهم من الخوف والفزع «**وأفئدتهم هواء**» أى: قلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع «**وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب**» أمر للنبى أن يخوف الكفار من هول يوم القيامة حين يأتيهم العذاب الشديد «**فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب**». أى: يطلبون المهلة — ولو إلى زمن

قريب - ليستدركوا ما فاتهم «**نجب دعوتك ونتبع الرسل**» أي: نجب دعوتك لنا إلى الإيمان ونتبع الرسل فيما جاءونا به «**أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال**» أي: أو لم تكونوا تحلفون - من قبل هذه الحالة - أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء، فذقوا هذا بذلك «**وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال**» (ابراهيم ٤١ - ٤٥).

أي: قد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن فيهم معتبر، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر[1].

- وقال تعالى «**إنما السبيل على الذين يظلمون الناس**»[2] (الشورى ٤٢)

- وقال تعالى: «**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**»[2] (الشعراء ٢٢٧).

- [وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**» رواه مسلم]. (٣ / ١٤٤)

- وعن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه. (٣ / ١٤٤)

- وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ: «**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**». (هود ١٠٢) متفق عليه. (١١٣)

- وعن خولة بنت عامر الأنصارية - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**» رواه البخاري. (١١٨)

- وعن معاذ - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى

(١) تفسير ابن كثير (٥٤٢/٢) وصفوة التفاسير (٦٨٥) (٢) سبق تفسيرها في الكبيرة الثالثة والخمسين.

اليمن: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه. (١١٣)

- وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ أنه قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضه أو من شيء؛ فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه» رواه البخارى. (١١٤)

- وعنه -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس -فينا- من لا درهم له ولا متاع.
فقال: «إن المفلس -من أمتي- من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا: فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار» رواه مسلم. (١١٧)

- وعن عائشة -رضى الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» متفق عليه. (١١٢)

- وقد خطب النبى ﷺ بمنى فقال: «ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا، ألا هل بلغت» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد ثلاثا» رواه البخارى من حديث ابن عمر. (١١٢)

- وعن عبد الله بن أنيس -رضى الله عنه- انه سمع النبى ﷺ يقول: «يحشر الله العباد يوم القيامة -أو قال الناس- عراة غرلا بهما»، قال: قلنا: وما بهما؟
قال: «ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الديان، أنا الملك، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن

يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة».

قال قلنا: كيف وإنما نأتي عراة غرلاً بُهماً.

قال: «**الحسنات والسيئات**» رواه أحمد بإسناد حسن. (٤ / ٢٠٢)

— وعن أبي هريرة —رضي الله عنه— عن النبي ﷺ قال: «**من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة**» رواه البزار والطبراني بإسناد حسن.

(٣ / ١٦٤)

— وعن خزيمة بن ثابت —رضي الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك، ولو بعد حين**» رواه الطبراني، ولا بأس بإسناده في المتابعات.

(٣ / ١٤٦)

— وعن جابر قال: لما رَجَعت إلى رسول الله ﷺ مُهَاجرةُ البحر، قال: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**» قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله!

بينا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رَهَابينِهِم، تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَر! إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك —عنده— غدا؟

قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صدقت صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟**» رواه ابن ماجة (١).

---

(١) قال البوصيري: إسناده حسن (٢ / ١٣٢٩).

- وروى : «خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا وإلا أمر بهم فى الآخرة إلى النار:

أمير قوم يأخذ حقه من رعيته، ولا ينصفهم من نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم.

وزعيم قوم يطيعونه، ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى.

ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم.

ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته.

ورجل ظلم امرأة صداقها».

- وقال أبو هريرة -رضى الله عنه- : إن الحبارى (١) لتموت فى وكرها هزالا من ظلم الظالم.

- وعن عبد الله بن سلام قال: إن الله -تعالى- لما خلق الخلق؛ واستووا على أقدامهم رفعوا رءوسهم إلى السماء، وقالوا: يارب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

- وعن أبى أمامة قال: يجىء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم، وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئات مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار.

- وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة -يوم القيامة- فينادى به على رءوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه.

قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ «**فلا أنساب بينهم يومئذ، ولا يتساءلون**».

قال: فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئا.

فينصب العبد للناس ثم يقول الله -تعالى- لأصحاب الحقوق: ائتوا إلى

(١) بضم ففتح: طائر طويل العنق رمادى اللون على شكل الأوزة فى منقارة طول (١٥٢/١) المعجم الوسيط.

حقوقكم قال - فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر ظلمه.
فإن كان وليا لله، وفضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبدا شقيا، ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة: ربنا فنيت حسناته وبقى طالبوه: فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته. ثم صك له صكا إلى النار.
ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبى - ﷺ - : **«أتدرون من المفلس..»** الخ.

- وقد روى: أنه لا أكره للعبد -يوم القيامة- من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها فى الدنيا.
كما قال النبى ﷺ : **«لتؤدنُ الحقوق -إلى أهلها- يوم القيامة - حتى يقاد للشاة - الجلحاء من الشاة القرناء»**.
(١١٢)
رواه مسلم عن أبى هريرة.
- وفى بعض الكتب يقول الله تعالى:
اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيرى.
- وأنشد بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا   فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

- وكان بعض السلف يقول:
لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء.
- وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوى إليه.
فركب الجبار يوما وطاف حول القصر، فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟
قيل: لامرأة فقيرة، تأوى إليه، فأمر به فهدم.

فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت : من هدمه ؟
فقيل : الملك رآه فهدمه.
فرفعت العجوز رأسها إلى السماء ،وقالت :يارب إذا لم أكن أنا حاضرة، فأين كنت أنت ؟
قال : فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه ؛ فقلبه.

— وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يا أبتى بعد العز صرنا فى القيد والحبس ؟
فقال : يا بنى دعوة المظلوم سرت بليل ، غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها

— وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحدا — قط — هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله ، يقول لى : حسبى الله ، الله بينى وبينك.

— وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر، فكتب إليه من السجن هذين البيتين.

أمـا والله إن الـظـلـم شـوم ومـازال المـسـىء هـو الـظـلـوم
ستعلـم ياظلـوم إذا التقينا غـدا عـنـد المـلـيـك من الملوم

— ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه ، حتى إذا بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما ، وضربه ضربا شديدا من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم ، إلى أن كبر، ومات أبوه ، فتولى الملك بعده، فاستحضر المعلم ، وقال له :
ما حملك على أن ضربتنى — فى يوم كذا وكذا — ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب ؟ فقال المعلم :
اعلم أيها الملك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب ، علمت أنك تنال الملك بعد أبيك ، فأردت أن أذيقك ألم الضرب ، وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا.
فقال : جزاك الله خيرا ، ثم أمر له بجائزة وصرفه.

تـوق دعـا المظـلـوم إن دعـاءه — لـيرفـع فوق السحب ثم يجاب
تـوق دعا من ليس بين دعائه — وبين إله الـعـالمين حـجـاب
ولا تحـسبن الله مطـرحـا لـه — ولا أنـه يخـفـى عـلـيه خطاب
فـقـد صح أن الله قال وعزتي — لأنصرن المظلوم وهـو مثـاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه — جهـول وإلا عـقـلـه فـصـاب

فصـــل

— ومِن أعـظـم الـظـلـم المـماطـلـة بحـق عليه مع قدرته على الوفاء.

لما ثـبـت في الـصحـيـحين أن رسـول الله ﷺ قـال: «**مـطـل الـغنى ظلم**». (٥٧٣)

وفي رواية: «**لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته**» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد (١).

لي الـواجد (بفتح اللام وتشديد الياء) أي: مطل الواجد الذي هو قادر على وفاء دينه.

يحل عرضه: أي: يبيح أن يذكر بسوء المعاملة، وعقوبته حبسه. (٣ / ٣٩)

فصل

— ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها.

وهو داخل في قوله ﷺ: «**لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته**».

— [وعـن عـبد الله بن عـمرو ـرضي الله عنهما ـ قـال: قال رسول الله ﷺ: «**كـفـى بالمرء إثما أن يـضـيع من يعول**» رواه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم. (٣ / ٨٢)

— وعن أنـس ـرضي الله عـنـه ـ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**». رواه ابن حبان في صحيحه] (٣ / ٨٣)

---

(١) وأقره الذهبي (٤/١٠٢)

فصـــل

- ومن الظلم : أن يستأجر الرجل أجيرا أو إنسانا فى عمل ، ولا يعطيه أجرته لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « **قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم ـ ومن كنت خصمه خصمته ـ :**
رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا ، فأكل ثمنه ، ورجل إستأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره ». (٣ / ٥٨)
- وكذلك إذا ظلم يهوديا أو نصرانيا ، أو نقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه ، فهو داخل فى قوله تعالى : « **أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته** ».
- ومن ذلك أن يحلف على دين فى ذمته كاذبا فاجرا .
لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** »
قالوا : وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ، قال : « **وإن كان قضيبا من أراك** ». (٦٠٢)

فخف القصاص غدا إذا وفيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس
فى موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مقنع للراس
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم ... نار وحاكمهم شديد الباس
إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى ... فقد تؤديها مع الإفلاس

- وروى أن « أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته .
والله ما يتكلم لسانها ، ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تتعنت لزوجها فى الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى زوجته من خير أو شر .
ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك ، فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ، ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم ، وسيئات هذا المظلوم تحمل

على هذا الظالم. ثم يؤتى بالجبارين فى مقامع من حديد، فيقال: سوقوهم إلى النار».

- وكان شريح القاضى يقول:

سيعلم الظالمون - حتى من انتقصوا - أن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر والثواب.

- وروى أنه إذا أراد الله بعبده خيرا سلط الله عليه من يظلمه.

- ودخل طاوس اليمانى على هشام بن عبد الملك، فقال له: اتق الله يوم الآذان. قال هشام: وما يوم الآذان؟

قال: قال الله تعالى: «**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**» (الاعراف ٤٤). فصعق هشام.

فقال طاوس: «هذا ذل الصفة، فكيف بذل المعاينة؟»

- يا راضياً باسم الظالم.. كم عليك من المظالم؟

السجن جهنم - والحق حاكم.

فصل

فى الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم

- قال الله تعالى: «**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**».

والركون - ههنا -: السكون إلى الشيء، والميل إليه بالمحبة.

قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: لا تميلوا كل الميل فى المحبة ولين الكلام والمودة.

وقال السدى وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة.

وقال عكرمة: هو أن يطيعهم ويودهم.

وقال أبو العالية: - لا ترضوا بأعمالهم.

«**فتمسكم النار**» فيصيبكم لفحها «**وما لكم من دون الله من أولياء**»، قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله «**ثم لا تنصرون**» (هود ١١٣) لا تمنعون من عذابه.

- وقال الله تعالى : « **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** » أى : أشباههم وأمثالهم وأتباعهم .

- وعن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيكون بعدى امراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ، وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ، ولم يعنهم على ظلمهم ، ولم يصدقهم بكذبهم ، فهو منى وأنا منه ، وهو وارد على الحوض** » خرجه الترمذى ، وقال : حديث غريب صحيح . (٣ / ١٥٠)

- وروى : من أعان ظالما سلط عليه .

- وقال سعيد بن المسيب - رحمه الله - : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة ، إلا بإنكار من قلوبكم ؛ لئلا تحبط أعمالكم الصالحة .

- وقال مكحول الدمشقى : ينادى مناد يوم القيامة - : أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مدّ لهم حبرا ، أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلما ، فما فوق ذلك إلا حضر معهم ، فيجمعون فى تابوت من نار ، فيلقون فى جهنم .

- وجاء رجل خياط إلى سفيان الثورى فقال : إنى رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة ؟ ، فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم . ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط .

- وروى : أن أول من يدخل النار - يوم القيامة - : السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة .

- وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : « **الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة** » الجلاوزة : أعوان الظلمة .

- وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل مسلم ظلما ؛ فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه** » رواه الطبرانى والبيهقى بإسناد حسن. (٣ / ٢٠٧)

– وقد روى أنه «أمر بعبد من عباد الله يضرب فى قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو، حتى صارت جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارا، فلما افرنقع[1] عنه، وأفاق، قال: على ما جلدتمونى؟

قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره».

(٣ / ١٤٨)

– وقد خرج البخارى عن أنس –رضى الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» فقال رجل: يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟

قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**». (٣ / ١٤٨)

حكاية

– قال بعض العارفين: رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حالة قبيحة، فقلت له: ما حالك؟

قال: شر حال، قلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله.

قلت: فما حال الظلمة عنده؟ قال: شر حال، أما سمعت قول الله عز وجل: «**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**» (الشعراء ٢٢٧).

حكاية أخرى

– قال بعضهم: رأيت رجلا مقطوع اليد من الكتف، وهو ينادى: «من رآنى فلا يظلمن أحدا»، فتقدمت إليه، فقلت له: ياأخى ما قصتك؟

قال: يا أخى قصة عجيبة.

وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة، فرأيت يوما صيادا، وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتنى، فجئت إليه فقلت: أعطنى هذه السمكة.

فقال: لا أعطيكها، أنا آخذ بثمنها قوتا لعيالى.

فضربته، وأخذتها منه قهرا، ومضيت بها.

قال: فبينا أنا أمشى بها حاملها إذ عضت على أبهامى عضة قوية، فلما

---

(١) أى: انكشف وتنحى أ هـ. وراجع اللسان (فرقع).

جئت بها إلى بيتى ، وألقيتها من يدى ضربت على إبهامى ، وآلمتنى ألما شديدا ، حتى لم أنم من شدة الوجع والألم ، وورمت يدى .

فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم ، فقال : هذه بدء الأكلة ، واقطعها وإلا تقطع يدك ، فقطعت إبهامى ، ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ، ولا القرار من شدة الألم ، فقيل لى : اقطع كفك فقطعته ، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمني ألما شديدا ، ولم أطق القرار ، وجعلت استغيث من شدة الألم . فقيل لى : اقطعها إلى المرفق ، فقطعتها ، فانتشر الألم إلى العضد ، وضربت على عضدى أشد من الألم الأول .

فقيل : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله ، فقطعتها .

فقال لى بعض الناس : ما سبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة ،

فقال : : لو كنت رجعت ــ فى أول ما أصابك الألم ــ إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا ،

فاذهب الآن إليه واطلب رضاه ، قبل أن يصل الألم إلى بدنك.

قال : فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته ، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكى . وقلت له : يا سيدى سألتك بالله إلا عفوت عنى .

فقال لى : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصبا .

وذكرت ما جرى ، وأريته يدى ، فبكى حين رآها .

ثم قال : ياأخى قد أحللتك منها ، لما قد رأيته بك من هذا البلاء .

فقلت : ياسيدى ــ بالله ــ هل كنت قد دعوت على لما أخذتها ؟ .

قال : نعم ، قلت : اللهم إن هذا تقوى على بقوته على ضعفى ، على ما رزقتنى ظلما فأرنى قدرتك فيه .

فقلت : يا سيدى قد أراك الله قدرته فى ، وأنا تائب إلى الله ــ عز وجل ــ عما كنت من خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيا إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

موعظة

ـــ إخواني كم أخرج الموت نفسا من دارها لم يدارها !
وكم أنزل أجسادا بجارها لم يجارها !
وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها !

شعر:

يا معرضا بوصال عيش ناعم	ستصد عنه طائعا أوكارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن	أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمر النواحي وغرس الحدائق
ونال الأماني وركب العواتق ؟
صاح به من داره غراب بين ناعق، وطرقه فى لهوه أقطع طارق.
وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق.
وقلاه الحبيب الذى لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق.
ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق.
نازله ــ والله ــ الموت، فلم يحاشه.. وأذله بالقهر بعد عز جاشه
وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه.. ومزقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه
وبقى فى ضنك شديد من معاشه.. وبعد عن الصديق، فكأنه لم يماشه
ما نفعه ــ والله ــ الاحتراز.. ولا ردت عنه الركاز
بل ضره من الزاد الإعواز.. وصار ــ والله ــ عبرة للمجتاز
وقطع شاسعا من السبل الأوفاز. وبقى رهينا لا يدرى أهلك أم فاز؟
وهذا لك بعد أيام.. وما أنت فيه ــ الآن ــ أحلام.
ودنياك لا تصلح .. وما سمعت ستراه غدا على التمام.
ويقع لى ولك ويحك ــ أما يؤثر ــ فيك ــ هذا الكلام.

الكبيرة الخامسة والخمسون

الــزنا

- يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته، ومخالطة أسبابه ودواعيه: **«ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة»** أى: ذنبا عظيما، **«وساء سبيلا»** (الاسراء ٣٢) أى: وبئس طريقا ومسلكا(*).
- وقال تعالى: **«والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب»** (الفرقان: ٦٨)
- وقال تعالى: **«الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»** ويزاد على ذلك أن يغرب عاما عن بلده للحديث الصحيح. **«ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله»** أى: لا تأخذكم بهما رقة ورحمة فى حكم الله —تعالى— فتخففوا الضرب أو تنقصوا العدد، بل أوجعوهما ضربا، قال مجاهد: لا تعطلوا حدود الله، ولا تتركوا إقامتها شفقة ورحمة **«إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»** هذا من باب الإلهاب والتهييج أى: إن كنتم مؤمنين حقا تصدقون بالله واليوم الآخر، فلا تعطلوا الحدود ولا تأخذكم شفقة بالزناة، فإن جريمة الزنا أكبر من أن تستدر العطف أو تدفع إلى الرحمة، **«وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين»** أى: وليحضر عقوبة الزانيين جماعة من المؤمنين، ليكون أبلغ فى زجرهما، وانجع فى ردعهما فإن الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب (١).

---

(١) صفوة التفاسير (٩١١).

(*) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨).

- قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزانى فى الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين فإن كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة فى العمر فإنهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا . كذلك ثبت فى السنة عن النبى ﷺ .

فإن لم يستوف القصاص منهما فى الدنيا وماتا من غير توبة ، فإنهما يعذبان فى النار بسياط من نار.

- وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» متفق عليه . (٣ / ١٩٠)

- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا زنا الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة ، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان**» رواه أبو داود وهذا لفظه والترمذى وصححه الحاكم على شرط البخارى ومسلم (١). (٣/ ١٩١)

- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه**» صححه الحاكم على شرط مسلم (٢)

- وعنه -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر**» رواه مسلم والنسائى (٣ / ١٩٢)

والعائل : الفقير.

- وفى صحيح البخارى فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب وفيه أنه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل ، قال : «**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور** فأحسب أنه كان يقول فيه : **فإذا فيه لغط وأصوات ، قال : فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضووا** - أى : صاحوا من شدة حره- **الحديث**».

---

(١) ووافقه الذهبى (١/ ٢٢)

(٢) ووافقه الذهبى (١ / ٢٢).

وفى آخره: « .. **وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزوانى** ». (٣ / ١٩١)

يعنى: من الرجال والنساء، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة.

نسأل الله العفو والعافية.

- وعن عطاء فى تفسير قول الله ـ تعالى ـ عن جهنم «**لها سبعة أبواب**» (الحجر ٤٤). قال: « أشد تلك الأبواب غما وحرا وكربا، وأنتنها ريحا للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم ».
- وعن مكحول الدمشقى قال: « يجد أهل النار رائحة منتنة، فيقولون: ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة فيقال لهم: هذه ريح فروج الزناة ».
- وقال ابن زيد ـ أحد أئمة التفسير ـ: «أنه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة».
- وفى العشر الآيات التى كتبها الله لموسى عليه السلام:

« ولا تسرق، ولا تزن، فاحجب عنك وجهى ».

فإذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام، فكيف بغيره؟

- وروى أن إبليس يبث جنوده فى الأرض، ويقول لهم: أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه: فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلا.

فيجىء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئا سوف يتزوج غيرها، ثم يجىء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئا، سوف يصالحه، ثم يجىء الآخر: فيقول: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول ابليس: نعم ما فعلت، فيدنيه منه، ويضع التاج على رأسه.

نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده.

- وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء، فإذا زنا العبد نزع منه سربال الإيمان، فإن تاب رد عليه**».

خرجه البيهقى، وخرج نحوه أبو داود والترمذى والحاكم (٣ / ١٩٢).

- وفى حديث أبى موسى عنه ﷺ قال: «**ومن مات مدمن الخمر سقاه الله ـ جل وعلا ـ من نهر الغوطة**»، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «**نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهم**» رواه ابن حبان والحاكم فى صحيحهما (٣ / ١٨٢).

يعنى: أن الزانيات يجرى من فروجهن قيح وصديد فى النار، ثم يسقى ذلك لمن مات مصرا على شرب الخمر.

- وورد أن جهنم فيها واد فيه حيات، كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة، فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة، ثم يتهرى لحمه وأن فيها واديا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب، كل عقرب بقدر البغل، لها سبعون شوكة، فى كل شوكة راوية سم تضرب الزانى، وتفرغ سمها فى جسمه، يجد مرارة وجعها ألف سنة، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد.

- وورد أيضا: أن من زنى بامرأة متزوجة كان عليه وعليها ـ فى القبر ـ نصف عذاب هذه الأمة، فإذا كان يوم القيامة يحكم الله ـ تعالى ـ زوجها فى حسناته.

هذا إذا كان بغير علمه، فإن علم وسكت حرم الله عليه الجنة، لأن الله ـ تعالى ـ كتب على بابها: أنت حرام على الديوث.

وهو الذى يعلم بالفاحشة فى أهله، ويسكت ولا يغار.

- وورد كذلك: أن من وضع يده على امرأة لا تحل له ـ بشهوة ـ جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فإن قبلها قرضت شفتاه فى النار، فإن زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة، وقالت: أنا للحرام ركبت، فينظر الله ـ تعالى ـ إليه بعين الغضب، فيقع لحم وجهه، فيكابر ويقول: ما فعلت، فيشهد عليه لسانه، فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يداه أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه: أنا للحرام نظرت، وتقول رجلاه: أنا لما لا يحل مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت.

ويقول الحافظ ــ من الملائكة ــ : وأنا سمعت ويقول الآخر : وأنا كتبت.
ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت
ثم يقول الله : يا ملائكتي خذوه، ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه.
وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: **«يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون»** (النور ٢٤).

- وبعض الزنا أكبر من بعض،
وأعظم الزنا : الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم.
- وقد روى الإمام أحمد [١] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ **«ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه»**.
- وعن البراء رضي الله عنه قال: لقيت عمي ومعه راية، فقلت له أين تريد؟ قال: **«بعثني رسول الله ﷺ : إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه، وآخذ ماله»** رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن غريب [٢] والحاكم وصححه [٣].

- وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: **«أن تدعو لله ندأ وهو خلقك»**
قال: ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»**
قال: ثم أي؟ قال: **«أن تزاني حليلة جارك»**
فأنزل الله تصديقها: **(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما)** (الفرقان ٦٨).
مخرج في الصحيحين [٤].

---

(١) قال الشيخ شاكر: إسناده حسن (٤/٢٥٦ ــ ٢٥٧).
(٢) قال الشوكاني (٧/١٣١): وللحديث أسانيد كثيرة منها ما رجاله رجال الصحيح.
(٣) وأقره الذهبي (٢/١٩١). (٤) البخاري (٦/١٣٧) ومسلم (١/٩١).

- فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل إلا بالحق.

فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم.

الكبيرة السادسة والخمسون
اللـــواط

- قد قص الله عز وجل علينا فى كتابه العزيز قصة قوم لوط فى غيرموضع.

من ذلك قوله تعالى: **«فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل»** أى: من طين طبخ حتى صار كالآجر **«منضود»** أى: يتلو بعضه بعضا **«مسومة»** أى معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا **«عند ربك»** أى: فى خزائنه التى لا يتصرف فى شيء منها إلا بإذنه **«وما هى من الظالمين ببعيد»**.

(هود: ٨٢)

ما هى من ظالمى هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

- ولهذا قال النبى ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط»** رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حديث غريب. (٣ / ١٩٧)

- ولعن من فعل فعلهم ثلاثا، فقال: **«لعن الله من عمل عمل قوم لوط قالها ثلاثاً»**. رواه ابن حبان من حديث ابن عباس. (٣/١٩٨)

- وروى مرفوعا **«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»** رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى[1].

- قال ابن عباس -رضى الله عنهما-: **«ينظر أعلى بناء فى القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط»**.

(١) قال المنذرى: كلهم من رواية عمرو بن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس.
وعمرو هذا - قد احتج به الشيخان وغيرهما، وقال ابن معين ثقة ينكر عليه حديث ابن عباس يعنى هذا انتهى (٣/١٩٩).

- وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التى حرم الله تعالى.
- قال تعالى [مخبرا عن محاورة نبيه لوط لقومه]: **«أتأتون الذكران من العالمين»** أى: اتنكحون الذكور فى أدبارهم، وتنفردون بهذا الفعل الشنيع من بين سائر الخلق؟ **«وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم»** أى: وتتركون ما أباح لكم ربكم من الاستمتاع بالإناث؟ قال مجاهد: تركتم فروج النساء إلى أدبار الرجال **«بل أنتم قوم عادون»** (الشعراء ١٦٥، ١٦٦) أى: بل أنتم قوم مجاوزون الحد فى الإجرام والفساد. وبخهم على إتيانهم الذكور، ثم أضرب عنه إلى ما هو أبلغ فى التوبيخ، كأنه يقول خرجتم عن حدود الإنسانية إلى مرتبة البهيمية بعدوانكم وارتكابكم هذه الجريمة الشنيعة فالذكر من الحيوان يأنف عن إتيان الذكر، وأنتم فعلتم ما يتورع عنه الحيوان (١).
- وقال تعالى -فى آية أخرى- مخبرا عن نبيه لوط -عليه السلام-: **«ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث. إنهم كانوا قوم سوء فاسقين»** (الأنبياء ٧٤).

وكان اسم قريتهم سدوم، وكان أهلها يعملون الخبائث التى ذكرها الله تعالى فى كتابه.

كانوا يأتون الذكران من العالمين فى أدبارهم، ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.

- وروى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر، وحل الأزرار، ورمى البندق، والخذف بالحصى، واللعب بالحمام الطيارة، والصفير بالأصابع، وفرقعة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور.
وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء.

- وروى أن «سحاق النساء بينهن زنا».

---

(١) صفوة التفاسير (٩٨٨)

- وروى ــ كذلك ــ: «أن أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله ــ تعالى:
المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال ــ يعنى: اللواط».
- وروى أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله ــ تعالى ــ وتكاد السموات أن تقع علي الأرض، فتمسك الملائكة بأطرافها، وتقرأ (قل هو الله أحد) إلى آخرها، حتى يسكن غضب الله عز وجل.
- وجاء فى الأثر: «**سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار ــ فى أول الداخلين ــ إلا أن يتوبوا، ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذى جيرانه حتى يلعنه الناس، والناكح حليلة جاره**»(1).
- وروى أن قوما يحشرون يوم القيامة، وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون فى الدنيا بمذاكيرهم.
- وروى أن من أعمال قوم لوط: اللعب بالنرد، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بلا مئزر، ونقص الكيل والميزان، ويل لمن فعلها.
- وفى الأثر: من لعب بالحمام القلابة، لم يمت حتى يذوق ألم الفقر.
- وقال ابن عباس: ــ رضى الله عنهما ــ: «**إن اللوطى إذا مات من غير توبة ــ فإنه يمسخ فى قبره خنزيرا**».
- وقال ﷺ: «**لا ينظر الله ــ عز وجل ــ إلى رجل أتى رجلا، أو امرأة فى دبرها**» رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه.
(٣ / ٢٠٠)

(١) عزاه فى التلخيص لأبى الشيخ وجعفر الفريابى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا، قال: وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف (١٨٨/٢) لكن قال الشيخ الغمارى فى الاستقصاء (٣٦): هو حسن الحديث فى المتابعات، كما قال الحافظ الهيثمى فى غير موضع من مجمع الزوائد، بل حسن له أحاديث انفرد بها، إلى أن قال: فبانضمام هذين الطريقين ــ يعنى هذا الطريق وطريقا آخر ذكره ــ يكون الحديث من قبيل الحسن لغيره، وهو حجة بلا نزاع.

— وقال أبو سعيد الصعلوكي: سيكون —في هذه الأمة— قوم يقال لهم اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

— والنظر — بشهوة — إلى المرأة والأمرد زنا.

لما صح عن النبى ﷺ أنه قال: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**» رواه مسلم والبخارى.
(٣ / ٦٤)

— ولأجل ذلك بالغ الصالحون فى الإعراض عن المردان، وعن النظر إليهم، وعن مخالطتهم ومجالستهم.

— قال الحسن بن ذكوان: «**لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن هم صور العذارى، فهم أشد فتنة من النساء**».

— وقال بعض التابعين: «**ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار منى عليه من الغلام الأمرد يقعد إليه**».

— وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد فى مكان واحد.

— وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد فى بيت أو حانوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبى ﷺ قال: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم**» متفق عليه.
(٥٨٠)

وفى المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم وأنه يمكن فى حقه من الشر ما لا يمكن فى حق النساء ويتسهل فى حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل فى حق المرأة، فهو بالتحريم أولى.

— وأقاويل السلف فى التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر، وسموهم الأنتان لأنهم مستقذرون شرعا، وسواء فيما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره.

— ودخل سفيان الثورى الحمام. فدخل عليه صبى حسن الوجه، فقال:

«أخرجوه عنى، أخرجوه عنى، فإنى أرى مع كل امرأة شيطانا، وأرى مع كل صبى حسن بضعة عشر شيطانا».

— وجاء رجل إلى الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ ومعه صبى حسن، فقال الإمام: **«ما هذا منك؟»** قال: ابن أختى.

قال: **«لا تجىء به إلينا مرة أخرى، ولا تمش معه فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءا».**

— وأنشدوا شعرا:

كل الحوادث مبداها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها	فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره	لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

— وكان يقال: النظر بريد الزنا.

— وروى: النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه لله، أورث الله قلبه عبادة يجد حلاوتها فى قلبه.

— وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطى مجرم.

فصل

فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعا

— عن خالد بن الوليد: كتب إلى أبى بكر الصديق أنه وجد رجلا ــ فى بعض نواحى العرب ــ ينكح كما تنكح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم على بن أبى طالب فقال على: **«إن هذا ذنب لم تعمل به إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم أرى أن تحرقه بالنار»** فاجتمع رأى أصحاب رسول الله ﷺ: «أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار» رواه البيهقى وغيره بإسناد جيد.

(٣ / ١٩٩ — ٢٠٠)

- وقال علي –رضي الله عنه–: **«من أمكن من نفسه –طائعا– حتى ينكح، ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطانا رجيما في قبره إلى يوم القيامة»**.
- ومما روى: أن عيسى ابن مريم –عليه السلام– مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى –عليه السلام– ماء ليطفىء عنه، فانقلبت النار صبيا- وانقلب الرجل نارا، فتعجب عيسى –عليه السلام– من ذلك، وقال: يارب ردهما إلى حالهما في الدنيا، لأسألهما عن خبرهما.

فأحياهما الله تعالى، فإذا هما رجل وصبي، فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل: يا روح الله إني كنت في الدنيا – مبتلى بحب هذا الصبي، فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة، فلما أن مت ومات الصبي، صير نارا تحرقني مرة، وأصير نارا أحرقه مرة، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة.

نعوذ بالله من عذاب الله، ونسأله العفو والعافية، والتوفيق لما يحب ويرضى.

فصل

- ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها، وذلك مما حرمه الله ورسوله.
- قال الله –عز وجل–: **«نساؤكم حرث لكم، فأتوا حرثكم أنى شئتم»** (البقرة ٢٢٣).

أي: كيف شئتم مقبلين ومدبرين، في صمام واحد أي: موضع واحد.

- وسبب نزول هذه الآية:

أن اليهود – في زمن النبي ﷺ – كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول؛ فأنزلت هذه الآية تكذيبا لهم.

«نساؤكم حرث لكم، فأتوا حرثكم أنى شئتم»: إن شاء مجبية، وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد» أخرجه مسلم(١) عن جابر رضي الله عنه.

---

(١) صحيح مسلم (٦/١٠ – ٧)

- وفى رواية : «**اتقوا الدبر والحيضة**».
وقوله : صمام واحد : أى : فى موضع واحد، وهو الفرج؛ لأنه موضع الحرث. أى : موضع زرع الولد

- وأما الدبر؛ فإنه محل النجو، وذلك خبيث مستقذر.
فقد روى أبو هريرة -رضى الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**ملعون من أتى امرأته فى دبرها**» خرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه (١).

- وعن عقبة بن عامر -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «**لعن الله الذين يأتون النساء فى محاشهن**» رواه الطبرانى من رواية عبد الصمد بن الفضل (٢). (٣ / ٢٠١)
فمن جامع امرأته فى دبرها فهو ملعون وداخل فى هذا الوعيد الشديد.

- وكثير من الجهال واقعون فى هذه المعاصى، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم، ولذلك قال أبو الدرداء : «كن عالماً أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامس فتهلك» وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم، ولا يستمع، ولا يحب من يعمل ذلك، ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا، ويسأل الله العفو عما مضى منه فى جهله، والعافية فيما بقى من عمره اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين.

---

(١) مختصر السنن (٣/٧٧ - ٧٩).
(٢) قال المنذرى : لا بأس به لم أر فيه جرحاً، ونقل المناوى عن الذهبى نحوه (٢ / ١١٠٢).

الكبيرة السابعة والخمسون

السرقة

— قال الله تعالى: « **والسارق والسارقة، فاقطعوا أيديهما** » أي: كل من سرق رجلا كان أو امرأة، فاقطعوا يده مجازاة لهما على فعلهما القبيح « **نكالا من الله** » أي: عقوبة من الله، « **والله عزيز** » في انتقامه من السارق « **حكيم** » فيما أوجبه من قطع يده (المائدة ٣٨).

قال ابن شهاب: نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس.

وقال ﷺ: « **لا يزني الزاني — حين يزني — وهو مؤمن، ولا يسرق السارق — حين يسرق — وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر — حين يشربها — وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة بعد** » رواه مسلم وأبو داود. (٣/ ١٨٠).

— وعن ابن عمر — رضي الله عنهما — « **أن النبي ﷺ قطع في مجن** (١) **ثمنه ثلاثة دراهم** » رواه الجماعة (٢).

— وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت « **كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا** » رواه الجماعة إلا ابن ماجه (٣).

وفي رواية النسائي — مرفوعا —: « **لا يقطع يد السارق، فيما دون ثمن المجن** » قيل لعائشة —: ما ثمن المجن؟ قالت: ربع دينار.

وفي رواية الإمام أحمد مرفوعا —: « **اقطعوا في ربع دينار، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك** »، وكان ربع الدينار — يومئذ — ثلاثة دراهم.

والدينار: اثنا عشر درهما (٤).

— وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: « **لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل، فتقطع يده** ».

قال الأعمش: « كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل: كانوا يرون أن منها ما يساوي دراهم » رواه البخاري ومسلم وأحمد (٥).

---

(١) قوله: مِجَنّ (بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون) وهو الترس (٧/ ١٢٤) نيل الأوطار.

(٢، ٣، ٤، ٥) نيل الأوطار (٧/ ١٢٤).

— وعن عائشة قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع . وتجحده فأمر النبى — ﷺ — بقطع يدها ، فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه ، فكلم النبى ﷺ فيها : فقال له النبى ﷺ : « **يأسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل** » ثم قام النبى ﷺ ، خطيبا ، فقال : « **إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق — فيهم — الضعيف قطعوه ، والذى نفسى بيده : لوكانت فاطمة بنت محمد ، لقطعت يدها . فقطع يد المخزومية** » رواه أحمد ومسلم والنسائى (١) .

● قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ماسرقه .
فإن كان مفلسا تحلل من صاحب المال والله أعلم .

الكبيرة الثامنة والخمسون
قطع الطريق

— قال الله تعالى : « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم — فى الآخرة — عذاب عظيم** » (المائدة : ٣٣) .

— قال الواحدى — رحمه الله — :

معنى « **يحاربون الله ورسوله** » : يعصونهما ، ولا يطيعونهما ، كل من عصاك فهو محارب لك .

« **ويسعون فى الأرض فسادا** » : أى : بالقتل والسرقة وأخذ الأموال .

وكل من أخذ السلاح على المؤمنين ، فهو محارب لله ورسوله .

وهذا قول مالك والأوزاعى والشافعى .

قوله تعالى « **أن يقتلوا ..** » إلى قوله : « **أو ينفوا من الأرض** »

---

(١) نيل الأوطار (١٣١/٧).

قال الوالبى : — عن ابن عباس — رضى الله عنهما — :
« أو » دخلت للتخيير، ومعناها : الإباحة .
«إن شاء الإمام قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء نفى » .
وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد .
وقال — فى رواية عطيه — : « (أو) ليست للإباحة »
إنما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات .

- فمن قتل وأخذ المال : قتل وصلب .
- ومن أخذ المال ولم يقتل : قطع .
- ومن سفك الدماء ، وكف عن الأموال : قتل .
- ومن أخاف السبيل ، ولم يقتل : نفى من الأرض .

وهذا مذهب الشافعى — رضى الله عنه — .

وقال الشافعى أيضا — :
يحد كل واحد بقدر فعله .

- فمن وجب — عليه — القتل ، والصلب : قتل — قبل صلبه — كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ، ثم ينزل .
- ومن وجب — عليه — القتل دون الصلب : قتل ، ودفع إلى أهله يدفنونه .
- ومن وجب — عليه — القطع دون القتل : قطعت يده اليمنى ثم حسمت فإن عاد وسرق ثانياً : قطعت رجله اليسرى . فإن عاد وسرق : قطعت يده اليسرى .

لأنه فعل أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — ، ولا مخالف لهما من الصحابة ، ووجه كونها اليسرى ؛ اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى ، وذلك معنى قوله تعالى : **« من خلاف »** .
وقوله تعالى : **« أو ينفوا من الأرض »** .
قال ابن عباس : هو أن يهدر الإمام دمه ، فيقول : من لقيه فليقتله .
هذا فيمن لا يقدر عليه .

فأما من قبض عليه : فنفيه من الأرض الحبس والسجن.
لأنه إذا حبس ، ومنع من التقلب فى البلاد ، فقد نفى منها .
نشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرا .

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا[1]
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجةٍ
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

— فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة .
فكيف إذا أخذ المال أو جرح أو قتل ؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة ، وإنفاق ما يأخذونه فى الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك .
نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة . إنه جواد كريم غفور رحيم .

(١) هذا هو الصواب وهو فى المحاسن والأضداد (٣٠) ونسبه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، والتنبيه لابن السيد (٢٩) وتفسير القرطبى (٦ / ١٥٣) غير منسوب فيهما والزواجر (٥٦٧) منسوبا لصالح بن عبد القدوس ، وفيه (الموتى عليه) بدلا من (الأموات فيها) . وفى الأصل : ـ الأحياء فيها ولا الموتى .
وهو كذلك فى تأويل مشكل القرآن (٤٠٠) والقرطين (١/ ١٤١) وإعراب ثلاثين سورة (١٧٣) .

الكبيرة التاسعة والخمسون
شرب الخمر

- قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ـ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ـ في الخمر والميسر ـ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» (المائدة ٩٠ ـ ٩١).

فقد نهى عز وجل ـ في هذه الآية ـ عن الخمر وحذر منها.

- وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[1].

(٣ / ١٨٣)

فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله قال الله تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين» (النساء ١٤).

- وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض، وقالوا: حرمت الخمر، وجعلت عدلا للشرك» رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح[2].

(٣ / ١٨٥)

- وهى ـ بلا ريب ـ أم الخبائث، وقد لعن شاربها في غير حديث.
- وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر ـ في الدنيا ـ فمات

---

(١) وأقره الذهبى (٤/١٤٥).

(٢) وخرجه الحاكم (١٤٤/٤) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبى.

وهو يدمنها؛ لم يشربها في الآخرة» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. (٣ / ١٨٢)

— وروى مسلم عن جابر —رضي الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ —: «كل مسكر حرام، وإن عند الله عهدا لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخبال». قيل: يارسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار». (٣ / ٢٨٥)

— وروى مسلم كذلك أنه ﷺ قال: «من شرب الخمر —في الدنيا— ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة». (٣/١٨٢)

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن

— عن ابن عباس —رضي الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن» رواه ابن حبان في صحيحه [1]. (٣/١٨٣)

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة

— روى ابن ماجه من حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر» [2].

— وفي رواية: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات [3].

---

(١) يشبه أن يكون معناه: من لقى الله مدمن خمر مستحلا لشربه لقيه كعابد وثن، لاستوائهما في حالة الكفر، نقله الضياء عن ابن حبان كما في السلسله الصحيحة (٢٣٥).

(٢) قال البوصيري: اسناده حسن، وسليمان بن عتبه مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات (٢/١١٢٠).

(٣) مجمع الزوائد (٥/ ٧٤).

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة

— عن جابر بن عبد الله — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ : **« ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو »** رواه الطبرانى فى الأوسط (١) وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والبيهقى.

(٣ / ١٨٦)

— وعن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله ﷺ : **« من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا ، فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد فى الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً ، فإن تاب لم يتب الله عليه ، وغضب الله عليه وسقاه من نهر الخبال »**

قيل : يا أبا عبد الرحمن ، وما نهر الخبال ؟

قال : « نهر يجرى من صديد أهل النار ».

رواه الترمذى وحسنه والحاكم وقال ؛ صحيح الإسناد (٢) (٣ / ١٨٨).

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمنا حين يشربها

— عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : **« لا يزنى الزانى حين يزنى ، وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق ، وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها ، وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة بعد »** رواه البخارى ومسلم وأبو داود. (٣ / ١٨٠)

---

(١) قال الهيثمى (٤/١٣١٣) : رواه الطبرانى فى الاوسط ، وفيه محمد بن عقيل وحديثه حسن ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات.

(٢) وأقره الذهبى (٤/١٤٦)

- وعنه — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه»** رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم(١). (٣ / ١٨٢)
- عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار بريح فروجهم»** رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، ورجال أحمد وأبى يعلى ثقات(٢).

ذكر من لعن فى الخمر

- روى أبو داود عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: **«لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»** زاد ابن ماجه: **«.. وآكل ثمنها»**. (٣/ ١٨٠)
- ورواه الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس — رضى الله عنهما — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها»** وصححه ابن حبان والحاكم(٣) (٣ / ١٨١).

ذكر النهى عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص — رضى الله عنهما — قال: **«لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا»**.
- قال البخارى: وقال ابن عمر: **«لا تسلموا على شربة الخمر»**.
- وجاء فى المرويات: «لا تجالسوا شراب الخمر، ولا تعودوا مرضاهم، ولا

---

(١) وأقره الذهبى (٢٢/١)
(٢) مجمع الزوائد (٧٤/٥)
(٣) وأقره الذهبى (١٤٥/٤)

تشهدوا جنائزهم ، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودا وجهه مدلعا لسانه علي صدره ، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر».

قال بعض العلماء : ـ إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم ، لأن شارب الخمر فاسق ملعون ـ قد لعنه الله ورسوله كما تقدم فى قوله : «لعن الله الخمر وشاربها» فإن اشتراها وعصرها ؛ كان ملعونا مرتين ، وإن سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات .

فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه .

ذكر أن الخمر لا يحل التداوى بها

ـ عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : اشتكت ابنة لى فنبذت لها فى تور فدخل النبى ﷺ وهو يغلى ، فقال : «**ما هذا ؟**»

فقلت : إن ابنتى اشتكت ، فنبذت لها هذا ، فقال : «**إن الله ـ عز وجل ـ لم يجعل شفاءكم فى حرام**» رواه أبو يعلى والبزار إلا أنه قال : «**فى كوز**» بدل «**تور**» ورجال أبى يعلى رجال الصحيح خلا حسان بن مخارق ، وقد وثقه ابن حبان (١) .

ـ [وعن وائل بن حجر أن طارق بن سويد الجعفى سأل النبى ﷺ عن الخمر فنهاه عنها ، فقال : إنما أصنعها للدواء .

قال : «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه (٢)] .

ذكر بعض الآثار المروية فى الخمر

ـ روى أن من كان فى صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدى

---

(١) مجمع الزوائد (٥/٨٦)   (٢) نيل الأوطار (٨/٢٠٣)

الله تبارك وتعالى فيخاصمه ، ومن خاصمه القرآن خصم ، فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة .

— وروى أنه ما من قوم اجتمعوا على مسكر — فى الدنيا — إلا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون ؛ يقول أحدهم للآخر : يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد ويقول له الآخر مثل ذلك .

— **وروى أنه من شرب الخمر — فى الدنيا — سقاه الله من سم الأساودة[1] شربة** يتساقط لحم وجهه فى الإناء قبل أن يشربها — فإذا شربها تساقط لحمه وجلده ، يتأذى به أهل النار.

ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها شركاء فى إثمها ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا ، فإن ماتوا — قبل التوبة — كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام .

— وروى : أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها — من الخمر — شربة من نهر الخبال .

فلو أن تلك الشربة تصب من السماء ؛ لأحرقت السموات من حرها

نعوذ بالله منها .

— وقال عبد الله بن أبى أوفى : **من مات مدمن الخمر مات كعابد اللات والعزى . قيل : أرأيت مدمن الخمر ، هو الذى لا يستفيق من شربها ؟ قال : لا ، ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ، ولو بعد سنين .**

فصل

— وقد ذهب عبد الله بن عمرو إلى أن الخمر أكبر الكبائر .

[فقد روى الطبرانى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — أن أبا بكر وعمر وناساً جلسوا بعد وفاة النبى — ﷺ — فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن — عندهم — فيها علم ، فأرسلونى إلى عبد الله بن عمرو

(١) الأساودة : جمع أسودة أنثى الأسود وهو العظيم من الحيات (اللسان) .

أسأله فأخبرني أن **«أعظم الكبائر شرب الخمر»**، فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا إليه شيعا حتى أتوه في داره.

فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: **«إن ملكا من ملوك بني اسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل نفسا، أو يزني، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتلوه فاختار الخمر. فلما شرب الخمر لم يمتنع من شيء أرادوه منه»**.

وإن رسول الله ﷺ قال: **«ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت وفي مثانته منه شيء إلا حرمت بها عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية»**.

وصححه الحاكم على شرط مسلم]. (٣ / ١٨٤)

فصل

والخمر ما خامر العقل ــ أي غطاه ــ سواء كان رطبا أو يابسا، أو مأكولا أو مشروبا.

والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر، يحد شاربها، كما يحد شارب الخمر؛ لدخولها في عموم قوله ﷺ : **«كل مسكر خمر»**.

وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة، وغير ذلك من الفساد.

والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة.

وكلاهما يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة (١).

لكن لما كانت جامدة مطعومة ــ ليست شرابا ــ تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال ــ في مذهب الإمام أحمد وغيره.

فقيل: هي نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح.

وقيل: لا؛ لجمودها.

---

(١) وقد توقف بعض الفقهاء المتأخرين في حدها، ورأى أن أكلها يعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً، وليس كذلك، بل أكلتها ينشون منها، ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر، وتصدهم عن ذكر الله، وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من المفاسد الأخرى، من الدياثة، والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك.

وقيل : يفرق بين جامدها ومائعها.
وبكل حال، فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظا و معنى.
- وقال أبو موسى : يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن : البِتْع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد.
والمِزر : وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد.
قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه، فقال : «**أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة**» رواه مسلم (١).
- وقال ﷺ : «**ما أسكر كثيره، فقليله حرام**» رواه أحمد وابن ماجه والدارقطني وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما (٢).
ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروبا، على أن الخمر قد يصطبغ بها -يعني الخبز- وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل.
وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين، وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام.
وقد قيل في وصفها شعر:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا ... عشت في أكلها بأقبح عيشة
قيمة المرء جوهر فلماذا ... يا أخا الجهل بعته بحشيشة

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة، لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها.

فآكلها وزارعها حلالا ... فتلك على الشقي مصيبتان

عبر في الحكايات

١ - عن عبد الملك بن مروان أن شابا جاء إليه باكيا حزينا، فقال : يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنبا عظيما، فهل لي من توبة؟ قال : وما ذنبك؟ قال : ذنبي عظيم، قال : وما هو، فتب إلى الله تعالى؛ فإنه يقبل التوبة

(١) صحيح مسلم (١٣/١٧١)

(٢) نيل الأوطار (٨/١٧٩ - ١٨٠)

عن عباده ويعفو عن السيئات .
قال : يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور، وكنت أرى فيها أمورا عجيبة .
قال : وما رأيت ؟
قال : يا أمير المؤمنين نبشت ــ ليلة ــ قبرا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه ، وأردت الخروج.
وإذا أنا بقائل يقول فى القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟
فقلت : لماذا حول ؟
قال : لأنه كان مستخفا بالصلاة ، هذا جزاء مثله .
ثم نبشت قبرا آخر، فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا ، وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه ، فخفت منه وأردت الخروج.
وإذا بقائل يقول لى : ألا تسأل عن عمله ؟ ولماذا يعذب ؟
فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر ــ فى الدنيا ــ ومات من غير توبة .
والثالث ــ يا أمير المؤمنين ــ نبشت قبراً ، فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار، وأخرج لسانه من قفاه ، فخفت ورجعت ، وأردت الخروج ، فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟
فقلت : لماذا ؟
فقال : كان لا يتحرز من البول ، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله .
والرابع ــ يا أمير المؤمنين ــ نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا . فخفت منه ، وأردت الخروج ، فقيل : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟
فقلت : وما حاله ؟
فقال : كان تاركا للصلاة .
والخامس : يا أمير المؤمنين :
نبشت قبرا ، فرأيته قد وسع على الميت مد البصر، وفيه نور ساطع ، والميت نائم على سرير، وقد أشرق نوره ، وعليه ثياب حسنة ، فأخذتنى منه هيبة

وأردت الخروج فقيل لى :
هلا تسأل عن حاله ، لماذا أكرم بهذه الكرامة ؟
فقلت : لماذا أكرم ؟
فقيل لى : لأنه كان شابا طائعا نشأ فى طاعة الله ـ عز وجل ـ وعبادته
فقال عبد الملك ـ عند ذلك :
إن فى ذلك لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين .
فالواجب ـ على المبتلى بهذه المعائب ـ المبادرة إلى التوبة والطاعة .
جعلنا الله وإياكم من الطائعين ، وجنبنا أفعال الفاسقين ، إنه جواد كريم .

١ ـ عن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ ـ له ـ حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ، ولسانه لا ينطق بها ، فكررها عليه ، فقال : لا أقولها ، وأنا برىء منها ، فخرج الفضيل من عنده ، وهو يبكى ، ثم رآه بعد مدة فى منامه ، وهو يسحب إلى النار .
فقال : يا مسكين ؛ بم نزعت منك المعرفة ؟
فقال : يا أستاذ ، كان بى علة ، فأتيت بعض الأطباء ، فقال لى : تشرب ـ فى كل سنة ـ قدحا من الخمر ، وإن لم تفعل تبقى بك علتك .
فكنت أشربها كل سنة للتداوى .
فهذا حال من يشربها للتداوى ، فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟
نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

٣ ـ سئل بعض التائبين عن سبب توبته ، فقال :
كنت أنبش القبور ، فرأيت ـ فيها ـ أمواتاً مصروفين عن القبلة ، فسألت أهليهم عنهم قالوا : كانوا يشربون الخمر فى الدنيا ، وماتوا من غير توبة .

٤ ـ وقال بعض الصالحين :
مات لى ولد صغير ، فلما دفنته ، رأيته بعد موته فى المنام ، وقد شاب رأسه ، فقلت : يا ولدى ، دفنتك وأنت صغير فما الذى شيبك ؟
فقال : يا أبتى دفن إلى جانبى رجل ممن كان يشرب الخمر ـ فى الدنيا ـ

فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها.

نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى، قبل أن يدركه الموت، وهو على أشر حالة، فيلقى فى النار، نعوذ بالله منها.

الكبيرة الستون
التسمع على الناس ما يسرون

— قال الله تعالى: «ولا تجسسوا» (الحجرات ١٢).

قال ابن الجوزى — رحمه الله —:

قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء.

قال أبو عبيدة: التجسس والتحسس واحد — وهو البحث — ومنه الجاسوس.

وقال يحيى بن أبى كثير: التجسس (بالجيم) عن عورات الناس.

(وبالحاء): الاستماع لحديث القوم.

قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم.

فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه، ليطلع عليه إذا ستره الله.

وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا.

قال: **«إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لناشىء نأخذ به»**. (٥٦٠)

— وقال رسول الله ﷺ: **«من استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة»** أخرجه البخارى عن ابن عباس. (٥٤٥)

والآنك: الرصاص المذاب، نعوذ بالله منه.

ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى — إنه جواد كريم.

موعظة

عباد الله ..

إن المنايا قد دقت واقتربت .. فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت .

كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت .. رب شمس طالعة على القبر قد غربت .

يا فراخ الفنا .. فخاخ البلى قد نصبت .

عباد الله .. كل المعاصى قد سطرت وكتبت .

والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت .. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب .. ومبارزا بالقبايح ، وما يدرى من يحارب .

يا حاضر البدن غير أن القلب غائب .. أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب ؟

يا من عمره يفنى فى ممره ويسرى كالنجائب[1]. يا من شاب وما تاب ، هذا من العجائب .

يا عجبا كيف نام المطلوب ، وما غفل الطالب ! .

---

(١) النجائب : (جمع نجيب) :عتاق الإبل التى يسابق عليها .

الكبيرة الحادية والستون
الفرار من الزحف
إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين
إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة وإن بعدت

- قال الله تعالى: «**يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا**» أي: إذا لقيتم أعداءكم الكفار مجتمعين، كأنهم يزحفون زحفا «**فلا تولوهم الأدبار**» أي: فلا تنهزموا أمامهم بل اثبتوا واصبروا «**ومن يولهم يومئذ دبره**» أي: ومن يولهم يوم اللقاء ظهره منهزما «**إلا متحرفا لقتال**» أي: إلا في حال التوجه لقتال طائفه أخرى، أو بالفر للكر، بأن يخيل لعدوه أنه منهزم ليغره مكيدة «**أو متحيزا إلى فئة**» أي: منضماً إلى جماعة المسلمين يستنجد بهم «**فقد باء بغضب من الله**» أي: فقد رجع بسخط عظيم، «**ومأواه جهنم**» أي: مقره ومسكنه الذى يأوى إليه نار جهنم «**وبئس المصير**» (الأنفال ١٥ ــ ١٦) أي: بئس المرجع والمآل (١).

- وعن أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ:
«**اجتنبوا السبع الموبقات**»
قالوا: يا رسول الله وما هن؟
قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٤ / ٥١).

- وعن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال:
«**لما نزلت: «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين»**

---

(١) صفوة التفاسير (٤٩٧)

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت «الآن خفف الله عنكم» الآية (الأنفال ٦٥ ـ ٦٦) فكتب ألا يفر مائة من مائتين» رواه البخارى وأبو داود[١].

الكبيرة الثانية والستون
الغلول من الغنيمة
وهى من بيت المال ومن الزكاة

— قال الله تعالى: «وما كان لنبى أن يغل» أى: ما صح ولا استقام شرعا ولا عقلا لنبى من الأنبياء أن يخون فى الغنيمة، والنفى ـ هنا ـ نفى للشأن، وهو أبلغ من نفى الفعل، لأن المراد أنه لا يتأتى ولا يصح أن يتصور فضلا عن أن يحصل ويقع «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» (آل عمران: ١٦١) أى: ومن يخن من غنائم المسلمين شيئا، يأت حاملا له على عنقه يوم القيامة، فضيحة له على رءوس الأشهاد[٢].

— وقال الله تعالى: «إن الله لا يحب الخائنين» (الأنفال ٥٨).
[أى: لا يحب من ليس عنده وفاء ولا عهد[٣]].

— وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: «قام ـ فينا ـ رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره حتى قال: «لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة ـ على رقبته ـ بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء ـ يوم القيامة ـ على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء.

---

(١) نيل الأوطار (٧/٢٥٢)
(٢) صفوة التفاسير (٢٢٤)
(٣) صفوة التفاسير (٥١١)

فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك .
لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح .
فيقول : يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك .
لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق .
فيقول : يا رسول الله اغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك
لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت .
فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك »

لا ألفين : لا أجدن .
الرغاء : (بضم الراء وبالغين المعجمة والمد) : هو صوت الإبل وذوات الخف
والحمحمة (بحاءين مهملتين مفتوحتين) : هو صوت الفرس .
والثغاء (بضم المثلثة وبالغين المعجمة والمد) : هو صوت الغنم .
والرقاع (بكسر الراء جمع رقعة) : وهى ما تكتب فيه الحقوق ، وتخفق : تتحرك وتضطرب . والصامت : الذهب أو الفضة . (٢ / ١٨٧)

ــ فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة :
من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير إذن الإمام أو من الزكاة التى تجمع للفقراء ــ جاء يوم القيامة حامله على رقبته كما ذكر الله ــ تعالى ــ فى القرآن : **« ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة »** .

ــ ولقول النبى ــ ﷺ ــ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم وقال : هذا لكم ، وهذا أهدى إلى ، فصعد النبى ــ ﷺ ــ المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : **« والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحد منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر »** .

ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول : **« اللهم هل بلغت »** .
رواه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث أبى حميد الساعدى .
قوله : تيعر (بمثناه فوق مفتوحة ثم مثناة تحت ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وقد تكسر) .

أي: تصيح ، واليعار: صوت الشاة . (١ / ٢٧٦)

— وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، ففتح الله علينا ، فلم نغنم ذهبا ، ولا ورقا ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي — يعني وادي القرى — ، ومع رسول الله ﷺ عبد له ، وهبه له رجل من بني جذام — يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب — ، فلما نزلنا الوادي قام عند رسول الله ﷺ يحل رحله فرمي بسهم ، فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئا له الشهادة ، يا رسول الله قال رسول الله ﷺ : **«كلا والذي نفس محمد بيده ، إن الشملة لتلتهب — عليه — نارا ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم»**.

قال : ففزع الناس ، فجاء رجل بشراك[1] أو شراكين ، فقال : أصبت يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ : **«شراك من نار ، أو شراكان من نار»** رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

والشملة : كساء أصفر من القطيفة يتشح به. (٢ / ٢٨٧ — ١٨٨)

— وعن عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — قال : «كان على ثقل[2] رسول الله ﷺ رجل يقال له : كركرة ، فمات ، فقال رسول الله ﷺ : **«هو في النار»** فذهبوا ينظرون إليه ، فوجدوا عباءة قد غلها » رواه البخاري .

(٢ / ١٨٦)

— وعن زيد بن خالد — رضي الله عنه — «أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ توفي — يوم خيبر — فذكروا لرسول الله ﷺ فقال : **«صلوا على صاحبكم»** فتغيرت وجوه الناس لذلك ، فقال ، **«إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه ، فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين»** رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه. (٢ / ١٨٦)

— وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : **«هدايا الأمراء غلول»** رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن [3] .

---

(١) شراك النعل : سيرها الذي على ظهر القدم (المصباح) .

(٢) الثَّقَل : (بفتحتين) متاع المسافر وحشمه (اللسان) .

(٣) مجمع الزوائد (١٥١/٤).

— وقال ﷺ : « **لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول** » رواه مسلم (1).

— قال الإمام أحمد — رحمه الله —: « **ما نعلم أن النبي — ﷺ — امتنع من الصلاة عن أحد إلا عن الغال، وقاتل نفسه** ».

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

الكبيرة الثالثة والستون
الدلالة على عورات المسلمين

— فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة، وأن عمر أراد قتله بما فعل، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا.

[فقد خرج البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: « **انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها** » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا حاطب ما هذا** »، قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرءا ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً، ولا ارتداداً، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : « **لقد صدقكم** »، قال عمر: يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: « **إنه قد شهد بدراً، وما**

(1) صحيح مسلم (١/٢٠٤)

يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»([1])].

— فإذا ترتب على جس [الجاسوس] وهن الإسلام، وأهله، [من] قتل، أو سبى، أو نهب، أو شىء من ذلك، فهذا ممن سعى فى الأرض فساداً، وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله، وحق عليه العذاب.

فنسأل الله العفو والعافية.

— وبالضرورة يدرى كل ذى حس، أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم. نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية، إنه لطيف خبير، جواد كريم.

الكبيرة الرابعة والستون
اليمين الغموس

— قال الله تعالى: « **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً** » أى: عرضا يسيرا من الدنيا، وهوما يحلفون عليه كاذبين، « **أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة** » أى: لا نصيب لهم فى الآخرة، « **ولا يكلمهم الله** » **أى**: بكلام يسرهم، « **ولا ينظر إليهم يوم القيامة** » نظرا يسرهم، وهو نظر الرحمة، « **ولا يزكيهم** » ولا يزيدهم خيرا ولا يثنى عليهم، « **ولهم عذاب أليم** » (آل عمران ٧٧).

قال الواحدى:

نزلت فى رجلين اختصما إلى النبى ﷺ فى ضيعة، فهم المدعى عليه أن يحلف، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر للمدعى بحقه.

---

(١) هذا لفظ البخارى (٧٢/٤) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة، والظعينة ــ هنا ــ الجارية، تعادى بنا خيلنا: تجرى. عقاصها (بكسر العين) شعرها المضفور. أفاده النووى (٥٥/١٦ ــ ٥٦)

- وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف على يمين هو -فيها- فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم: لقى الله -عز وجل- وهو عليه غضبان»**.

فقال الأشعث: فيَّ والله كان ذلك بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني أرضي، فقدمته إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: **«ألك بينة؟»** قلت: لا، فقال لليهودي: **«احلف»**.

فقلت: يا رسول الله إذاً يحلف فيذهب مالي.

فأنزل الله عز وجل: **«إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا - الآية»** رواه أحمد والبخاري ومسلم (١).

- وفي رواية لهما مرفوعاً: **«من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقى الله، وهو عليه غضبان»**.

قال عبد الله: ثم قرأ -علينا- رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل: **«إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا - الآيه»**
(٣/٤٤ - ٤٥)

- وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: **«من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»**.

قالوا: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟

فقال: **«وإن كان قضيباً من أراك»**.

(٣ / ٤٨)

أخرجه مسلم في صحيحه

- قيل لحفص بن ميسرة، ما أشد هذا الحديث!

فقال أليس في كتاب الله تعالى **«إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا - الآية»**.

- وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»**.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٥/١)

قلت : يارسول الله من هم ؟ خسروا وخابوا.
قال : وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات.
قال : « **المسبل والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان** » رواه أحمد ومسلم وأصحاب بالسنن. (٩٨/٣)

— وعن عبد الله بن عمرو — رضى الله عنهما — عن النبى ﷺ قال : « **الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس** » رواه البخارى والترمذى والنسائى والغموس : هى التى يتعمد الكذب فيها.
سميت غموسا (بفتح الغين)، لأنها تغمس الحالف فى الاثم فى الدنيا، وفى النار فى الآخرة. (٤٦/٣)

فصل

— ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل؛ كالنبى — ﷺ —، والكعبة والملائكة والسماء، والآباء، والحياة، والأمانة، وهى أشد ماهنا.
والروح والرأس، وحياة السلطان، ونعمة السلطان، وتربة فلان.

— عن ابن عمر — رضى الله عنهما — عن النبى ﷺ قال : « **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** » خرجه البخارى ومسلم وغيرهما. (٤ / ٣١)
وفى رواية فى الصحيح : « .. **فمن كان حالفا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت** ». (٦٠١)

— وعن عبد الرحمن بن سمرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ « **لا تحلفوا بالطواغى، ولا بآبائكم** » رواه مسلم.
الطواغى : (جمع طاغية) وهى الأصنام.
ومنه الحديث : « **هذه طاغية دوس** » أى : صنمهم ومعبودهم.
وروى فى غير مسلم :— « .. **بالطواغيت** » جمع طاغوت، وهو الشيطان والصنم. (٦٠١)

- وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«من حلف بالأمانة فليس منا»** حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح (٦٠١)

- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبا فهو كما قال.**
وإن كان صادقا، فلن يرجع إلى الإسلام سالما»
رواه أبو داود وصححه النسائي[1] (٦٠١).

- وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة.
فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».
رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[2]. (٤ / ٣١)
قال: وفسر بعض العلماء قوله: **«كفر أو أشرك»** على التغليظ.
كما روى عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن اليسير من الرياء شرك»**[3].

- وقال ﷺ: **«من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله»** رواه البخاري ومسلم[4].

- وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه فربما سبق لسانه إلى الحلف بها، فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقوله: **«لا إله إلا الله»**، ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه. وبالله التوفيق.

---

(١) نقله الشوكاني (٦/٢٣٣) ونقل المنذري تصحيح الحاكم له (٤/٣١) وأقره الذهبي على تصحيحه على شرط البخاري ومسلم (٤/٢٩٨).
(٢) وأقره الذهبي (٤/٢٩٧).
(٣) صدر حديث خرجه الحاكم (٤/٣٢٨) وصححه وأقره الذهبي.
(٤) البخاري (٨/١٦٥) ومسلم (١٢٦٧).

الكبيرة الخامسة والستون
الظلم فى القضاء

ـ قال الله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (المائدة ٤٤)

والحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازيا، وإما كفراً أصغر، وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخيَّر فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله: فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه فى هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص، ويسمى كافراً كفراً مجازيا، أو كفراً أصغر. وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه فى معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطىء له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور.

ـ وقال تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» (المائدة: ٤٥) أى: المبالغون فى الظلم لمخالفة شرع الله [١].

ـ وقال تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (المائدة: ٤٧) أى: المتمردون الخارجون عن الإيمان وطاعة الله [٢].

ـ صحح الحاكم [٣] من حديث ـ بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قاضيان فى النار وقاض فى الجنة: قاض قضى بالحق، فهو فى الجنة، وقاض قضى بجور فهو فى النار، وقاض قضى بجهله، فهو فى النار**». قالوا: فما ذنب هذا الذى يجهل؟

قال: «**ذنبه ألا يكون قاضياً حتى يعلم**».

ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١)، (٢) صفوة التفاسير (٣٣١ ـ ٣٢٢).

(٣) وأقره الذهبى على تصحيحه على شرط مسلم (٩٠/٤).

«**من ولى القضاء أو جعل قاضيا بين الناس، فقد ذبح بغير سكين**»
رواه أبو داود والترمذى واللفظ له وحسنه وصححه الحاكم (1).
ومعنى قوله: «**ذبح بغير سكين**» أن الذبح بالسكين يحصل به إراحة الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذبحت بغير سكين، كان فيه تعذيب لها
وقيل: إن الذبح لما كان - فى ظاهر العرف - وغالب العادة بالسكين - عدل ﷺ عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك، ليعلم أن مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف - عليه - من هلاك دينه، دون هلاك بدنه.
ذكره الخطابى ويحتمل غير ذلك. (٣ / ١٣١)

- وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدعى القاضى العدل - يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين آثنين فى عمره قط**» خرجه ابن حبان فى صحيحه. (٣ / ١٣٢)
- وروى أنه لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله..
- وروى أن القاضى ليزل فى جهنم أبعد من عدن.
- وروى أنه ليس من وال ولا قاض إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله -عزوجل- على الصراط، ثم تنشر سريرته، فتقرأ على رءوس الخلائق. فإن كان عدلا نجاه الله بعدله.

وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضا، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم.

- وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «ينبغى للقاضى أن يكون يوما فى القضاء و يوماً فى البكاء على نفسه».
- وقال محمد بن واسع - رحمه الله -: «أول من يدعى يوم القيامة للحساب القضاة».
- وقال مكحول: «لو خيرت بين القضاء، و بين ضرب عنقى، لاخترت ضرب عنقى على القضاء».

(1) واقره الذهبى (٩١/٤).

- وقال أيوب السختياني: «إني وجدت أعلم الناس أشدهم هربا منه».
- وقيل للثوري: «إن شريحاً استقضي، فقال: أي رجل قد أفسدوه!».
- ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع، ليجعله على قضاء البصرة، فأبى، فعاوده وقال: لتجلسن، وإلا جلدتك.

فقال: إن تفعل، فإنك سلطان وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة.
- وقال وهب بن منبه: إذا هم الحاكم بالجور، أو عمل به، أدخل الله النقص على أهل مملكته، حتى في الأسواق والأرزاق، والزرع والضرع، وكل شيء. وإذا هم بالخير أو العدل، أدخل الله البركة على أهل مملكته كذلك.
- وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ: أما بعد: فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح.

فكتب إليه عمر: «حصنها بالعدل، ونق طرقها من الجور، والسلام»
- ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان.

وإذا اجتمع في القاضي: قلة علم، وسوء قصد وأخلاق زعرة [1]، وقلة ورع فقد تم خسرانه، ووجب عليه أن يعزل نفسه، ويبادر بالخلاص من النار.

فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم.

موعظة

يا من عمره كلما زاد نقص .. يا من يأمن ملك الموت وقد اقتنص.

يا مائلاً إلى الدنيا .. هل سلمت من النقص؟

يا مفرطاً في عمره .. هل بادرت الفرص؟

يا من إذا ارتقى -في منهاج الهدى- ثم لاح له الهوى نكص.

من لك ــ يوم الحشر ــ عند نشر القصص؟

عجباً لنفس .. أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة.

وتقرعها المواعظ، فتصغي لها سامعه.. ثم تعود الزواجر عنها ضائعة.

والنفوس غدت في كرم الكريم طامعه..

---

(١) في الاساس: زعر الرجل زعرا: ساء خلقه، وقل خيره.

وليست له ــ في حال من الأحوال ــ طائعة
والاقدام سعت ــ في الهوى ــ في طرق شاسعة ...
بعد أن وضحت ــ من الهدى ــ سبل واسعة.
والهمم شرعت ــ في مشارع الهوى ــ متنازعة...
لم تكن مواعظ العقول لها نافعة.
وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة..
ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة..

الكبيرة السادسة والستون
أخذ الرشوة على الحكم

ــ قال الله تعالى: «**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**».

(البقرة ١٨٨)

أي: لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام، أي: لا تصانعوهم بها، ولا ترشوهم، ليقتطعوا لكم حقا لغيركم، وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم.

ــ وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: «**لعن رسول الله الراشي والمرتشي في الحكم**» رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم[1] وزادوا «**والرائش**». (٣ / ١٤٣)

ــ وعن أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**» رواه الطبراني، بإسناد جيد. (٣ / ١٤٣)

ــ **قال العلماء:**

فالراشي: هو الذي يعطي الرشوة، و المرتشي: هو الذي يأخذ الرشوة.

وإنما تلحق اللعنة الراشي: إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا

(١) وأقره الذهبي (١٠٣/٤)

يستحق ، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له ، ويدفع عن نفسه ظلما ؛ فإنه غير داخل فى اللعنة ، وأما الحاكم : فالرشوة عليه حرام ، أبطل حقا ، أو دفع ظلما.

— وأما الرائش: وهو الساعى بينهما ، فهو تابع للراشى فى قصده ؛ فإن قصد خيرا لم تلحقه اللعنة ، وإلا لحقته .

— [وقال ابن مسعود ــ رضى الله عنهما ــ : « **الرشوة ــ فى الحكم ــ كفر، وهى بين الناس سحت** » رواه الطبرانى موقوفا بإسناد صحيح] (٣ / ١٤٣)

فصل

— ومن ذلك ما روى أبو داود فى سننه (١) عن أبى أمامة الباهلى ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من شفع لأخيه بشفاعة ، فأهدى له هدية عليها فقبلها ، فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا** » .

— وعن ابن مسعود قال : « **السحت أن تطلب لأخيك الحاجة ، فتقضى ، فيهدى إليك هدية ، فتقبلها منه** » .

— وعن مسروق أنه كلم ابن زياد فى مظلمة ، فردها ، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا ، فردها ولم يقبلها ، وقال : سمعت ابن مسعود يقول :

« **من رد عن مسلم مظلمة ، فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت** » .

فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم ، فقال : ذلك كفر .

نعوذ بالله منه ، ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

حكاية

— عن الإمام أبى عمرو الأوزاعى ــ رحمه الله ــ وكان يسكن ببيروت ــ : أن

(١) سنن أبى داود (٣/٢٩٢) من طريق القاسم بن عبد الرحمن.

قال ابن عبد الهادى : والقاسم مختلف فى توثيقه والترمذى يصحح حديثه (١٥١) المحرر.

نصرانيا جاء إليه، فقال: إن والى بعلبك ظلمنى بمظلمة، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل.

فقال الأوزاعى ــ رحمه الله ــ: ان شئت رددت القلة، وكتبت لك، وان شئت أخذت القلة.

فكتب له إلى الوالى: أن ضع عن هذا النصرانى من خراجه.

فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالى فأعطاه الكتاب، فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الإمام، رحمه الله وحشرنا فى زمرته.

موعــظة

عباد الله ..

تدبروا العواقب .. واحذروا قوة المعاقب..

واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب؛ فإنه ــ والله ــ طالب غالب.

أين الذين قعدوا فى طلب المنى وقاموا؟

وداروا فى توطئة دار الرحيل وحاموا..؟

ما أقل ما لبثوا، وما أوفى ما أقاموا!

لقد وبخوا نفوسهم فى قعر قبورهم ــ على ما أسلفوا ــ ولاموا:

أما ــ والله ــ لو علم الأنام	لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته	عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر	وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال	فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا	كأهل الكهف أيقاظ نيام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ وبآفات البلايا قد تضمخ.

يا من يسمع كلام من لام ووبخ.. يعقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ.

يا مطلقا لسانه والملك يحصى وينسخ..

يا من طير الهوى ــ فى صدره ــ قد عشش وفرخ.

كم أباد الموت ملوكا كالجبال الشوامخ..
كم أزعج قواعد كانت ـ في الكبر ـ ترسخ
وأسكنهم ظلم اللحود، ومن ورائهم برزخ
يا من قلبه ـ من بدنه ـ بالذنوب أوسخ
يا مبارزا بالعظائم.. أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ
يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب.. ففعله يؤرخ
والحمد لله دائما أبداً.

الكبيرة السابعة والستون
شهادة الزور

ـ قال الله تعالى: «**والذين لا يشهدون الزور**» (الفرقان ٧٢).
هذا هو الوصف السابع من أوصاف عباد الرحمن [١]:
أي: لا يشهدون الشهادة الباطلة ـ شهادة الزور ـ التي تضيع حقوق الناس [٢].

ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار**» رواه ابن ماجه والحاكم والحاكم وقال: صحيح الإسناد [٣]. (٣ / ١٦٦)

ـ وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاث مرات**» ثم قرأ «**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**». رواه الطبراني بإسناد حسن. (١٦٦/٣)

(١) وتفصيلها من أول قوله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا..» الآيات من سورة الفرقان.
(٢) صفوة التفاسير (٩٦٧).
(٣) واقره الذهبي (٤/ ٩٨) لكن قال البوصيري: في اسناده: محمد بن الفرات متفق على ضعفه وكذبه الامام أحمد (٢/ ٧٩٤).

- قال المصنف ــ رحمه الله تعالى : شاهد الزور قد ارتكب عظائم :
أحدها : الكذب والافتراء.
قال الله تعالى : «**إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب**» (غافر ٢٨)
وفى الحديث : «**يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب**»
رواه البزار وأبو يعلى ورواته رواة الصحيح. (٤ / ٢٨)
وثانيها : أنه ظلم الذى شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله **أو** عرضه **أو** روحه.
وثالثها : أنه ظلم الذى شهد له ؛ بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار.
وقال ﷺ : «**فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار**» متفق عليه. (١١٧)
ورابعها : أنه أباح ما حرم الله ــ تعالى ــ وعصمه من المال والدم والعرض
قال ﷺ : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثا.
«**الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور**» وكان متكئا فجلس، فمازال يكررها حتى قلنا : ليته سكت.
رواه البخارى ومسلم والترمذى. (٣ / ١٦٦)
فنسأل الله ــ تعالى ــ السلامة والعافية من كل بلاء.

الكبيرة الثامنة والستون
الكذب الذى فيه حد أو إضرار

- [قال الله تعالى: «**إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار**» (الزمر ٣) أى: لا يوفق للهدى ولا يرشد للدين الحق من كان كاذبا على ربه، مبالغا فى كفره (١).
- وقال تعالى: «**إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله**» أى: لا يكذب على الله إلا من لم يؤمن بالله ولا بآياته، لأنه لا يخاف عقابا يردعه، فالكذب جريمة فاحشة لا يقدم عليها مؤمن «**وأولئك هم الكاذبون**» (النحل ١٠٥) أى: هم الكاذبون على الحقيقة (٢).].
- وقال تعالى: «**إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب**» (غافر ٢٨). أى: لا يوفق للهداية والإيمان من هو مسرف فى الضلال، مبالغ فى الكذب على الله (٣).
- وفى الصحيحين عن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ -: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب -عند الله- صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب -عند الله- كذاباً**» وخرجه أيضا الترمذى وصححه وهذا لفظه. (٤/٢٧)

---

(١) صفوة التفاسير (١٢٣٤)
(٢) صفوة التفاسير (٧٢٨)
(٣) صفوة التفاسير (١٢٦٢)

— وفى الصحيحين — أيضا — عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ —: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».** (٤ / ٤٣)

— وعن عبد الله بن عمرو — رضى الله عنهما — أن النبى ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»** رواه البخارى ومسلم وغيرهما. (٤ / ٢٧)

— وفى صحيح البخارى — فى حديث منام النبى ﷺ الذى رواه سمرة بن جندب، قال: **«فأتينا على رجل مستلق على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعيناه إلى قفاه، قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول.**

قال: فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى.

قلت: سبحان الله، ما هذا، قالا لى: انطلق انطلق.

ثم فسر الملكان للنبى — ﷺ — تأويل ذلك فقالا:

وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق».

والكلوب: (بفتح الكاف وضمها وتشديد اللام) هو حديدة معوجة الرأس وقوله «يشرشر شدقه» (هو بشينين معجمتين الأولى منها مفتوحة والثانية مكسورة وراءين الأولى منها ساكنة) ومعناه: يقطعه ويشقه.
(١ / ١٩٨ — ٢٠٠)

- وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب، وعائل مستكبر**» رواه مسلم وغيره. (٤/ ٣٠)
العائل: الفقير.
- وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له**» رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وغيرهم. (٤/٣٠)
- وفى الحديث: «**يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب**»
رواه البزار وأبو يعلى، ورواته رواة الصحيح. (٤/ ٢٨)
- وعن النواس بن سمعان ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب**» رواه أحمد عن شيخه عمر بن هارون، وفيه خلاف، وبقية رواته ثقات. (٤/ ٢٨)
- وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «**لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت فى قلبه نكتة سوداء، حتى يسود قلبه، فيكتب عند الله من الكاذبين**».
- وأعظم من ذلك الحلف.
كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن المنافقين بقوله: «**ويحلفون على الكذب وهم يعلمون**» (المجادلة ١٤).
- وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ـ ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:**
رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل،
ورجل بايع رجلا بسلعته ـ بعد العصر ـ فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه فأخذها، وهو على غير ذلك.
ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا؛ فإن أعطاه منها ما يريد، وفى له، وإن لم يعطه لم يف» رواه البخارى ومسلم وغيرهما. (٣ / ٣٠)

- [ومن أعظم الكذب : الكذب فى الرؤيا :]
- وفى الحديث : « **من تحلم بحلم لم يره: كلف أن يعقد بين شعرتين ولن يفعل** » رواه البخارى . (٥٤٥)

[وتحلم : أى قال : إنه حلم فى نومه ، ورأى كذا وكذا ، وهو كاذب .]
- وقال رسول الله ﷺ : « **أفرى الفرى: أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا** » رواه البخارى عن ابن عمر. (٥٤٥)

معناه : أن يقول : رأيته –فى منامى– كيت وكيت ، ولم يكن رأى شيئا.
- فينبغى للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام ، إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة فإن فى السكوت سلامة ، والسلامة لا يعدلها شىء.
- وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة –رضى الله عنه– عن رسول الله ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيرا أو ليصمت** ». (٣٠٠)

فهذا الحديث – المتفق على صحته – نص صريح فى أنه لا ينبغى للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا ، وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم .
- قال أبو موسى قلت : يا رسول الله أى المسلمين أفضل ؟

قال : « **من سلم المسلمون من لسانه ويده** » رواه البخارى ومسلم وغيرهما. (٤ / ٢)
- وفى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها –فى النار– أبعد ما بين المشرق والمغرب** ».

ما يتبين فيها : أى : ما يتفكر هل هى خير أو شر؟ (٤ / ٩)
- وفى موطأ مالك من رواية بلال بن الحارث المزنى عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة –من رضوان الله– ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله –تعالى– له بها رضوانه إلى يوم يلقاه.**

وإن الرجل يتكلم بالكلمة –من سخط الله– ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه ».

وخرجه كذلك الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح. (٤ / ٩)

- والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.
- **وسئل بعضهم:** كم وجدت فى ابن آدم من العيوب؟
فقال : هى أكثر من أن تحصى، والذى أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة إذا استعملها سترت العيوب كلها، وهى حفظ اللسان.
جنبنا الله معاصيه، واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم.

موعظة

أيها العبد :
لا شيء أعز عليك من عمرك، وأنت تضيعه !..
ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه.
ولا أضر من موافقة نفسك، وأنت تصافيها..
ولا بضاعة سوى ساعات السلامة، وأنت تسرف فيها !
لقد مضى من عمرك الأطايب، فما بقى بعد شيب الذوائب؟
يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب والشيب من جملة المصايب..
يمضى زمن الصبا وحب الحبائب .. كفى [الموت] زاجرا واعظا تشيب منه الذوائب.
يا غافلا فاته أفضل المناقب .. أين البكا لخوف العظيم الطالب؟
أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب؟ أما نظرت؟ فيه آخر العواقب !
كم —فى القيامة— من دمع ساكب؛ على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب؟
من لى إذا قمت —فى موقف المحاسب—،
وقيل لى: ما صنعت فى كل واجب؟
كيف ترجو النجاة تلهو بأسر الملاعب .. إذا أتتك الأمانى بظن الكاذب.
الموت صعب شديد مر المشارب .. يلقى شره بكاس صدور الكتائب.
فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب .. يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب.
يا آملا أن تبقى سليما من النوائب .. بنيت بيتا كنسيج العناكب.
أين الذين علوا متون الركايب .. ضيقت بهم المنايا سبل المذاهب.
وأنت بعد قليل حليف المصايب .. فانظر وتفكر قبل العجايب.

الكبيرة التاسعة والستون
القمـــار

ــ قال الله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر**» قال ابن عباس: الخمر: جميع الأشربة التي تسكر، والميسر: القمار كانوا يتقامرون به في الجاهلية «**والأنصاب والأزلام**».

قال ابن عباس ومجاهد: «**الانصاب**» حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها: «**والأزلام**»: قداح كانوا يستقسمون بها، «**رجس من عمل الشيطان**» أي: قذر ونجس تعافه العقول، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان «**فاجتنبوه لعلكم تفلحون**» أي: أتركوه، وكونوا في جانب آخر بعيدين عن هذه القاذورات، لتفوزوا بالثواب العظيم «**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر**»

أي: ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين في شربهم الخمر ولعبهم القمار، «**ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**» (المائدة ٩٠ ــ ٩١).

استفهام معناه الأمر، أي: انتهوا، ولذلك قال عمر: انتهينا ربنا انتهينا.

ــ قال أبو حيان: ذكر الله تعالى في الخمر والميسر مفسدتين:

أحدهما: دنيوية، والأخرى، **دينيه**.

فأما الدنيوية: فإن الخمر تثير الشرور والأحقاد، وتؤول بشاربها إلى التقاطع وأما الميسر، فإن الرجل لايزال يقامر حتى يبقى سليبا لا شيء له وينتهى إلى أن يقامر حتى على أهله وولده.

وأما الدينية : فالخمر – لغلبة السرور والطرب بها – تلهى عن ذكر الله وعن الصلاة، والميسر – سواء كان غالبا أو مغلوبا – يلهى عن ذكر الله[1].

– **والميسر :** هو القمار بأى نوع كان: نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك.

– وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى الله عنه بقوله: **« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »**.

– وداخل فى قوله ﷺ : **« إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة »** رواه البخارى عن خولة بنت عامر. (١١٨)

– وفى صحيح البخارى[2] أن رسول الله ﷺ قال: **« ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق »**.

فإذا كان القول يوجب الكفارة، أو الصدقة، فما ظنك بالفعل ؟

فصل

– اتفق العلماء على تحريم اللعب بالنرد – وإن خلا عن رهن – لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **« من لعب بالنردشير، فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه »** رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث بريدة. (٤ / ٥٦)

– وعن أبى موسى – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : **« من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله »**.

رواه مالك وغيره وصححه الحاكم على شرط الشيخين. (٤/٥٦)

– **أما الشطرنج:** فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها، سواء كان برهن أو بغيره.

أما بالرهن، فهو قمار بلا خلاف، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن، فهو – أيضا – قمار حرام عند أكثر العلماء، وكرهه الشافعى كراهة تنزيه.

---

(١) صفوة التفاسير (٣٤٩ – ٣٥٠)

(٢) البخارى (٨/١٦٥)

- وسئل النووى ــ رحمه الله ــ عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟
فأجاب ــ رحمه الله تعالى ــ : هو حرام عند أكثر أهل العلم .
- وسئل ــ أيضا ــ رحمه الله ــ عن لعب الشطرنج ، هل يجوز أم لا ؟
وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟
أجاب ــ رحمه الله ــ :
إن فوت به صلاة عن وقتها ، أو لعب بها على عوض ، فهو حرام .
وإلا : فمكروه عند الشافعى ، وحرام عند غيره .
وهذا كلام النووى فى فتاويه .
- والدليل على تحريمه علي قول الأكثرين فى قوله تعالى : **« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير »** إلى قوله : **« وأن تستقسموا بالأزلام »** (المائدة ٣) قال سفيان ووكيع بن الجراح : **« هى الشطرنج »** .
- وقال على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ : **« الشطرنج ميسر الأعاجم »** ومر ــ رضى الله عنه ــ على قوم يلعبون بها فقال :
« ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون؟
لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها .
ثم قال : **والله لغير هذا خلقتم »** .
- وقال ــ ايضا ــ رضى الله عنه ــ :
« صاحب الشطرنج أكذب الناس : يقول أحدهم : قتلت ، وما قتل ، ومات ، ومامات .
- وقال أبو موسى الأشعرى ــ رضى الله عنه ــ : **« لا يلعب بالشطرنج إلا خاطىء »** .
- وقيل لإسحاق بن راهويه : أترى فى اللعب بالشطرنج بأسا ؟
فقال : **« البأس كله فيه »** .
فقيل له : إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب .
فقال : **« هو فجور »** .

- وسئل ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ عن الشطرنج، فقال: **«هى أشر من النرد»**.
- وسئل محمد بن كعب القرظى عن اللعب بالشطرنج فقال:
«أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة، أو قال: يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل».
- وقيل لإبراهيم النخعى: ما تقول فى اللعب بالشطرنج؟ فقال: **«إنها ملعونة»**.
- وسئل الإمام مالك بن أنس ــ رحمه الله ــ عن الشطرنج فقال:
«الشطرنج من النرد. بلغنا عن ابن عباس أنه ولى مالاً ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فأحرقها، ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن يحرقها، لكونها مال اليتيم.
ولكن لما كان اللعب بها حراما أحرقها، فتكون من جنس الخمر إذا وجد فى مال اليتيم، وجبت إراقته، كذلك الشطرنج».
وهذا مذهب حبر الأمة ــ رضى الله عنه ــ.

- وروى: «أن لله فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه.
ليس لصاحب الشاه فيها نصيب» يعنى لاعب الشطرنج، لأنه يقول: شاه مات.

- وقال مجاهد: **«ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان جالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب الشطرنج، فقيل له: قل: لا إله إلا الله فقال: شاهك... ثم مات.**
فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته فى اللعب، فقال ــ عوض كلمة الاخلاص ــ: شاهك.

- وهذا كما جاء فى إنسان آخر ــ ممن كان يجالس شراب الخمر ــ:
أنه حين حضره الموت جاءه إنسان يلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقنى ثم مات.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ـ وهذا كما جاء ـ فى حديث مروى ـ:

«يبعث كل عبد على مامات عليه» رواه مسلم[1]

فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مع المسلمين لا مبدلين، ولا مغيرين ولا ضالين، ولا زائغين. إنه جواد كريم.

ـ وروى ـ أيضا ـ : «إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام ـ النرد والشطرنج ـ وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم؛ فإنهم إذا اجتمعوا، وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده، فأحدق بهم: كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها، لكزه الشيطان بجنوده، فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا، كالكلاب: اجتمعت على جيفة، فأكلت منها، حتى ملأت بطونها، ثم تفرقت. ولأنهم يكذبون ـ عليها ـ فيقولون: شاه مات».

(١) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٦)

الكبيرة السبعون

سب أحد الصحابة رضوان الله عليهم

- ثبت في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يقول الله تعالى: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب».**

(١٨٠)

ومعنى **«آذنته»**: أعلمته أني محارب له.

- وقال ﷺ: **«لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** مخرج في الصحيحين[١].

- وقال ﷺ: **«الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»** أخرجه الترمذي، وقال: غريب[٢].

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضا بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم، وكفرهم واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ: **«الله الله»**: كلمة تحذير وإنذار، كما يقول المحذر: النار النار أي: احذروا النار.

وقوله: **«لا تتخذوهم غرضا بعدي»**. أي: لا تتخذوهم غرضا للسب والطعن كما يقال: اتخذ فلان غرضا لسبه، أي: هدفا للسب.

وقوله: **«فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»** فهذا من أجل الفضائل والمناقب، لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا، وعزروه، وواسوه بالأنفس والأموال، فمن

---

(١) وهذا لفظ مسلم (١٩٦٧/٤)

(٢) الترمذي (٦٩٦/٥) وفي التحفة (٣٦٥/١٠): حسن غريب.

أحبهم ، فإنما أحب النبى ﷺ ، فحب أصحاب النبى ﷺ عنوان محبته ، وبغضهم عنوان بغضه ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « **حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق** » رواه مسلم (١) .

وماذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ .

— وكذلك حب على — رضى الله عنه — من الايمان ، وبغضه من النفاق .

[فقد خرج مسلم فى صحيحه (٢) عن على — رضى الله عنه — قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى ﷺ إلىَّ : « **أن لا يحبنى إلا مؤمن ، ولا يبغضنى إلا منافق** » .

— فإذا كان هذا قاله النبى ﷺ فى حق على ، فالصديق بالأولى والأحرى لأنه أفضل الخلق بعد النبى ﷺ ، ومذهب عمر وعلى رضى الله عنهما أن من فضل على الصديق أحدا ، فإنه يجلد حد المفترى] (٣) .

— وإنما يعرف فضائل الصحابة — رضى الله عنهم — من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان ، والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه ، وسننه ولولاهم ماوصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا .

— فمن طعن فيهم ، أوسبهم ؛ فقد خرج من الدين ، ومرق من ملة المسلمين ؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم ، وإضمار الحقد فيهم ، وإنكار ماذكره الله — تعالى — فى كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم . ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور ، والوسائط من المنقول ، والطعن فى الوسائط

---

(١) صحيح مسلم (٨٥/١) . (٢) صحيح مسلم (٨٦/١) .

(٣) الزيادة من كتاب الكبائر وتبين المحارم (١٥٠) .

طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد فى عقيدته.

وحسبك ما جاء فى الأخبار والآثار من ذلك.

• كقول النبى ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وانصاراً واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل**» رواه الحاكم وصححه (١).

— [وعن عبد الله بن مسعود قال: «إن الله عز وجل نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته، ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء» رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون (٢)].

— وعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابى لعن الله من سب أصحابى**» رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير على بن سهل، وهو ثقة (٣).

— وعن عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابى فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**». رواه الطبرانى بإسناد حسن (٤).

— قال العلماء: معناه: من فحص عن سر القدر فى الخلق، وهو، أى: الامساك علامة الايمان، والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم، ومن اعتقد أنها فعالة أولها تأثير من غير إرادة الله ــ عز وجل ــ فهو مشرك.

---

(١) وأقره الذهبى (٣/٦٣٢). (٢) مجمع الزوائد (١/١٧٧).

(٣) مجمع الزوائد (١٠/٢١). (٤) قاله الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء (١/٣٦).

وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم، وذكر عيبا وأضافه إليهم كان منافقا، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم، لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

- قال أيوب السختياني ـ رضي الله عنه ـ: «من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق».

فصل

- وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم على بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث.

- وقد نص النبي ﷺ [على ذلك] في حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: «.. **فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ـ الحديث**»
رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قوله: «**عضوا عليها بالنواجذ**» أي: اجتهدوا على السنة والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه، خوفاً من ذهابه وتفلته.

و« **النواجذ** » (بالنون والجيم والذال المعجمة) : هى الانياب وقيل : الأضراس . (١ / ٤٠)

والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين .

— وأنزل الله فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه آيات من القرآن .

قال الله تعالى : « **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين ــ الآية** » (النور ٢٢) .

لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه .

وقال تعالى : « **ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ــ الآية** » (التوبة ٤٠)

لا خلاف أيضاً أن ذلك فى أبى بكر رضى الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة ، وبشره بالسكينة ، وحلاه بثانى اثنين .

كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من يكون أفضل من ثانى اثنين الله ثالثهما ؟ .

وقال الله تعالى : « **والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** » (الزمر ٣٣) .

قال جعفر الصادق : لا خلاف أن « **الذى جاء بالصدق** » رسول الله ﷺ والذى « **صدق به** » أبو بكر رضى الله عنه ، وأى منقبة أبلغ من ذلك فيهم ؟ رضى الله عنهم .

مراجع التحقيق

١ ـــ إحياء علوم الدين للغزالى (ت ٥٠٥) ط . عيسى الحلبى

٢ ـــ الأذكار للنووى (ت ٦٧٦) تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ط . بيروت

٣ ـــ أساس البلاغة للزمخشرى (ت ٥٢٨) ط . بيروت

٤ ـــ أسباب النزول للواحدى (ت ١٤١) ط . المتنبى

٥ ـــ الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء للغمارى ط . القاهرة

٦ ـــ إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (ت ٣٧٠) ط . المتنبى

٧ ـــ الإعلام بقواطع الاسلام لابن حجر الهيتمى (ت ٩٧٤) ط . الشعب

٨ ـــ إغاثة اللهفان من مضايد الشيطان لابن القيم (ت ٧٥١) ط . مصطفى الحلبى

٩ ـــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى (ت ٧٩١) ط . البهية

١٠ ـــ بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (ت ٥٩٥) ط . مصطفى الحلبى

١١ ـــ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢١٣) ط . دار التراث

١٢ ـــ التبصرة لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ط . عيسى الحلبى

١٣ ـــ تحفة الأحوذي للمباركفوري (ت ١٣٥٣) ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

١٤ ـــ تخريج أحاديث الإحياء للعراقي (ت ٨٠٦) ط . عيسى الحلبي

١٥ ـــ الترغيب والترهيب للمنذري (ت ٦٥٦) ط . منير الدمشقى

١٦ ـــ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤) ط . مكتبة شباب الأزهر

١٧ ـــ تلخيص الحبير لابن حجر (ت ٨٥٢) ط . الكليات الأزهرية

١٨ ـــ الجامع الأزهر من أحاديث النبى الأنور للمناوي (ت ١٠٣١) ط . المركز العربى للطبع والنشر

١٩ ـــ جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبري (ت ٣١٠) ط . دار المعارف

٢٠ ـــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (ت ٦٧١) ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢١ ـــ الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطي (ت ٩١١) ط . دار المعرفة بيروت

٢٢ ـــ رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦) ط . مكتبة الدعوة الإسلامية

٢٣ ـــ زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ط . المكتب الإسلامي

٢٤ ـــ زاد المعاد فى هدي خير العباد لإبن القيم (ت ٧٥١) ط . المطبعة المصرية

٢٥ ـــ الزهد للإمام أحمد (ت ٢٤١) ط . مطبعة أم القرى

٢٦ ـــ الزواجر لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤) ط . دار الشعب

٢٧ ـــ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط . المكتب الإسلامي

٢٨ ــ سنن ابن ماجه (ت ٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط . عيسى الحلبي
٢٩ ــ سنن أبي داود (ت ٢٧٥) تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط . المكتبة التجارية الكبرى
٣٠ ــ سنن الترمذي (ت ٢٩٧) تحقيق أحمد شاكر ط . مصطفى الحلبى
٣١ ــ سنن النسائي (ت ٣٠٣) بحاشية السيوطي والسندي ط . دار الفكر بيروت
٣٢ ــ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢) ط . المكتب الإسلامى
٣٣ ــ صحيح البخاري للإمام البخاري (ت ٢٥٦) ط . دار الشعب
٣٤ ــ صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١) تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ط . المكتب الإسلامي
٣٥ ــ صحيح مسلم (ت ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ط . عيسى الحلبي
٣٦ ــ صفوة التفاسير للصابوني ط . مكتبة الغزالي
٣٧ ــ عدة الصابرين لابن القيم (ت ٧٥١) ط . المتنبي
٣٨ ــ عقيدة المؤمن لابى بكر الجزائري ط . مكتبة شباب الأزهر
٣٩ ــ عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق العظيم آبادى (ت ١٣٢٩) ط . المكتبة السلفية ــ المدينة المنورة
٤٠ ــ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ت ٧٢٨) ط . فرج الله زكي الكردي
٤١ ــ فتح الباري لابن حجر (ت ٨٥٢) ط . مكتبة الكليات الأزهرية
٤٢ ــ فضل الله الصيمد فى توضيح الأدب المفرد للبخاري فضل الله الجيلاني ط . المكتبة السلفية
٤٣ ــ الفوائد لابن القيم (ت ٧٥١) ط . المتنبي
٤٤ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي للمناوي (ت ١٠٣١) ط . المكتبة التجارية الكبرى
٤٥ ــ القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت ٨١٧) ط . المطبعة الحسينية
٤٦ ــ الكبائر للذهبي (ت ٧٤٨) ط . المتنبي ودار السلام ودار الصابوني ودار الغد
٤٧ ــ الكبائر وتبيين المحارم للذهبى (ت ٧٤٨) تحقيق محيى الدين مستو ط . مؤسسة علوم القرآن
٤٨ ــ كتاب التعازي لابى الحسن علي بن محمد المدائنى (ت ٢٢٨) ط . العراق
٤٩ ــ كتاب الصلاة لابن القيم (ت ٧٥١) ط . المكتبة السلفية
٥٠ ــ كتاب القرطين لابن مطرف الكتانى (ت ٤٥٤) ط . دار المعرفة
٥١ ــ لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١) ط . دار المعارف
٥٢ ــ اللؤلؤ والمرجان جمع فؤاد عبدالباقى ط . عيسى الحلبي
٥٣ ــ مجمع الزوائد للهيثمى (ت ٨٠٧) ط . مكتبة القدسى
٥٤ ــ محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢) ط . عيسى الحلبي

٥٦ ــ المحرر فى أحاديث الأحكام لابن عبدالهادى (ت ٧٤٤) ط . المكتبة التجارية الكبرى

٥٧ ــ مختصر تذكرة القرطبي للشعراني (ت ٩٧٣) ط . دار الوعي

٥٨ ــ مختصر سنن أبى داود للمنذري (ت ٦٥٦) ط . مكتبة السنة المحمدية

٥٩ ــ المستدرك للحاكم (ت ٤٠٥) ط . دار الكتاب العربي ــ بيروت

٦٠ ــ مستند الأجناد فى آلات الجهاد لابن جماعة (ت ٨١٩) ط . وزارة الثقافة العراقية

٦١ ــ مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر ط . دار المعارف

٦٢ ــ مشارق الأنوار للقاضي عياض (ت ٥٤٤) ط . دار التراث

٦٣ ــ المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠) ط . دار الكتب العلمية ــ بيروت

٦٤ ــ المعجم الوسيط ط . مجمع اللغة العربية

٦٥ ــ المعجم الوجيز ط . مجمع اللغة العربية

٦٦ ــ المغنى لابن قدامة (ت ٦٢٠) ط . مكتبة القاهرة

٦٧ ــ المقاصد الحسنة للسخاوي (٩٠٢) ط . مكتبة الخانجي

٦٨ ــ مناقب الامام الشافعى للبيهقي (ت ٤٥٨) ط . دار التراث

٦٩ ــ المنتخب فى تفسير القرآن ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٧٠ ــ المهذب للشيرازي (ت ٤٧٦) ط . عيسى الحلبي

٧١ ــ نهاية البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤) ط . المكتبة القيمة

٧٢ ــ نيل الأوطار للشوكاني (ت ١٢٢٥) ط . مكتبة شباب الأزهر

تصويب الخطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤	١٠	لعلماء	العلماء	٤٣	٢٣	أو	أبو
٤٦	١٥	وافترقو ... ما	وافترقوا ... أما	٥١	١	من	ما
٦٢	١٥	النحل	النخل	٧٤	٤	ولندب	والندب
٧٤	٧	لأنا	لأنها	٧٤	٨	عى	عن
٧٧	٨	سيد	سيف	٧٨	هـ ١	عفر	غفر
٨٠	١٧	ناتركه	فاتركه	٨٢	٢	برجبه	برجله
٢٢	هـ ٣	سـر	بشر	٢٦	هـ ١	الكتاب	الكتاب (ج)
٨٤	٤	تسرية	اتسرى	٩١	٤	النـر	النار
٩٩	هـ ١	بشبهت	تشبهت	١١٣	٥	أنى	إنى
١١٣	هـ ١	الصحح	الصحيح	١١٣	هـ ١	الزائد	الزوائد
١١٤	٢١	إلى ربه	إلى ريه	١٢٧	هـ ٣	الأحياء	الإحياء
١٣٨	هـ ٢	الاحياء	الإحياء	١٤٨	٨	وتمتعه	وتمنعه
١٦٨	هـ ٣	لعن	أنه ﷺ لعن	١٦٨	هـ ٣	قوم	قوماً
٢٤٢	هـ ١	أكلها يعزز	أكلتها تعزر	٢٥٧	١٢	مغفور	مغفور(*)
٢٤٦	٧	وما	ما	٢٦٢	١٧	لعد	لقد

استدراكات

صفحة	سطر	
١٤	٤	يضاف بعده : قال الخطابى : معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك والله أعلم .
١٦	٧	يضاف بعد قوله (منهما) : اللهم عافنا منهما واعف عنا .
١٨	٢٠	يضاف بعده : والمنازعة : المجاذبة .
٢٤	٥	يضاف بعده : ومعناه : يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والإرادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف .
٣٣		يضاف أولها : وقال الحسن هم الذين يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل .
٥٣	١٣	يضاف بعده : فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم وأرحم الراحمين .
٥٩	٢	يضاف بعده : وفى هذا الحديث والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر .
٥٩	١١	يضاف بعده : وفى رواية لأبى داود بإسناد جيد فقال رسول الله ﷺ « **تسمع حى على الصلاة حى على الفلاح فحيهلا** » (٤٠٧) قوله (فحيهلا) أى : تعال وأقبل .
٨٢	هـ ١	يضاف إليه : وكتاب التعازى (٤٥) .
٨٣	١٥	يضاف بعده : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **من كان له فرطان من أمتى أدخله الله بهما الجنة** » فقالت عائشة : فمن كان له فرط من أمتك ؟ قال : « **ومن كان له فرط ياموفقة** » قالت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ، قال : « **فأنا فرط أمتى لن يصابوا بمثلى** » رواه الترمذى (٣/ ٣٦٧) وقال : حديث حسن غريب ، وأحمد (٥/ ٣٩) المسند ، وصححه الشيخ شاكر .
١٠٨	١٥	يضاف بعده : فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا .

١٠٨ ٢١ يضاف بعده : والحوب : الاثم
١١٣ هـ ١ يضاف آخره : هامش الكبائر صفحة (١٣٢) .
١٢٨ ٣ يضاف بعده : والعنت المشقة .
١٧٨ ٨ يضاف بعده : فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه ، وأن يجنبنا سخطه إنه جواد كريم رؤوف رحيم .
٢١٧ ٤ يضاف بعده : فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم !؟
٢٥٧ هـ ٣ يضاف بعده لتفسير أول آية الهامش الآتى : (*) شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٣ — ٣٠٤)
ج هـ ٤ يضاف بعده : (١٦٣)
هـ ٢١ يضاف بعده : وكما حذفت حكاية في آخر كبيرة هجر الأقارب
٢٠ ١٥ يضاف فى آخره : (٥٦٦)
٦١ ٢١ يضاف فى آخره : رواه مسلم (٤٠٥)
٧٠ ١٢ يضاف فى آخره : (١/٩٨)
١٢٣ ٧ يضاف فى آخره : (٣/٢٣٣)
٢٠٤ ٢٥ يضاف فى آخره : (٤/٣٠)

الفهـــرس

طبع بمطابع هليوبوليس برس

ت : ٢٤٣٣٢٤٩